تأليف
بيرنار غرانوتييه

إسرائيل

سبب محتمل لحرب عالمية ثالثة

ترجمة
اللواء الركن محمد سميح السيد

مركز الدراسات العسكرية
دمشق ١٩٨٤

تقـــديم

إبتليت الأمة العربية منذ مطلع هذا القرن بمطامع الصهيونية العالمية التي إختارت من فلسطين العربية وطناً للمشرّدين اليهود من جميع أنحاء العالم بدعم من الأمبريالية العالميـــة . وقد تحققت تلـك المطامع بتشريـد الشعب العربي الفلسطيني وإخراجه من وطنه بقوة السلاح وإقامة الكيان الصهيوني على أرضه .

ومنذ ذلك الحين والاعتداءات الاسرائيلية على الأمـة العربية تتتالى تحت سمع العـالم وبصره ... الى أن جـاء الغزو الإسرائيلي للبنـان في حزيران ١٩٨٢ الذي هزّ مشاعر الرأي العام في العالم بأسره .

فلا غرو إذن أن تسارع أقلام الكتّاب لتصف المجازر الوحشية التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية الغازية ضد اللبنانيين والفلسطينيين بهـدف إبادتهـم وتصفية منظمة التحرير الفلسطينية عسكريـاً وسياسياً لطمس القضية الفلسطينية .

وهذا الكتاب يشرح الوضع الراهن في الشـرق الأوسط واحتمالات التصعيد الخطير لسياسة العدوان والتوسع التي تنتهجها إسرائيل ممـا يهـدّد السلام في العـالم .

وقد صدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية ونرجو من نقله الى العربيـة تحقيق الفـائدة للقرّاء من ضباط قواتنا المسلحة .

دمشق

تموز ١٩٨٤

مركز الدراسات العسكرية

مقدمة

يهود ضد يهود

في ١٥ حزيران (يوليو) من عام ١٩٨٢ ، التقى جمعان من المتظاهرين أمام السفارة الاسرائيلية في باريس ، حيث أخذ كل طرف يكيل الشتائم للطرف الآخر ؛ ولولا تدخل رجال الأمن ، لتطور الموقف الى عراك بالأيدي . فمن جهة كان يقف الذين يؤيدون إسرائيل بتعصب اعمى على السراء والضراء ، بينما يقف في الجانب الآخر يهود جاؤوا يعربون عن استنكارهم لغزو لبنان وما خلّفه من ضحايا في صفوف المدنيين الأبرياء . كان الطرف الأول يمثل ((الحركات الصهيونية)) التي تعتبر عادلة مسبقا كل حرب تعلنها اسرائيل ؛ اما الطرف الآخر فكان يمثل ((الحركات اليهودية اليسارية)) التي تضم عددا كبيرا من المثقفين من أمثال ((جان دانييل)) ، ((جيروم ليندون)) ، ((لوران شوارتز)) و ((فلاديمير يانكيليفيتش)) . ولكن هل يجوز التحدث هنا عن ((يمين)) و ((يسار)) بعد أن انهارت هذه الخرافة في حزيران من عام ١٩٨٢ تحت دوي القنابل المتساقطة كوابل المطر على صيدا وصور والدامور وبيروت ؟ إنها خرافة داوود الاسرائيلي المهدد بالابادة من قبل العرب المدججين بالسلاح . فقد ظهر ما يسمى بجيش الدفاع الاسرائيلي هذه المرة ، وبما لايدع مجالا للشك ، أشبه ب ((غوليات)) المتوحش في التوراة .

في مطلع شهر حزيران ، اخذت كبريات الصحف الغربية تتحدث عن ((رد الفعل الانتقامي ضد الارهاب)) ، بعد ان وقعت في فخ الدعاية الصهيونية وشرك ما سمي بعملية ((السلام للجليل)) . إلا ان الغشاوة ما لبثت ان زالت بعد عشرة أيام من القتال ، نجم عنها حوالي خمسة عشر الف قتيل وجريح مع مئات الالوف من المشردين الجدد الذين اصبحوا بلا مأوى . وقد طفح الكيل عندما تعرضت هيبة القوات الدولية للسخرية والازدراء ، ودمر اكثر من ٥٠ ٪ من المنشآت الدولية لغوث اللاجئين ، ورفضت إسرائيل معاملة الفدائيين الفلسطينيين كأسرى حرب ، ومنع الصحافيون الاجانب من تغطية ما كان يجري في المناطق الواقعة تحت سيطرة الجيش الاسرائيلي ... وهكذا زالت الدهشة ليحل محلها الاستنكار ثم القلق لان ردود الفعل في العواصم العربية والاتحاد السوفييتي بدأت تنذر بالتصعيد الوشيك كما حدث سنة ١٩٧٣ عندما أعلن ((نكسون)) استنفارا ذريآ في كافة القواعد الامريكية في العالم .

كذلك بدأ التذمر والقلق يظهران داخل إسرائيل نفسها ، حيث قامت عدة مظاهرات تطالب بوقف الغزو في لبنان . إلا أن موجة السخط والغضب قد اجتاحت العالم الغربي المعروف بتعاطفه مع إسرائيل ، وبخاصة فرنسا التي طفت فيها أصوات الاستنكار شبه المطلق .

لذلك نعتقد بأن الوقت قد حان لمحاولة فهم أسباب الحروب المتكررة في الشرق الاوسط . ولتحقيق هذا الهدف الصعب ، لا بد من الرجوع الى أصل المشكلة وجذورها : أي نشوء الدولة اليهودية وظهور العقيدة الصهيونية الغريبة التي تنادي بتجميع كافة يهود العالم في فلسطين . منذ ذلك الحين ، أصبح كل من يعادي اسرائيل أو يعترض على أعمالها وسياستها يعتبر معادياً لليهود والسامية . وسنرى أن أشد المعارضين لهذه العقيدة الصهيونية كانوا في البداية من اليهود أنفسهم. فعندما كان الصهيونيون الأوائل يجوبون العواصم الاوروبية ، بدءاً بهرتزل وانتهاءاً بوايزمان ، لبيع فكرتهم عن ((الوطن القومي اليهودي)) ، إعتبرهم عدد من اليهود كمشاغبين محرضين ؛ ففي فرنسا وإنكلترة والولايات المتحدة لم يكن اليهود راغبين في الهجرة إلى فلسطين ، بل كانوا يفضلون الاندماج في الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها ، وقلب صفحة الماضي نهائياً مع كل ما يتعلق منه بتمييز اليهود عن سائر شعوب العالم. إلا أن تحولا غريباً ما لبث أن طرأ على هؤلاء اليهود المعادين للصهيونية حتى أصبحوا قلة ضئيلة في منتصف القرن العشرين ، كما سنرى في الفصول اللاحقة من هذا الكتاب ، وأضحى كل يهودي غير صهيوني بمثابة خائن لليهود واليهودية ...

رغم ذلك بقيت هناك فئات من اليهود ترفض استخدام التوراة لتغليف بضاعة موشي دايان وسلع ميناحيم بيغن . وحتى في الولايات المتحدة نفسها ، قامت منظمات يهودية معادية للصهيونية مثل : ((المجلس الامريكي لليهودية)) الذي أنشيء سنة ١٩٤٣ ، أو ((البدائل اليهودية الامريكية عن الصهيونية)) التي أنشئت منذ عام ١٩٦٨ . وفي النمسا ، رفض المستشار ((برونو كرايسكي)) الابتزاز الصهيوني وأقام، رغم كونه يهودياً ، أفضل العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية .

مما لا شك فيه أن الموضوع شائك ومعقد : فهناك شعب فلسطيني مؤلف من خمسة ملايين نسمة يعيش الآن بلا وطن ، لأن الغرب أراد أن يعطي وطناً لليهود . واليوم ، بعد أن أصبحت العربدة الاسرائيلية بلا حدود ولا ضوابط قانونية أو أخلاقية ، حان الوقت لفتح هذا الملف القديم وإضافة نظرة جديدة قدر المستطاع ، لأن هذه الارض التي يسميها العرب فلسطين ويدعوها اليهود اسرائيل ، وهذه المدينة المقدسة التي يسميها أولئك القدس وهؤلاء أورشليم ، تظل رهانات هامة بالنسبة للأوروبيين أيضاً .

الجزء الأوّل

الحرب الإسرائيلية - العربية الخامسة

مازالت في بدايتها

الفصل الأول

نزع ملكية الفلسطينين وتهجيرهم
من قبل اليهود (١٨٨٢ - ١٩٤٨ م)

■ ((لو كان الهدف من هجرة اليهود الى فلسطين هو السماح لهم بالعيش الى جانبنا والتمتع بنفس حقوقنا وواجباتنا، لفتحنا لهم الباب على مصراعيه . أما اغتصاب اراضينا وتشريدنا وجعلنا مواطنين من الدرجة الثانية ، فهذا أمر لا يمكن القبول به أو السكوت عليه .))(١)

في عام ١٨٨٢ ، قدم بضع عشرات من اليهود الروس ، النازحين من « خاركوف » ، للاقامة في فلسطين ، ذلك الاقليم النائي التابع للامبراطورية العثمانية المائلة نحو الانحطاط آنذاك . ولم تقم السلطات الادارية التركية المحلية باعلام الباب العالي في استنبول ، كما لم يلفت الأمر انتباه السكان العرب الذين تعودوا على التعايش مع أقليات أجنبية أخرى كالأرمن والشراكس وغيرهم . ولكن كيف تطورت هذه النواة الصغيرة الأولية لتصبح أكثر من ثلاثة ملايين يهودي في الوقت الحاضر ؟ لماذا لم يعمد السلطان العثماني لايقاف هذا الغزو الاجنبي في حينه وقبل استفحاله ؟ ألم يعمل السكان الفلسطينيون شيئاً لوضع حد لهذا المد

---

(١) — من خطاب ياسر عرفات أمام الجمعية العامة للامم المتحدة سنة ١٩٧٤ .

الاستيطاني اليهودي وللمحاولات المسترة التي جرت فيما بعد لتهجيرهم وانتزاع أملاكهم ؟ هل وقفت المحافل الدولية والرأي العام العالمي عاجزين ، أم أنهما كانا شريكين في هذه العملية الكبرى والمؤامرة السافرة لطرد شعب من أرضه وإحلال آخر محله ؟

مما لاشك فيه أن محاولة الاجابة على هذه السلسلة من الاسئلة تأخذ الآن أهمية كبرى بالنسبة لمستقبلنا القريب جميعاً ، فلسطينيين ويهوداً وعرباً وأوروبيين وأميركيين وسوفييت ، لأن الاحداث الراهنة قد تؤدي بنا جميعاً الى حرب عالمية جديدة قد تقضي على الجنس البشري كله .

إلا أن المسألة في منتهى التعقيد . فها هو ابن شقيق المارشال الفرنسي (ليوتيه) (Lyautey) ، المتخصص فيما كان يسمى « بالشرق » ، يتحدث منذ عام ١٩٢٣ عن « الشرق الاوسط وتعقيداته بما فيه من مصريين وسوريين وأردنيين ودروز ومارونيين وأتراك ويونانيين وآراميين وآشوريين وكلدانيين وغيرهم ... » . إضافة الى كل هذا ، جاءت المسألة الصهيونية لتزيد الامور تعقيداً(١) . من المستحيل في الواقع التحدث عن إسرائيل دون الرجوع الى خمسة وعشرين قرناً من التاريخ اليهودي . ثم من يستطيع التحدث عن وضع القدس ومستقبلها دون استعراض ما تدعيه هنا الأديان الموحّدة الثلاثة : الاسلام والمسيحية واليهودية ؟ وأخيراً ، لا بد من التنويه بأن قرب حقول النفط ووجود قناة السويس والوضع الجغرافي ــ السياسي المتميز لهذا المفرق الهام للقارات الثلاث ، كل ذلك يجعل من هذه المنطقة مفتاحاً أساسياً للمجابهات الاستراتيجية بالامس واليوم .

---

(١) ــ لا يخفى على القارىء هنا هذا الفرز الاستعماري القديم الذي يفرق بين أبناء الامة الواحدة من مصريين وسوريين وأردنيين ودروز ومارونيين ، حيث يعتبر ان لكل منهم هوية خاصة وذاتية مستقلة .

« المترجم »

من العبث محاولة فك هذه العقدة إذا لم نمسك بالخيط الرئيسي ؛ هذا الخيط هو الصهيونية • ما هي الصهيونية في الواقــع ؟ إنها تتلخص بخطة وضعت خــلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، هدفها تجميع كافة يهــود العالم فيفلسطين، والإصرار العنيد على تطبيق هــذه الخطة مهما كان الثمن الذي ستدفعه البشــرية كلهــا •

في هذا الفصل ، الذي يغطي الفترة الواقعة بــين عامي ١٨٨٢ ــ ١٩٤٨ ، أي اعتبارا منوصول أول النازحينالیهود حتى اعلان قيام الدولة الاسرائيلية ، سنحاول متابعة كل من (تيودور هرتزل) و (حاييم وايزمان) من خلال مساعيهما الدوليــة من أجل « بيــع » مشروع الدولة اليهودية لرؤساء الدول مع التركيز على إقنــاع الرأي العام الغربي بتأييد هذا المشروع • كذلك سنشهد ولادة الجماعات الارهابية اليهودية في فلسطــين ، كالهاغانا والأرغون ، كما سنعرّج في طريقنــا على كواليس الحكومتين الانكليزية والامريكية لنرى ما يطبخ سراً وما يرسم لهيئة الامم المتحدة من خطــوط •••

★ ★ ★

ولد (موشي هس) ، مؤسس العقيدة الصهيونية ، في بون عام ١٨١٢ ، حيث تأثر بأفكار « كارل ماركس » ثم ما لبث أن تخلى عنها لأن ماركس ، الذي لم ينكر « المسألة اليهودية » بل خصص لها بحثاً كاملا ، إلا أنه رفض اعطــاء أهميــة خاصة لهويته اليهودية ، ونصح اليهود بأن يحذوا حــذوه ويساهموا عن طريق العنف في قلب المجتمع الرأسمالي : فمدينة المستقبــل الاشتراكية هي التي تستطيع ، بعــد تغلبها على التناقضات بين الطبقات المُستَغِلّة والمُستَغَلّة ، أن تذيبالخصوصية اليهودية وتقضي بالتالي على النزعة اللاسامية من جذورها الى الأبد • إلا أن«هس» عارض هذا المفهوم في نظريته عن « روما وأورشليم » سنة ١٨٦٢ ، واضعاً بدلــك

حجر الزاوية الاول في بناء العقيدة الصهيونية • لذلك اقترح اقامة دولـة يهوديـة مستقلة ، دون انتظـار « الأممية الكبرى » للثورة الشيوعية ، داعياً أبناء دينـه في أوروبا الشرقية وروسيا لتشكيل النواة الاولى في فلسطين ، بانتظار إقناع يهـود أوروبا الغربية وأمريكا باهمية هذا المشروع ليهود العالم كله • كذلك تبنى الاتجاه نفسـه (ليـون بنسكر) عام ١٨٨٢ ، الذي أصـدر كتابـاً بعنـوان « التحرر الـذاتي » ، ذكر فيه أن على اليهـود أن يعتمدوا على أنفسهم وقواهـم الذاتيـة وحدها لتجنب الاضطهاد ولإرساء قاعـدة متينة لمستقبلهم المشترك • وقد جاء هذا النداء في حينه رداً على النزعات الفردية نحو الاندماج التي نشأت في أوساط اليهود الغربيين بعد تحرر عام ١٧٩١ • كان (بنسكر) ، الذي ولد في روسيا وعاش فـي برلين حيث ظهر كتابـه الآنف الذكر ، على غرار (هس) ، يعتمد في دعوته هـذه بالدرجة الاولى على اليهـود الشرقيين الذين لا يزالون يعيشون داخل مجتمعـات مغلقـة •

ولا شك في أن المبررات والحجج التي يستخدمها اليـوم أمثال (بيغـن) و (شارون) تظل مستمدة من السلفين (هس) و (وبنسكر) ، سواء فيما يتعلـق بخطر اللاسامية المزعـوم أو بحق اليهود التاريخي في إقامة دولة مستقلة وفي تميزهم عن سـائر شعوب العـالم •

بانتظـار تحقيق الحلم الصهيوني آنذاك ، كانت الارض الفلسطينية مشغولة ، كما أن السلطـان العثماني ، الذي كان يحـكم مـن أفغانستان حتى يوغوسلافيا الحالية ، ما كان ليرضى عن سلخ الاقليم الفلسطيني عـن الامبراطورية العثمانية • أضف الى ذلك صعوبة اقناع السكان العرب المحليين (مسلمين ومسيحيين) ، الذين كانوا يزرعون الارض التي ولدوا فيها هم وآباؤهم وأجـدادهم ، بضرورة النزوح وترك ممتلكاتهم ليهود غرباء جاؤوا من بولونيا وكييف ومينسك • لذلك سار العمل في البداية بمنتهى الحذر بانتظار الوقت المناسب لكشف القناع • منذ عام ١٨٣٦ ، اتصل (هيرش كاليشر) مع (آشر مئير روتشيلد) وغيره من كبار اليهود في فرنسا

والمانيا لتمويل مستعمرات يهوديه في فلسطين • وفي عام ١٨٥٥ ، ولهذه الغاية نفسها ، قام (موشي مونتفيور) ، أحد الاثرياء اليهود في انكلترة ، بشراء أول الاراضي الفلسطينية ، كما قدم الاموال في عام ١٨٦٠ للقيام بأعمال البناء غرب القدس كنواة أولية لما سمي فيما بعد بالقدس الجديدة • في عام ١٨٧٠ ، وبمساهمة مالية من (إدمون دي روتشيلد) ، تم انشاء أول مدرسة زراعية يهودية في فلسطين • ولكن ، على الرغم من هذا الحذر الشديد في التسرب ، حدثت الخطوة الخاطئة الاولى سنة ١٨٧٦ ، عندما رفض السلطان العثماني السماح للمستوطنين اليهود بشراء الاراضي طوال نهر الاردن •

في عام ١٨٨١ ، تشكلت في روسيا جمعيتان مهمتهما تنظيم الهجرة الى فلسطين : أولاهما « أحباء صهيون » في مدينة « مينسك » والثانية « جماعة بيلو » في مدينة « خاركوف » • وقد أشرفت « جماعة بيلو » هذه على هجرة الشبان اليهود الذين قاموا بتأسيس أوائل المستوطنات في فلسطين سنة ١٨٨٢ • وفي العام نفسه ، قدم عدد من اليهود من رومانيا • ولما كان هناك عدد من اليهود العرب (وهم قلة) يعيشون في فلسطين ، فقد قدر عدد السكان اليهود في فلسطين بحوالي ٢٤٫٠٠٠ نسمة عند نهاية عام ١٨٨٢ : وهذه هي النواة الأولية • في عام ١٨٨٣ ، وصل عدد من اليهود من بولونيا ، وفي عام ١٨٨٤ ، خصص « إدمون دي روتشيلد » خمسة ملايين دولار لشراء الاراضي وانشاء مستعمرة « إيكرون » اليهودية • والغريب في الامر أن البارون دي روتشيلد هذا لم يكن صهيونياً بل مجرد يهودي ثري متحمس ، مثله في ذلك مثل البارون موريس دي هيرش (١٨٣١ — ١٨٩٦) الذي قام بتمويل تجربة مستعمرة يهودية في الأرجنتين ، حيث تبرع بمبلغ مليوني جنيه استرليني « لجمعية الاستيطان اليهودي » التي أسست سنة ١٨٩١ • في هذا العام ، أنشئت مؤسسة يهودية هامة في فلسطين أطلق عليها اسم « بيا ليستوك » ، وفي عام ١٨٩٦ ، وصل عدد من اليهود من بلغاريا • وهكذا بدأت جماعات يهودية تعمل هنا وهناك على استصلاح الاراضي وزراعتها • ولم يكن السكان العرب من أهل البلاد ينظرون الى هؤلاء كغزاة (لانهم كانوا كذلك في الواقع) ، بل كأفراد مختلفين يعيشون منعزلين •

منذ دلك الحين ، بـدا العمل الصهيوني على الارض الفلسطينية كما رأينا ، وكذلـك عبر المتوسط وعبر الاطلسي حيث تعيش مجموعات يهـودية هامة يريـد الصهاينة حثها على « العودة » على حـد تعبيرهم • في عام ١٨٨٤ ، ترأس «بنسكر» مـؤتمر « كانوفيتز » في سيليزيا العليـا وطلب من مستمعيه أن يفكروا منذ الآن بالهجرة الى فلسطين • ثم أقام في « أوديسا » المركز الرئيسي للنشاط الصهيوني في روسيا حتى عام ١٩١٤ • في تلك الاثنـاء ، ظهر على المسـرح « تيودور هرتزل » (١٨٦٠ ــ ١٩٠٤) الذي نشر تـوراة الصهيونية في عام ١٨٩٦ في كتابه « الـدولة اليهودية » • ظهر هـذا الكتاب للمرة الاولى في فيينا وهو يحمـل عنواناً فرعيـاً : **محـاولة ايجـاد حـل حديث للمسالة اليهـوديه** • يتضمن هـذا الكتاب أفكار كل من « هس » و « بنسكر » مع مزيد من التدقيق والتوضيح في بعض النواحي مثل إعطـاء الحصانة السياسية للاماكن المقدسه عندما تصبح فلسطين يهوديه • وهكذا نرى كيف يستغل الزعماء الاسرائيليون التوراة وفق أهوائهـم ، لانهم ما لبثوا أن أعلنوا ضم القدس في عام ١٩٨٠ • طالب « هرتزل » في كتابه من اليهـود الاثريـاء الغربيين تقديم الاموال ، كما طلب من اليهود الشرقيين أن يهاجروا الى فلسطـين • والغريب أنه كتب في صحيفته ، منذ ١٢ حزيران ١٨٩٥ ، مايلي : « عندما نحتل الارض ، يجب أن نعمل بهدوء على نزع الملكية تدريجياً من السكان المحليين • كما سنحاول تهجير السكان الذين ليست لهم موارد مع تأمين فرص العمل لهم خارج الحدود » •

أليس من الملفت للنظر حقا أن نلمس في هذا التصريح منذ عام ١٨٩٥ ملامـح البرنامج الثابت الذي ما زال يطبق حتى الآن ، والمتضمن نزع ملكيه الاراضي مـن العرب وتحويلهم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الى لاجئين يتنقلون مـن بلد الى آخر دون أن يحق لهم العـودة الى بلادهم ؟ ومع ذلك تطلـق على هـؤلاء تسمية « إرهابيين » ! •••

في ٢٩ آب (أغسطس) افتتح « هرتزل » في مدينة « بـال » السويسرية أول مؤتمر صهيوني بحضور ١٩٧ منتدباً من يهود العالم • في الحقيقة لم يكن هـؤلاء

يمثلون يهـود العالم لان حركة الاصـلاح اليهودية الامريكية رفضت الاشتراك ، كما اعترض عدد كبير من يهود أوروبا الغربية على الفكرة الصهيونية ووجدوا فيها مناورة لاسامية تهـدف الى حشرهم داخل « غيتـو » فلسطيني • إلا أن هـؤلاء المنتدبين ادعوا لأنفسهم حق تمثيل الجميع (بما في ذلك يهود روسيا الثوريون الذين لم يكونوا يريدون سماع شيء عن الصهيونية) وطالبوا « بأن يعطوا السيادة على جزء كاف من الارض يحقق لهم المتطلبات المشـروعة لاقامة الـدولة اليهودية » • وهكذا تقرر عقد هذا المؤتمر سنوياً وأقيمت رسمياً المنظمة الصهيونية العالمية •

في عـام ١٨٩٨ ، حضر المؤتمر الصهيوني الثاني ٤٠٠ شخص ، ولكن الاثرياء اليهود الغربيين ، وبخاصة « روتشيلد » ظلوا يرفضون الالتزام مباشرة • لذلـك أخذ هرتزل ، طوال السنوات الست الباقية له من الحياة ، يقيم العلاقـات ويطلب الدعـم مـن أمثال « السير فرانسيس مونتيفيور (إنكلترة) والبارون دي هيرش (النمسا) وماكس واربورغ (المصرفي المعروف في هامبورغ) وإدوارد نوتزلـين (الرئيس الفخري لمصـرف باريس وهولنده) وغيرهم ••• وهكذا كان يشاهـد في القدس حيناً ، حيث قابل القيصر غليوم الثاني سنة ١٨٩٨ ، وفي القسطنطينية حيناً آخر حيث اجتمع بالسلطان العثماني في شهر حزيران من عام ١٩٠١ ، أو في لنـدن حيث اقترح عليه الانكليز « أوغنده » بدلا من فلسطين •

كان كل واحد من هـذه الشخصيات الكبرى يحـاول الاستفادة من هـذا الصهيوني الغريب الذي لم يكن معروفاً آنـذاك ، ولكنه يبـدو مدعوماً من قبـل أطراف قوية ذات نفوذ • اعتقد غليوم الثاني بأن إقامة رأس جسر في فلسطين قـد تخدم النفوذ الالماني في المنطقة • أما السلطـان العثماني ، فقد اعتقد بأن اليهـود يمكن أن يساعدوه في سداد ديونه الخارجية الهائلة ، ولكنه تردد بعض الشيء ولم يقـم بأية حركة لاعتقـاده بأن أي تنازل يعطى للصهيونيين سيـؤدي بالتالي الى انفجـار لدى السكان العرب المحليين • وأمـا الانكليز ، فقد ألقـوا أمام هرتزل بالعظمة الاوغندية لكي يحتفظوا لانفسهم بامكانية التدخل فيما بعد • وقد عرض

هرتزل على المؤتمر الصهيوني سنة ١٩٠٣ الحل الاوغندي هذا فعلا ، إلا أن اليهود مــن الاوروبيين الشــرقيين والروس اعترضوا على ذلــك بشدة وكادت الحــركة الصهيونية تتمزق •

في عام ١٩٠٤ ، توفي هرتزل فخلفه «ماكس نوردو» الذي أصبح الوجه الطليعي المعروف للصهيونية العالمية • وفي عام ١٩٠٥ ، تم رفض الحل الاوغندي نهائياً ، ولــم يبق هناك من أمل سوى اندلاع حرب عالمية تؤدي الى تقطيع أوصال الامبراطورية العثمانية الهائلة التي أصبحت الرجل المريض • فقد ولى ذلك العهد الذي كان فيــه الأتراك يسيطرون على البحر المتوسط ويهددون إسبانيا ويحاصرون فيينا • في عام ١٨١٢ ، استولت روسيا على « بسّارابيا » كما استولت فرنسا على الجزائر سنة ١٨٣٠ • وفي عام ١٨٣٢ ، حصلت اليونان على استقلالها وضاعت معظم الاراضي الاوروبية بعد الحرب الروسية ــ التركية سنة ١٨٧٧ • في عام ١٨٨١ ، تم التخلي عن تونس لفرنسا • وفي سنة ١٨٨٢ انتقلت مصر الى أيدي الانكليز • في عام ١٩٠٨ ، فقدت الامبراطورية العثمانية كذلك جزيرة كريت ، كما خسرت ليبيــا سنة ١٩١٢ بعد حرب مع ايطاليا • وفي العام نفسه ، أعلن استقلال البانيــا •

تضاف الى كل هذه الاضطرابات الداخلية كتمرد الأرمن خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٨٩٠ ــ ١٨٩٧ ، مما أدى الى المذابح الرهيبــة خــلال الحرب الكبرى نتيجة الاحقاد الدفينة • في ١٩٠٨ ، ظهر التيار الوطني مع ثــورة الشبان الاتراك • وفي العام التالي ، قام الجيش الثالث العثماني بخلــع السلطان عبد الحميد الثاني • أما ولي عهده محمد الخامس (١٩٠٩ ــ ١٩١٨) فقــد أصبح حاكماً بلا سلطــات حقيقية اعتبارا من ١٩١٣ • ولا شــك في أن الصهيونية كانت تنتظر بفــارغ الصبر انهيــار العملاق المسلم الذي أصبح عاجزاً عن السيطرة على أمبراطوريته المتراميــة الاطراف •

بانتظار ذلك ، كان لابد من التشبث بالارض الفلسطينية حيث بدأت الامور تسوء بين المهاجرين والسكان العرب الذين أخــذوا يضيقون ذرعاً بهؤلاء الغربــاء

وأطماعهم التي تسفر عن وجهها يوما بعد يوم • وهكذا ، منذ عام ١٨٩١ ، قام عدد من الزعماء العرب بالكتابة الى الباب العالي في القسطنطينية ينذمرون فيها من قيام اليهود بشراء الاراضي وتخريب التجارة العربية وادخال الاسلحة سراً الى البلاد• بعد هذا بدأت الصدامات الدامية تتكرر بين أصحاب الارض والدخلاء • وفي عام ١٩٠٥ ، ظهرت حركة وطنية عربية مضادة للاستيطان اليهودي والصهيونية برئاسة عربي مسيحي من مدينة القدس يدعى « نجيب عازوري » • وقد يكون من المفيد التذكير هنا ببعض الاحداث رداً على وسائط الاعلام الغربية التي تعكس وجهة النظر الاسرائيلية حول المقاومة الفلسطينية التي يقال عنها أنها بدأت عام ١٩٦٥ بتشجيع من موسكو • وهذا خطأ مفعم بالكذب والتضليل والتجني ، لأن المقاومة بدأت فعلا سنة ١٩٠٥ ، وما منظمة التحرير الفلسطينية سوى وليدة ستين عاماً من النضال العربي الفلسطيني ضد اليهود الغرباء •

في عام ١٩٠٨ ، يتحدث السيد « ليفونتين » ، مدير المصرف البريطاني ــ الفلسطيني ، عن اليهود « المسلحين بالسكاكين والبنادق الذين يعاملون العرب بشيء من العجرفة والاحتقار » • بعد ثورة الشبان الاتراك ضد السلطان ، تعززت الحركة الوطنية العربية في فلسطين ، كما حدثت اشتباكات في المدن الرئيسية عند نهاية عام ١٩٠٨ • كانت أهم الصحف الفلسطينية المناهضة للصهيونية هي «الكرمل» في حيفا ، و « فلسطين » في يافا و « المنتدى » في القدس • كذلك ازداد التوتر على الصعيدين الثقافي والاجتماعي بسبب مستوى المعيشة المتفوق للمهاجرين اليهود • لذلك نجد أنفسنا متفقين تماماً على ما ذكره السيد « و•لاكور » ، أفضل متخصص أمريكي في تاريخ الصهيونية ، حيث قال : « وقد كان العرب على حق في تخوفهم لان اليهود أرادوا تشكيل موقع قوة في فلسطين بفضل تنظيمهم الأجود وقوتهم الاقتصادية مستهدفين أن يصبحوا الاغلبية في البلاد » •••

في عام ١٩١٤ ، ومن أصل ٧٠٠٫٠٠٠ عربي ، كان عدد اليهود في فلسطين ٨٥٫٠٠٠ يهودي • فقد أضيفت الى النواة الاولية التي تحدثنا عنها موجتان

متعاقبتان من المستوطنين : ٢٠٫٠٠٠ يهودي بين عامي ١٨٨٢ — ١٩٠٣ ، ثم ٤٠٫٠٠٠ بين عامي ١٩٠٤ — ١٩١٤ • أطلق اليهود على هذه الحركة الاستيطانية لفظة « آليا » التي تعني « العودة » ، وهذه مغالطة تاريخية خبيثة تفترض حقوقا مسبقة لكافة يهود العالم في طرد السكان الفلسطينيين الاصليين للحلول محلهم • لذلك سنعمد في الفصل الثالث الى مناقشة هذا الحق التاريخي المزعوم ودحضه بالبرهان والحجة والمنطق •

في مطلع هذا القرن ، شكلت « المنظمة الصهيونية العالمية » ما أسمته « رأس المال الوطني اليهودي » لشراء الاراضي في فلسطين • وكذلك للهدف نفسه ، قام الزعيم الصهيوني الامريكي في عام ١٩٠٨ باحداث ما أطلقت عليه آنذاك تسمية « Ahuza Societies » بمهمة جمع التبرعات من المجتمعات اليهودية عبر الأطلسي• وفي العام نفسه ، أنشئت « شركة تطوير الارض الفلسطينية » من أجل القيام بالعمليات المالية وتأهيل المستوطنين اليهود في ميدان الزراعة • أما الحكومة العثمانية الغارقة في المصاعب فلم تعر هذا الموضوع الخطير الاهمية الكافية ، بل اكتفت برفض اعطاء الصفة الرسمية للوجود اليهودي الدائم في فلسطين ، بينما كان الشغل الشاغل للزعماء الصهاينة هو تعزيز مكتسباتهم بشتى الوسائل • كانت نسبة اليهود لا تتجاوز عشر السكان العرب ، لذلك لابد من تغيير في الاطار الخارجي اذا أرادوا تحقيق أهدافهم ومشاريعهم •

★ ★ ★

وهكذا جاءت الحرب العالمية الاولى ، حيث وقف الاتراك الى جانب الالمان في مواجهة الانكليز والفرنسيين والروس • ولما كان الشرق الادنى سيصبح موضع رهان هام في المجابهة ، فقد تصرف الانكليز بمهارة فائقة • ففي شهر آذار من عام ١٩١٥ ، نجحوا في صد الهجوم التركي — الالماني على قناة السويس • ثم قرروا استثمار نقطة الضعف الرئيسية في الباب العالي : وهي الانشقاق بين العرب

الأتراك • من المعروف أن العرب كانوا أكثر عدداً من الاتراك داخل الامبراطورية لعثمانيه • ورغم دلك كان الاتراك يسيطرون تماما على مجلسي النواب والشيوخ ب القسطنطينيه ، وبخاصه بعد عام ١٩٠٨ ، حيث احتكروا السلطة السياسية • هذا ما دعا العرب اطلب الدعم الاوروبي للحصول على استقلالهم بعد هزيمة لامبراطورية العثمانية • في هذا الاطار ، عقدت صفقة المغبونين المعروفة باسم . اتفاق مكماهون » بتاريخ ٢٤ تسرين الاول من عام ١٩١٥ • كما عمد الانكليز لى إثارة العرب وتأليبهم ضد الاتراك عندما وعدوا حسين بأن يتولى كشريف كة حكم مملكة عربيه كبيره مستقلة عند نهاية الحرب • بعد ذلك أرسلت حكومة ساحبة الجلالة العقيد لورانس لتحريض قبائل الحجاز ضد السلطة العثمانية • هكذا انفجرت الثورة العربية ضد الاتراك في حزيران من عام ١٩١٦ محدثة بذلك جبهة ثانية مناسبة لتقدم القوات البريطانية في صحراء سيناء •

تكللت الثوره العربيه بالنجاح ؛ وفي شهر كانون الثاني من عام ١٩١٧ ، أصبح لشريف حسين ملكاً على الحجاز • وفي تموز من عام ١٩١٧ ، إنتزع العرب مدينة لعقبة من العثمانيين ، إلا أنهم كانوا يجهلون ما يبيته لهم الفرنسيون والانكليز لذين لم يكونوا ينوون إعطاءهم الاستقلال أو تشكيل أية مملكة عربية لانهم مقدوا فيما بينهم انفاقية سرية تقاسموا بموجبها سلفاً كامل التركة العثمانية • فقد كانت اتفاقية « سايكس بيكو » ، التي أبرمت في شهر أيار من عام ١٩١٦ ، تنص على احداث منطقتي نفوذ في الشرق الاوسط : لبنان وسورية لفرنسا ، بينما أخذت بريطانيا العراق وشرقي الاردن وفلسطين ، كما أعطي نوع من حق الاشراف للروس على كل من أرمينيا وكردستان • وهكذا بقي اتفاق مكماهون حبراً على ورق ، بينما ستترك اتفاقية سايكس ـ بيكو آثارها العميقة والبعيدة المدى على المنطقة حتى وقتنا الحاضر •

لم يغرب عن بال الانكليز ، وهم يخدعون العرب بالاتفاق مع الفرنسيين ، مدى الفائدة التي يمكن أن يجنوها من الطابور الخامس اليهودي في فلسطين •

لذلك تعاونوا مع جماعة « نيــلي » التي شكلها « أهارون أهرونسوهن » ، والتي قدمت لهم المعلومات ونفذت بعض الاغارات • وقد أصبحت هذه الجماعة نموذجـاً يحتذى للمنظمات الارهابيــة اليهــودية التي قامت في فلسطين فيما بعــد • إلا أن الحركة الصهيونية لم تظهر ولاءها لأي طرف خلال الحرب ، محتفظة لنفسها بحريــة الاستفادة من الموقف الدولي الذي سينجم مهما كان المنتصرون • في بداية الحرب، بقي المقر الرئيسي للحركة في برلين لان الانتصار الالماني السريع كان متوقعاً • فــي تلك الفترة ، بدأ الصهاينة عبر نهر الراين يمارسون الضغط على الحكومة الالمانية لكي تطالب حلفاءها العثمانيين باعطاء ضمانات تتعلق بأمن اليهود في فلسطين • إلا أن هذا الضغط ما لبث أن انتقل الى انكلترة خلال النصف الثاني من الحرب مــع استمرار النفوذ في الولايات المتحدة الامريكية •

في هذه المرحلة تدخل « حاييم وايزمن » ، زعيم الصهيونية بلا منازع طــوال ثلاثين سنة ونيّف ، والصانع الحقيقي من وراء الكواليس لتصريح بلفور الشهــير عــام ١٩١٧ ، الذي ما زالت آثــاره المشؤومة وعــواقبه الوخيمة تكلف الأمــة العربية عامة والشعب الفلسطيني خاصة المزيــد من الآلام والضحايا والدماء • في عام ١٩٠٦ ، قابل وايزمن بلفــور للمرة الاولى عندما كان هــذا الاخــير رئيســاً للوزراء ، ونجح في اثــارة اهتمامه بالمشــروع الصهيوني • وفي لقــاء آخر جرى بتاريخ ١٤ كانون الاول من عام ١٩١٤ ، صرح بلفور بأنه سيسعى لدفع الامور في هذا الاتجــاه ، ولكنه ألمــح الى أن أغلبيــة يهــود انكلترة لا تشعر بأنهــا معنية بفكرة « العــودة » الى فلسطين • بعــد ذلك تابــع وايزمن اتصالاته على أعــلى المستويات بفضل الدعم الكبير الذي كان يلقــاه من أطراف صهيونية متعددة • في شهر كانون الثاني مــن عام ١٩١٥ ، إجتمع وايزمن بلويــد جورج وعرض عليــه المشروع الصهيوني من جــديد • في آذار من عــام ١٩١٥ ، قام السيد « هيربرت صموئيــل » ، وهو وزير بريطاني من أصل يهودي ، بتوزيع مذكرة على رفــاقه من أعضاء الحكومة تتضمن اقتراح تشكيل وطن قومي لليهود في فلسطــين • وفي الوقت نفسه ، كان لابد من التأثير على الرأي العام البريطاني ، فبدأت الحمــلات

الصحفية المؤيدة للصهيونية تتوالى في الصحف البريطانية من أمثال : « التـايمز »، « ما نشستر غارديـان » و « الصنداي تـايمز » وغيرها ... في كانون الاول من عام ١٩١٦ ، أصبح « لويـد جـورج » رئيسا لمجلس الوزراء ومعه « بلفـور » كوزير للخارجية . وفي مطلع عام ١٩١٧ ، عـاود « وايزمن » الكرّة من جـديد ، فطلب من لويـد جورج أن تتبنى بريطانيـا الصهيونية ، إلا أن حكومـة صاحبة الجلالة لم تكن مهتمة باليهـود ولا بدورهم المقبل بصورة جدية . لذلك كان لابد من ظروف جديدة توجه الرياح كما تشتهي السفينة الصهيونية .

في آذار ونيسان من عام ١٩١٧ ، تمكن الانكليز ، بعد قتال مرير ، من انتزاع قطاع غزة من أيدي العثمانيين . ولما كان الامبراطور الالمـاني غليوم الثاني عـارفاً بضعف حليفه التركي ، فقد أدرك عندئذ أن فلسطين ستقـع في أيدي الحلفـاء . لهذا فكر في كسب اليهود الى جانب المانيا عن طريق الاعلان عن اقامة وطن قومي اليهود في فلسطين لكي يضمن تأييد المستعمرات اليهودية المنتشرة بين القدس ويافا، والقـادرة على تأخـير التقدم البريطاني . ولما علم لويد جورج بذلك قرر قطـع الطريق على الامبراطور الالماني، فطلب من وزير خارجيته الاستجابةلمطالب وايزمن، فيكتب رسالة رسمية بهذا الشأن موجهة الى اللورد روتشيلد . وهكذا كتبتهذه الرسالة بتاريخ ٣١ تشرين الاول من عام ١٩١٧ ، ونشرت في ٢ تشرين الثاني ، حيث دخلت التاريخ تحت إسم وعـد بلفـور :

« إن حكومة صاحبة الجلالة تنظر بعين الرضى الى اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستسعى جاهـدة لتسهيل تحقيق هـذا الهدف ، آخذة بعين الاعتبار عدم المسّ بالحقوق المدنية والدينيـة للمجتمعات غير اليهودية الموجـودة في فلسطين ، ولا بالحقوق أو الوضع السياسي لليهود في البلدان الاخرى » .

من الواضح هنا أن بريطانيا أرادت الظهور كحامية للصهيونية تحقيقاً لاهدافها، وبخاصة حماية قناة السويس عن بعد وضمان مصالحها في المنطقة . وغني عن القول هنـا أن الوعـد جاء جائراً من عـدة نواح : فقد دفن قرناً كاملا من الجهود التي

بذلها اليهود الغربيون لكي يندمجوا كلياً في البلدان التي يعيشون فيها ، حيث اعتبر هذا الوعــد المشؤوم أي يهودي أينما كان فرداً من الشعب اليهودي قبل أن يكون مواطناً في هذا البلد أو ذاك . أما الفلسطينيون ، أي ٩٢٪ من سكان فلسطين عند صدور الوعد ، فقد أغفل حقهم كشعب وأصبحوا مجرد « مجتمعات غير يهودية » كأيــة أقليــة ... ولا شك في أن أفضل تعليق على هذا الوعد الفريد من نوعــه نجده في رسالة بعث بها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الى الرئيس جون كينيدي قال فيه :

((إن دولة بلا صفة قد منحت بــلداً لا تملكه الى أناس لا يستحقونه)) .

في ٩ كانون الأول ، انتزع الانكليز مدينة القدس من الأتراك . وفي آذار من عام ١٩١٨ ، قام لويد جورج ، لتشديد القبضة الانكليزية على فلسطين ، بمجازفــة كبيرة عندما سحب جزءاً من قواته على الجبهــة الأوروبية وأرسلهــا الى الشــرق الاوسط . هــذه الخطيئة التكتيكية ، التي انتقدتها هيئــة الاركان بشدة ، كادت تكلف الحلفاء غالياً آنذاك . بعد أسبوعين ، تحررت ألمانيا من حربها ضد روسيــا وقامت بهجوم عنيف باتجاه الغرب ملحقة هزيمة فادحة بالفرنسيين والانكليز الذين لم ينقذهم سوى التدخل الامريكي في اللحظة الاخيرة .

لكي ينقبل الغرب فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين ، بقي على اليهــود إقناع الولايات المتحدة بتبني المشروع الصهيوني . لذلك قام أحد الساسة اليهود البارزين في انكلترة بمطالبة أعضاء الحكومة بالضغط على الحليف الامريكي (الذي دخل الحرب في نيسان من عام ١٩١٧) لكي يلتزم هو الآخر بوعد بلفور . وقد كان الجو في الولايات المتحدة مناسبا للصهيونية أكثر مما كان عليه في زمن « هرتزل » : ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٠٠ و ١٩١٠ ، هاجر مليون يهــودي من روسيا الى الولايات المتحدة . وعندما أعيد انتخاب « ولسون » رئيساً في ٢٠ كانون الثاني من عام ١٩١٧ ، أصبح ثلاثة من كبــار مستشاريه من الصهاينــة (رابين ستيفن وايز ، براندس وبيرنارد باراش) . كل هــذا مهد السبيل أمــام الحــوار الانكليزي ــ

الامريكي من أجل اعطاء وعد بلفور قوة القانون الدولي في اطار عصبة الامم المزمع إحداثهـا .

من المعروف أن ميثاق عصبة الامم قـد وجد حلا لمسألة الممتلكات القديمـة لكل من ألمانيـا والامبراطورية العثمانية . وهو نظام الانتداب . فقد وضعت هذه الممتلكات تحت وصاية عصبة الامم التي عهدت بادارتها الى هذه أو تلك من الدول المنتصرة . وعلى الدولة المنتدبة رفع تقرير سنوي الى لجنة الانتداب الدولية تبـين فيه مراحل العمل التدريجي لاعداد الشعوب للتحرر والاستقلال وفق ثلاثة أنـواع من الانتداب (آ ــ ب و جـ) . وليس من قبيل الصدفة أن ينطبق انتداب كل مـن فرنسا وانكلترة في مؤتمر سان ــ ريمو ، الذي عقد في نيسان من عام ١٩٢٠ ، بدقة على حدود مناطق النفوذ الواردة في اتفاقية سايكس ــ بيكو السرية سنة ١٩١٦ . وهكذا حكمت فرنسا شمالا (سوريا ولبنان) ، وانكلترة جنوبا (العراق ــ شرقي الاردن وفلسطين) . بالنسبة لفلسطين ، جاء مؤتمر سان ريمو ليؤكد وعد بلفور .

عند ذلك عرف العرب دون أي لبس أو غموض أن مساعدتهم للانكليز لـم تؤد الى شيء سوى تغيير الحاكم والوصي ، حيث حل الانتداب الاوروبي محـل الانتداب العثماني . لذلك بقي عام ١٩٢٠ عام النكبة في ذاكرة الجماهير العربيـة حتى يومنا هذا . حاول الشريف حسين تذكير الانكليز وغيرهم بالوعد الذي قطعه على نفسه مكماهون فيما يتعلق باقامـة المملكة العربية الكبرى ، إلا أن نداءه بقي مجرد صرخة في واد .

في تموز من عام ١٩٢٠ ، عين الصهيوني « هيربرت صموئيل » مفوضاً سامياً بريطانيا في فلسطين وكأن الانتداب أمر واقع . و ٢٤ تموز من عام ١٩٢٢ أصبـح الانتداب رسميا بعد أن وافقت عليه عصبة الامم ، ثم أصبح ساري المفعول في ٢٩ أيلول سنة ١٩٢٣ وأدرج في اطار معاهدة لوزان في شهر آب من عام ١٩٢٤ .

اعتبارا من عام ١٩٢٠ ، نقلت الحركة الصهيونية العالمية مقرها الى لندن ، بعد

أن اعتمد وايزمن كمسؤول رئيسي عن مصير الوطن القومي اليهودي في فلسطين • لقد أصبح من الممكن الآن ارساء دعائم الدولة اليهودية المقبلة تحت الحماية البريطانية • إلا أن الوافدين الجدد من اليهود الى فلسطين ظلوا أقل بكثير من الآمال والطموحات : فالموجة الثالثة (١٩١٩ ــ ١٩٢٣) لم تأت إلا بالعدد الكافي للرجوع بمستوى السكان اليهود الى حدود عام ١٩١٤ • أما الموجة الرابعة (١٩٢٤ ــ ١٩٣٢) فقد جلبت ٨٩٠٠٠ مستوطن • بمثل هذه الوتيرة ، من المستحيل على اليهود اللحاق كمياً بالعرب الفلسطينيين الذين يتوالدون بكثرة • بل وصل الامر أبعد من ذلك : « ففي عام ١٩٢٧ ، ولأول مرة ، فاقت نسبة المهاجرين اليهود الوافدين الجدد »(١) • في هذه الفترة نفسها ، أعلن ستالين عن مشروعه المتعلق **« بالوطن اليهودي السوفياتي »** في « بيرو بدجان » الواقعة على أطراف الشرق الاقصى • وفي عام ١٩٣٤ ، أصبحت « بيروبدجان » هذه « منطقة يهودية ذات حكم ذاتي » إلا أن تجربة فلسطين السيبيرية هذه فشلت فشلا ذريعا : ففي عام ١٩٦٨ ، بقي عدد سكانها اليهود حوالي ٢٥,٠٠٠ رجل مقابل ١٦٠,٠٠٠ من السكان الآخرين • لذلك يمكن القول أن فكرة الانفصال عن سائر الشعوب لم تجد آذاناً صاغية لدى الكثيرين من اليهود في المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي حتى عام ١٩٣٠ •

قد لا نكون مبالغين اذا قلنا أن النازية هي التي أنقذت المشروع الصهيوني وبعثت حلم « العودة » من جديد ••• في عام ١٩٢٧ ــ ١٩٢٨ ، اشتد ساعد الحزب الوطني ــ الاشتراكي بزعامة هتلر ، وأصبح من المرشحين لاستلام السلطة في ألمانيا• لا شك في أن نزعة هذا الحزب ضد السامية كانت ظاهرة للعيان ، ولكن الصهاينة الغربيين بالغوا في ذلك وأخذوا يدعون يهود ألمانيا للفرار بأسرع ما يمكن • الفرار إلى أين ؟ لقد كانت كافة الابواب موصدة باستثناء فلسطين ••• أليست هذه مفارقة عجيبة حقا ؟••• وهكذا لم تقبل في عام ١٩٣٥ سوى أعداد ضئيلة من

(١) ــ الكتاب السنوي اليهودي الامريكي ــ صفحة ٥٣ •

اللاجئين اليهود الالمان في البلدان التي كان اليهود يتمتعون فيها بنفوذ كبير : ٦٢٥٢ في الولايات المتحدة ، ٣١٥٩ في الارجنتين ، ١٠٧٨ في افريقيا الجنوبية و ٦٢٤ في كندا • ولكن في العام نفسه وصل الى فلسطين ٦١٨٥٤ لاجئاً • لذلك قال « شيفر » :

« كان اليهود الالمان أمام حلين أحلاهما مر : الذهاب الى معسكرات التوجيه الصهيوني ثم التوجه الى فلسطين ، أو الذهاب الى معسكرات الاعتقال النازية»[1]•

لندع جانبا الآن هذا التلاقي العجيب بين العدوين اللدودين : النازية والصهيونية اللذين يعملان معا لهدف مشترك هو « الغيتو الفلسطيني » بمساعدة الغرب الذي أقفل أبوابه في وجه اليهود الالمان الذين يفتشون عن ملجأ يأوون اليه، ولنكتف بذكر الارقام : في الفترة الواقعة بين عامي ١٦٢٩ ـــ ١٩٣٦ ، دخل فلسطين ١٨٨,٠٠٠ يهودي • ومنذ استلام هتار الحكم ، وصل الى فلسطين بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٣٩ أكثر من ٠٠٠ ٢١٢ يهودي • وخلاصة القول أن انتصار النازية في ألمانيا هو الذي جنب المشروع الصهيوني الفشل المحتم •

في فلسطين نفسها ، بدأت الصدامات بين العرب واليهود تزداد حدة ، وبخاصة بعد خيبة أمل العرب إثر وعد بلفور الذي أعطى اليهود حق إقامة وطن قومي لهم في فلسطين واعتبرهم أقلية رغم كونهم الاغلبية الساحقة وأصحاب الارض الحقيقيين • وقد بلغ السيل الذبى عندما عقد مؤتمر السلم في فرساي سنة ١٩١٩ حيث تم فيه تمثيل يهود فلسين (٨ ٪ من السكان) بواسطةوفد برئاسة « فيليكس فرانكفورتر » ، بينما لم يخصص على مائدة المفاوضات أي مقعد للفلسطينيين (٩٢ ٪ من السكان) • أضف الى ذلك الانتداب الذي قرره مؤتمر « سان ريمو » سنة ١٩٢٠ ، والذي ألغى بطبيعة الحال وعود « مكماهون » المتعلقة بالاستقلال العربي • في عام ١٩٢١ ، وطيلة شهر أيار ، استمرت الصدامات

---

(١) ـــ انظر الكتاب « هـ • ج • شيفر » ـــ صفحة ١٧٩ •

الدامية بين العرب واليهود في مدينة يافـا ، حيث سقط ٩٥ قتيلا و ٢١٩ جريحـاً ، جراح معظمهم خطرة • وهكذا أخذ التوتر يزداد حدة والجو ينذر بأفدح العواقب، مما أدى الى ظهور حركة في القدس قام بها بعض المعتدلين اليهود أطلقوا عليها اسم « بريت شالوم » ، وصاروا يقاومون كل تطرف ويدعون الى دولة فلسطينية عربية ــ يهودية • إلا أن أصوات هؤلاء لم تسمع ، فنفجرت من جديد أحداث آب مــن عام ١٩٢٩ ، حيث سقط ١٣٣ قتيلا من اليهود و ٨٧ من العرب •

في هذه المرحلة المضطربة ، ظهر الحاج أمين الحسيني ، الذي عين مفتيـا لبيت المقدس سنة ١٩٢١ ، كزعيم بلا منازع للحركة الوطنية العربية في الديار المقدسة • كان لليهود في فلسطين عــدد من المؤسسات المكلفة بالدفاع عن مصالحهم سلمياً • فالوكالة اليهودية في فلسطين ، وهي فرع من المنظمة الصهيونية العالميــة ، قد ورد تشكيلها في البند الرابع من صك الانتداب بمهمة التفاوض مع انكلترة في المسائــل الهامة • كذلك كانت هناك مجموعات ثقافية ونقابية • إلا أن كل هــذا ما لبث أن تحول بسرعة وبدأ تشكيل الجماعات الارهابية المسلحة • قبل الحرب العالمية الاولى، كانت توجد منظمات من هذا النوع مثل « منظمة هاشومير » ، ثــم جاءت منظمــة « نيــلي » في عــام ١٩١٥ • وما كاد القتــال يتوقف بــين الحلفاء والاتراك ، حتى غصت المستودعات السرية اليهــودية بالاسلحــة كما أحدثت على عجــل مراكز بدائية لتدريب الشبان الصهاينة •

في عــام ١٩٢٠ ، شكلت الجماعــة الارهــابيــة المتطــرفــة المسمــاة « الهاغــانا » • وفي عــام ١٩٣١ ، ظهرت جماعة « الأرغــون » ، التي استلم قيادتهــا فيما بعد الارهــابي مناحيم بيغن مــن كانون الاول ١٩٤٣ حتى عــام ١٩٤٨ • فيعام ١٩٤٠ ، قام بعض المنشقين عن الأرغون بتشكيل جماعة «شتيرن» أو « ليهي » التي اشتهرت في تشرين الثاني من عــام ١٩٤٤ عندما اغتالت الممثل البريطــاني الرسمي في القــاهرة • في الواقــع ، لم تبق أيــة منظمة يهوديــة (بما في ذلــك « الهيستادروت » التي شكلت في حيفـا سنة ١٩٢٢ ، والتــي

قادها بن غوريون طوال خمسة عشر عاما كأمين عام لها) لم تشترك في أعمال الارهاب بشكل أو بآخر ، حتى الاتجاه الاصلاحي « التعديلي »، الذي شكل « جابو تنسكي » في إطاره « المنظمة الصهيونية الجديدة » سنة ١٩٣٥ ، أصبح لها تشكيلها العسكري تحت اسم « بيتار » • وأخيراً ، ظهر مغاوير «الباطاخ » خلال الحرب العالمية الثانية • لذلك كان لابد للمحظور أن يقع ؛ فعلى إثر اضراب عام أعلنه العرب في ١٩ نيسان من عام ١٩٣٦ ودام ستة أشهر ، قامت حرب أهلية دامية استمرت ثلاث سنوات • وقد كانت « الهاغانا » لوحدها قوة عسكرية منظمة تضم عدة آلاف من الرجال •

وهكذا رأى الانكليز بأعينهم نتائج وعد بلفور : من دماء ودموع وخراب ، ولا شك في أن السنوات التالية ستكون أشد هولا وقسوة • إلا أن نشاطهم الوحيد خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩١٨ و ١٩٣٩ ، انحصر في كتابة تقارير متناقضة : ففي عام ١٩١٩ ، خلصت « لجنة كنغ ــ كراين » الى النتيجة التالية : « ينوي الصهاينة انتزاع ملكيات السكان غير اليهود بأشكال ووسائط مختلفة لشراء الاراضي والممتلكات » • وبعد كل تمرد عربي كان يرفع تقرير ينصح بالحد من الهجرة اليهودية : كالكتاب الابيض لعام ١٩٢٢ على مسؤولية السيد ونستون تشرشل، الذي كان وزيراً للمستعمرات ؛ تقرير « شو » والكتاب الأبيض لـ « باسفيلد » سنة ١٩٣٠ ؛ كتاب أبيض آخر سنة ١٩٣٩ يحدد الهجرة اليهودية خلال خمس سنوات بـ ٧٥٠٠٠ دخول • إلا أن ردة الفعل الصهيونية جاءت عنيفة ، الى أن قام الزعيم اليهودي البريطاني « سير لويس ناميبه » بالضغط على رئيس الوزراء ماكدونلد الذي كتب بدوره الى حاييم وايزمن رسالة يستنكر فيها استنتاجات الكتاب الابيض لـ « باسفيلد » • رغم ذلك فضل الصهاينة اللجوء الى الهجرة غير المشروعة بشتى الطرق تهرباً من القيود •

في عام ١٩٣٧ ، عرض المفوض العام الانكليزي « بيل » (Peel) فكرة تقسيم فلسطين الى دولة يهودية وأخرى عربية مع وضع خاص للاماكن المقدسة ،

إلا أن العرب اعترضوا على هذا المشروع بشدة وأصروا على البقاء أسيادا في آراضيهم • أما مؤتمر لندن الذي عقد في شباط من عام ١٩٣٩ ، والذي مثّل فيه العرب للمرة الاولى ، فقد فشل هو الآخر فشلا دريعاً • عند ذلك نشبت الحرب العالمية الثانية لتساهم بشكل حاسم في نجاح المخطط الصهيوني تماما كما ساهمت الحرب العالمية الاولى في دعمه •

★ ★ ★

بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٥ ، استطاعت الجماعات الارهابية اليهودية الحصول على الكثير من العتاد الحربي ، مستغلة تعبئة القوات الانكليزية وانتشارها على الجبهات المختلفة ضد ألمانيا (كمعركة الاطلسي والعلمين وأوروبا) • وهكذا تمكنت الهاغانا بصورة خاصة من أن تصبح جيشا حقيقيا قويا ، جيد التسلح والتدريب • لذلك قال الملك ابن سعود للرئيس روزفلت ، عندما قابله على ظهر السفينة « كوينسي » في ١٣ شباط ١٩٤٥ ، ما يلي :

« يمتلك اليهود الآن جيشا في فلسطين ، ولا أعتقد أنهم أعدوه من أجل قتال الالمان ، بل للانقضاض على الاغلبية العربية » • أي أن مذبحة دير ياسين كانت تحضر ••••

بانتظار « الانقلاب على العرب » ، أخذت العصابات الارهابية تهاجم القوات البريطانية بواسطة أعمال الازعاج والتخريب والاغتيال • وهكذا أصبحت القوات الصهيونية على درجة من القوة تكفي لكي تحاول انتزاع قناع الحماية والوصاية والاستيلاء على فلسطين بالعنف • من مجموع المئتي رجل من الرعايا الانكليز الذين اغتيلوا في فلسطين ، قتل ٩١ شخصا في الانفجار الذي وقع في فندق الملك داوود (المقر العام للادارة البريطانية) يوم ٢٢ تموز سنة ١٩٤٦ • أما العصابة التي قامت بهذا العمل فهي « الأرغون » ، أي مناحيم بيغن • ومن الجدير بالذكر هنا أن قادة الارهابيين المتطرفين من أمثال « إيغال ألون » قائد البالماخ ومناحيم بيغن قائد

الأرغون ، قد أصبحوا زعماء اسرائيل فيما بعد : حيث أصبح الاول رئيساً للوزراء سنة ١٩٦٩ ، بينما لايزال الثاني الزعيم القوي والحاكم شبه المطلق لاسرائيل .

بانتظار الانقلاب على العرب ، لم يكن الارهاب اليهودي يستهدف سلطة الانتداب فقط ، بل كان تعبيرا عن الاحتجاج على الحد من الهجرة اليهودية الى الديار المقدسة . يقدر عدد الذين دخلوا فلسطين سرا بحوالي ٦٢٥٠٠ شخص خلال الحرب العالمية الثانية . وعندما حاولت السلطات البريطانية فرض النظام وتطبيق القانون بصفتها دولة منتدبة ، حولت الدعاية الصهيونية الاحداث الصغيرة وغير المشروعة الى أسطورات بطولية . وهكذا ، عندما لم يسمح لـ (٤٢٠٠) يهودي بالنزول الى مرفأ حيفا ، تحول هذا الموضوع الى فيلم سينمائي قدمته هوليود للعالم وكأنه صورة حية عن ضحايا مساكين يحرمون من حق العودة الى بلدهم ، وليس كغزاة معتدين يحاولون سرقة أراضي الآخرين وطردهم منها .

اعتبارا من عام ١٩٤٢ ، أصبح من الواضح (رغم عدم توفر التفاصيل حول غرف الاعدام بالغاز) أن يهود أوروبا قد يتعرضون للموت خلال وقت قصير. لذلك ارتفعت بعض الاصوات اليهودية في كل من انكلترة والولايات المتحدة(حيث النفوذ الصهيوني في أوجه) تطالب باستقبال الفارين من معسكرات الاعتقال النازية، ولكن أصحاب النفوذ من الصهاينة لم يحركوا ساكنا في هذا الاتجاه لانهم كانوا يسيرون وفق خطتهم المرسومة ، والتي تهدف الى تحويل ما يمكن تحويله الى فلسطين دون سواها .

في حزيران ١٩٤٤ ، ثبت نوع من التواطؤ الضمني في ذبح اليهود بين النازية والصهيونية فرضه الهدف المشترك دون اتفاق بطبيعة الحال . والدليل على ذلك أن النازيين عرضوا على انكلترة ، بواسطة « يول براند » ، استبدال مئة ألف يهودي هنغاري بعشرة آلاف شاحنة ، ولكنهم لم يلقوا آذانا صاغية . أليس غريبا حقا أن يستطيع اللوبي الصهيوني في بريطانيا أن يفرض على الحكومة الانكليزية (في عام ١٩١٧) الموافقة على إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، بينما يعجز في عام

١٩٤٤ عن اقناع الانكليز بانقاذ مئة ألف يهودي مقابل ثمن زهيد لايمكن أن يؤثر على مصير القتال !٠٠٠ ٠

بعد « ميثاق الاطلسي » لعام ١٩٤١ بين تشرشل وروزفلت ، ثم دخول الولايات المتحدة الحرب في إثر حادثة « بيرل هاربر » ، تركز الضغط الصهيوني على الولايات المتحدة حيث ستتخذ القرارات الهامة المتعلقة بالمستقبل من الآن فصاعدا ٠ في الفترة الواقعة بين ٦ ــ ١١ أيار ١٩٤٢ ، عقد مؤتمر « بيلتمور » ، وهو اسم لفندق نيويوركي كبير تجمع فيه ٦٠٠ مندوب صهيوني ٠ وفي عام ١٩٤٥ ، طالبت المنظمة الصهيونية العالمية بالغاء الانتداب البريطاني في فلسطين وباقامة دولة يهودية ؛ إلا أن لجنة التحقيق الأنغلو ــ أمريكية التي زارت الديار المقدسة في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٤٥ ، إقترحت ابقاء الانتداب ، وذلك في تقريرها الذي رفعته في الاول من أيار ١٩٤٦ ٠ عندئذ ، وازاء هذا الوضع المتفجر ، أرادت انكلترة التهرب من اتخاذ القرار الصعب فأحالت الاضبارة كلها الى منظمة الامم المتحدة في شهر أيار من عام ١٩٤٧ ٠ هنا شكلت لجنة خاصة كلفت بدراسة المسألة الفلسطينية رفعت تقريرها في ٣١ آب ١٩٤٧ ، تقترح فيه على المنظمة الدولية تبني مخطط لتقسيم فلسطين الى دولة عربية وأخرى يهودية مع نظام خاص للقدس ٠ لن ندخل هنا في تفاصيل مشروع التقسيم لانه معروف ، ولكننا نريد لفت الانظار الى أن معظم الاراضي الخصبة الصالحة للزراعة كانت من نصيب الدولة اليهودية ٠

انتقلت اللعبة الى الامم المتحدة وأروقتها وكواليسها ، حيث الضغط الصهيوني لا يقاوم ٠ أثناء التصويت ، كان كل عضو يدرك جيداً أن مستقبل الشرق الاوسط موضع رهان لعشرات السنين القادمة ، ولكن من كان يتصور أنه بتأييده للتقسيم يصوت لصالح خمس حروب دامية ستعرض السلام العالمي كله للخطر ؟٠٠٠

أثناء الحديث عن ذكرياته ، نوّه الرئيس ترومان « بضغوط اللوبي الصهيوني على البيت الابيض ، والتي لم تتوقف حتى بعد ضمان التصويت لصالح التقسيم ٠ فقد ظل الافراد والجماعات اليهود يترددون علي طالبين مني التدخل ضد العرب

وإرسال جنود أمريكيين مع الايعاز للحكومة الانكليزية بعدم دعم العرب ، وبعمل هذا أو ذاك الخ ... » .

وهكذا أصبحت الورقة الامريكية هي الاساس الذي يعتمد عليه الصهاينة لكسب التصويت لصالحهم . ومن الجدير بالذكر هنا أن مكتب الاحصائيات الامريكي قد ذكر أن عدد السكان اليهود في أمريكا قد ارتفع من ٢٣٠,٠٠٠ في عام ١٨٧٧ الى ٤٠٠٠٠٠٠ ٥٠٠ في عام ١٩٢٦ . أضف الى ذلك أن روزفلت المعروف بولائه الشديد للاوساط الصهيونية كان قد ترك بصماته في البلاد نتيجة إعادة انتخابه المتكرر في عام ١٩٣٦ و ١٩٤٠ ثم ١٩٤٤ قبل وفاته بقليل . وهكذا تم تشكيل «لجنة فلسطين الامريكية » من قبل مسيحيين مؤيدين للصهيونية . ولم تكتف الولايات المتحدة الامريكية بالتصويت لصالح التقسيم ، بل فرضت على كافة الدول الدائرة في فلكها أن تحذو حذوها أيضا .

أخيرا جاء اليوم المنشود والمنتظر . كان لابد من توفر ٣٢ صوتا لصالح التقسيم : وقد تأمن فعلا ٣٣ . وهكذا صدر قرار منظمة الامم المتحدة في ٢٩تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ ، قاضيا بالتقسيم ومجردا الأغلبية العربية من أراضيها وسيادتها على فلسطين . بهذا انتهى الانتداب البريطاني وأصبحت الدولة اليهودية قائمة ومعترفا بها رسميا على الصعيد الدولي ، كما تملك ٥٥٪ من أفضل الاراضي .

خلال هذه الفترة كلها ، والتي تعتبر حاسمة وحيوية بالنسبه للمستقبل ، كان أغرب موقف هو موقف الاتحاد السوفياتي . فقد كان العالم كله ينظر اليه على أنه المعقل المناهض للصهيونية ، خاصة وأن عقيدته الشيوعية تدين بحزم العقيدة الصهيونية كشكل من أشكال الوطنية المتعصبة وكأداة في يد الامبريالية . ما الذي حدث اذن في اللحظة الحاسمة للتصويت ؟ في نهاية الحرب ، ساهم السوفييت في جهاز دولي يمثل المفوضية العليا للاجئين في الامم المتحدة ، والذي كان يسمى : ادارة الامم المتحدة للانقاذ والانعاش ، التي كان يرأسها صهيوني ذو نفوذ كبير من يهود الولايات المتحدة هو عضو مجلس الشيوخ « لهمان » (Lehman) .

وقد تم ، بموافقة هذه الادارة وباشرافها ، تهجير عـدد كبـير من يهود أوروبا الى فلسطين . في تلك الفترة بالذات . كان تحرك السكان مراقباً بشكل صارم في بلدان الكتلة الاشتراكية حتى داخل البلد الواحد ، ومع ذلك تمكن عدد كبير من اليهود من الهجرة الى فلسطين . في عـام ١٩٥١ ، نشرت الحكومة الاسرائيلية احصائيات رسمية : فمن أصل ١٫٤ مليون يهودي ، كانت أقلية محدودة قد ولدت في الديـار المقدسة ، وحوالي ١٫٠٦١٫٠٠٠ يهودي ولدوا في الخارج منهم ٥٧٧ ٠٠٠ قدموا من خلف « الستار الحديدي » . وفي عام ١٩٤٧ ، قبل الاتحاد السوفياتي أن يتم تمثيل يهود فلسطين من قبل وفد رسمي منبثق عن الوكالة اليهودية ، بينما لـم يكن هناك أي تمثيل أو حضور للاغلبية العربية في المنظمة الدولية . تصرف غريب ولاشك من دولة معادية للصهيونية وصديقة للعرب !٠٠٠ ثم في ٢٩ تشرين الثاني من عام ١٩٤٧، صوت الاتحاد السوفياتي لصالح التقسيم دون تردد ، مؤيـداً بذلك قيام الدولـة اليهودية . وعندما نشبت الحرب الاولى الاسرائيليـة ــ العربية في عـام ١٩٤٨ ، أرسلت الكتلة الاشتراكية الاسلحة الى الاسرائيليين عن طريق تشيكوسلوفاكيا . إلا أن الاتحاد السوفياتي ما لبث أن عاد مضاداً للصهيونية بعد أن أصبحت إسرائيل دولة قوية بمنأى عن أي خطر . هذه وقائع لابد من ذكرها للتاريخ ، « إذ لاتوجد في العلاقات الدولية صداقات أو عداوات دائمة بل هناك مصالح دائمة » .

صحيح أنه أصبح لليهود ، اعتبارا من ٢٩ تسرين الثاني لعام ١٩٤٧ ، ٥٥ ٪ من فلسطين ، إلا أنهم لا يشكلون حتى في هذه الارض سوى أغلبية ضئيلة بالنسبة للسكان العرب . لذلك لم يكتفوا بهذا ، بل أرادوا ألا يكون عندهم سوى أقـل عدد ممكن من العرب (وهـذه أمنية دائمة منـذ عام ١٩٤٨ ، سـواء فيما يتعلق باسرائيل أو بالاراضي المحتلة في الضفة العربية وغزة والجولان والقدس) . لـم يكن باستطاعة اليهود ترحيل العرب في شاحنات وارسالهم الى « دولتهم العربيـة » المحدثه . من هنا ظهرت فكرة « دير ياسين » . لذلك أطلقت أول كـرة اختبار ليلة ٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ في مدينـة القدس نفسها ، حيث قـام ارهابيون يهـود بتفجير فندق سميراميس الذي سقط فيه ٢٢ قتيلا من بينهم القنصل الاسباني العام.

أما بالنسبة لما حدث في دير ياسين يوم ٩ نيسان ١٩٤٨ ، فاننا نكتفي بالتعليق الذي ورد في مجلة « تايم » النيويوركية لانه واضح ومختصر : « ظهر فجأة في قرية دير ياسين العربيه ارهابيون يهود من جماعة « شتيرن » و « الأرغون » ، حيث قاموا بذبح كل من صادفوه هناك • وقد اكتشفت فيما بعد ٢٥٠ جثة عربية معظمها من النساء والاطفال ، كانت قد ألقيت في أعماق الآبار » •

ما كاد نبأ هذه المذبحة الرهيبة ينتشر حتى دب الرعب والهلع في نفوس السكان العرب الذين أخذوا يفرون خارج « الدولة اليهودية » الجديده للالتجاء الى «دولتهم العربيه » ، تاركين حقولهم ومنازلهم بالآلاف • بعد حادثتي فندق سميراميس ودير ياسين ، تدفق الارهابيون اليهود يجوبون شوارع القدس وغيرها من المدن الكبرى في المنطقة التي أهدتهم اياها المنظمة الدولية وهم يحملون مكبرات الصوت يحذرون بواسطتها السكان العرب : « أهربوا بسرعة ، فطريق أريحا ما زالت مفتوحة أمامكم • أهربوا اذا كنتم تريدون الحياة »[1] وقد روى السيد « أرتور كوستلر » ، الذي كان في فلسطين آنذاك ، كيف أن مدن حيفا ويافا وطبريا قد خلت من سكانها العرب بعد مجزرة دير ياسين • ما هو العدد الذي بقي إذن من أصحاب الارض الحقيقيين في « الدولة الصهيونية » عندما احتفلت بما سمي « استقلالها » ؟ لا أحد يعرف على وجه التحديد • إلا أن احصائية موتوق بها ذكرت أنه لم يبق من الـ / ٩٤٧ ••• / عربي الموجودين في الجزء اليهودي سوى / ١٢٠ ••• / فقط •••

وهكذا أصبح بامكان الصهاينة أن يحتفلوا بانتصارهم : فقد نجح الارهاب والسلب والطرد في إعطائهم الدولة اليهودية التي طالما انتظروها منذ « مؤتمر بال » سنة ١٨٩٧ • وفي ١٤ أيار من عام ١٩٤٨ ، أي في العام ٥٧٠٨ من خلق العالم حسب التقويم اليهودي ، أعلن دافيد بن غوريون من تل أبيب ولادة دولة اسرائيل • وهكذا ستقوم هذه الدولة ، التي قامت على الظلم والعنف ، بنشر الارهاب في المنطقة كلها ، كما ستصبح عاملا دائماً من عوامل عدم الاستقرار الدولي •••

---

(١) ـ انظر « العصور الحديثه » (Topo Medermes) ـ صفحة ١٨٠ •

في نفس هذا اليوم ، ١٤ أيــار ١٩٤٨ ، كانت القوات البريطانية تبحر مغادرة الديــار المقدسة • لقد أطلق العرب على عام ١٩٤٨ هذا وبحق « عام الكارثة » : ففي عام ١٩٤٦ ، كان اليهود (وعددهم ٦٠٨٠٠٠) لا يمتلكون سوى أقل من ٨٪ من الارض ، بينما أصبحوا يسيطرون في عام ١٩٤٨ على ٥٥٪ مــن أكثر الاراضي الفلسطينية خصوبة • أما بالنسبة لزيادة عدد السكان اليهود وتطوره في فلسطين ، منذ البدايات وحتى اعلان قيام الدولة ، فهي ملخصة في الجدول رقم /١/ التالي :

سكــان فلسطــين	١٨٨٢	١٩١٤	١٩١٨	١٩٢٢	١٩٣١	١٩٣٩	١٩٤٦
يهــــود	٢٤٠٠٠	٨٥٠٠٠	٦٠٠٠٠	٨٤٠٠٠	١٧٥٠٠٠	٤٢٦٦٠٥	٦٠٨٠٠٠
عــرب	٤٥٠٠٠٠	٦١٥٠٠٠	٦٤٠٠٠٠	٦٦٨٠٠٠	٨٢٥٠٠٠	١٠٧٣٣٩٥	١٢٣٧٠٠٠
المجمـــــوع	٤٧٥٠٠٠	٧٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠	٧٥٢٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	١٨٤٥٠٠٠

مخطط التقسيم (١٩٤٧)

الدولة اليهودية	الدولة العربيــة	القدس (منطقة دولية)
٤٩٨٠٠٠ يهودي	١٠٠٠٠ يهودي	١٠٠٠٠٠ بهودي
٤٩٧٠٠٠ عربي	٧٢٥٠٠٠ عربي	١٠٥٠٠٠ عربى
٥٧ ٪ من **الاراضي**	٤٢ ٪ من الاراضى	

★ ★ ★

الفصل الثاني

حروب التوسع وسياسة الضم

(١٩٤٨ ـ ١٩٨٢)

« قـد يكون لقصـر نظر الاسرائيليين ما يبرره بسبب شعورهم بالحصار . الا أنـه غـير مبرر لدى مـن يدعمون اسرائيل في تصلبها ، لانهم بذلك يشجعونها على المضي في طريق لابد أن تؤدي الى دمارها وربما دمارنا نحن بمرور الزمن » .

(السيناتور وليام فولبرايت)

لقد ورث العرب من ماضيهم المجيد ، عنـدما كان الاسلام يسود من بغـداد الى قرطبة ، حنيناً دائمـاً وشوقاً كبيراً الى الوحدة . لذلك رأينا الأمة العربية تهتز من المحيط الاطلسي الى الخليج ، متجاوبة مـع نداء الوحـدة الذي وجهه الرئيس عبد الناصر . وعندما طرد العرب من أراضيهم بعـد صدور قرار التقسيم بأغلبيـة صوت واحد ، هبت الدول العربية تحتج بواسطة مندوبيها غير الكثيرين آنذاك في الامم المتحـدة (لأن عـددا منها لم يكن قد حصل على استقلاله بعـد ، كالجزائر والمغرب وتونس وغيرها) ، كما أيدتها في ذلك الدول الاسلاميـة وشكلت لجنـة برئاسة محمد ظفر الله خان للمطالبة ، في إطار الامم المتحدة ، بالغـاء قرار التقسيم . كذلك رفعت قضية الشعب الفلسطيني أمام محكمة العدل الدولية في لاهاي ، ولكن كل هذه الجهود باءت بالفشل . لهذا كان لابد لطبـول الحرب أن تقرع بعـد أن سُدّت في وجه الحق العربي الفلسطيني كل السبل .

ـ ضم ٦٠٠٠ كم٢ (١٩٤٨ ـ ١٩٤٩) :

في الفترة الواقعة بين ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ و ١٤ أيـار ١٩٤٨ ، أدت أعمال الارهاب اليهودية ، مثل دير ياسين وسواها ، الى وقوع عدد كبير من الضحايـا ، مما أدى كما رأينا الى هجرة جماعية عربية كبيرة • لذلك قرر العرب عدم السكوت إزاء هذا المصير المفجع الذي لاقاه الاشقاء الفلسطينيون ، فأعلنوا الحرب يوم ١٥ أيـار ١٩٤٨ بعـد أن غـادر الانكليز الاراضي الفلسطينية • جرت الحرب عـلى مرحلتين : من ١٥ أيـار حتى ١١ حزيران ، ثم من ٨ ـ ١٨ تموز ١٩٤٨ عندما أعلن أول وقف لاطلاق النار بناء على طلب مجلس الامن • كانت القوات المصريةوالعراقية والسورية واللبنانية مجتمعة كجيش تحرير لفلسطين تحت قيادة الجنرال اسماعيـل صفوت ، يدعمـه الجيش العربي الاردني تحت قيـادة الجنرال « كـلوب باشا » البريطـاني . **بلغ مجموع القـوات العربيـة / ٢٠٠٠٠ / جنـدي ينقصهم التنظيـم والتدريب** • في الطرف المقابل ، **كان جيش الهاغانا « الذي عبىء فيه كافة الرجال بين ١٧ ـ ٣٥ عاما) يضم / ٤٥٠٠٠ / جندي** تمرس معظمهم في القتال ، سواء مع قوات الحلفـاء خلال الحرب أم من خلال النضال السري ضد سلطات الانتداب البريطانية؛ **وقد انضم الى هؤلاء في ٣١ ايـار ١٩٤٨ حوالي ١٥٠٠ مغوار من جماعة « الأرغون »**• وهكذا ، في ٣ حزيران ، تشكل الجيش الاسرائيلي (تساهال) الذي التحقت بـه أيضا جماعة « ليهي » •

بمثل هذه النسبة من القوى كان لابد لليهود أن ينتصروا ، وهذا ما حدث فعلا عندما أعلن عن الوقف الثاني لاطلاق النار من قبل مجلس الامن في ٧ كانون الثاني ١٩٤٩ • أشرفت هيئة الامم المتحدة على مراقبة الهدنة التي عقدتها اسرائيل مع مصر في ٢٤ شباط ١٩٤٩ ومع لبنان في ٢٣ آذار من العام نفسه ، ثم مع الاردن في ٣نيسان ومع سورية في ٢٠ تموز • لم تحدد المفاوضات آنذاك سوى خطوط فصل أو هدنة وليس حدوداً سياسية أو اقليمية • لذلـك حملت اتفاقيات الهـدنة لعام ١٩٤٩ في طياتها بذور حروب لاريب فيها •

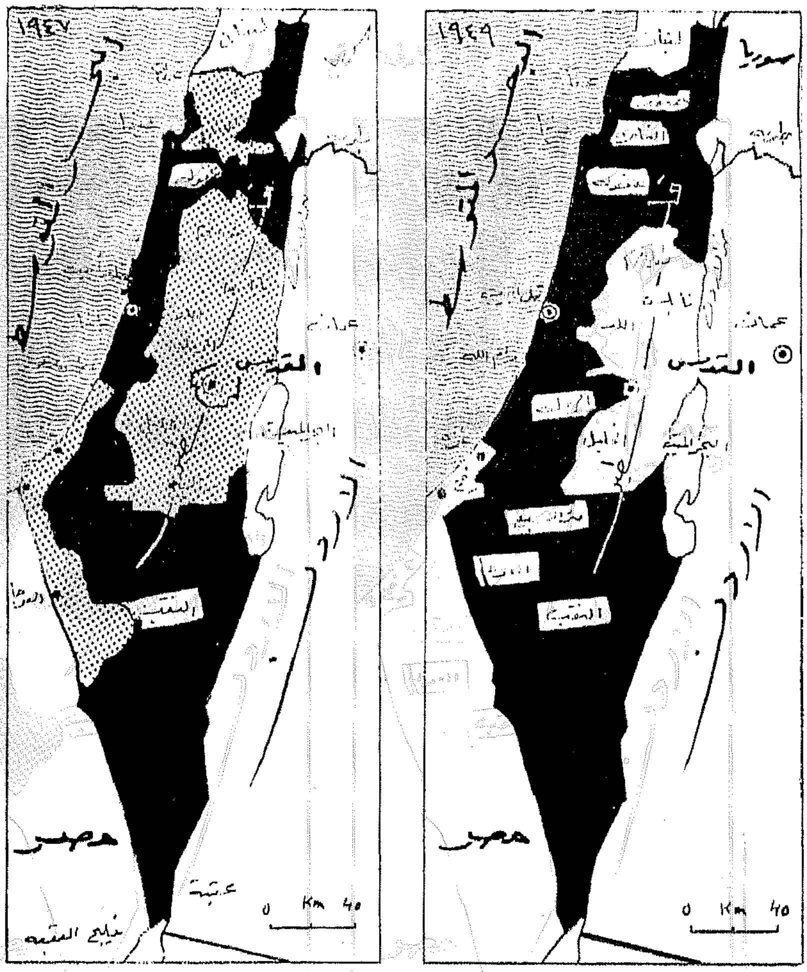
بعد هذه الحرب ازداد حجم الدولة اليهــودية بمقدار الثلث ، حيث استولت القوات الاسرائيلية ، علاوة على ما كان مخصصا لها في مخطط التقسيم لعام ١٩٤٧، على كل من الجليل الغربي وغربي القدس ويافا وعكا واللد والرمــلة بالاضافة الى مئات القرى العربيــة • وهكذا أصبحت مساحة الاراضي الواقعــة تحت السيطرة الاسرائيلية ٢٠٨٥٠ كم٢ من مجموع مساحة فلسطـين البالغة ٢٦٣٢٣كم٢ • أي أن « الدولة اليهودية » قد اتسعت من ١٤٥٠٠ كم٢ (وفق مخطط التقسيم لعام ١٩٤٧) الى ٢٠٨٥٠ كم٢ (وفق اتفاقيات الهدنة سنة ١٩٤٩) • أما «الدولة العربية» المقترحة على الفلسطينيين فقد تقلصت من ١١٨٠٠ كم٢ الى ٥٤٠٠ كم٢ فقط • وبتعبير آخر ، أصبح الـ / ٣٠٪ / من اليهود يملكون ٨٠٪ من فلسطين ، بينما حشر الـ / ٧٠٪ / من العرب في ٢١ ٪ من الارض الفلسطينية • وقد جلبت هذه اللصوصية الدوليــة ما يعادل مليارى دولار مــن الممتلكات التي وضع اليهود يدهم عليها بعــد النزوح العربي الفلسطيني • والخارطة رقم (١) تمثل عملية الضم هذه •

لم يبق من الـ / ٧٠٠٫٠٠٠ / عــربي ، الذين كانــوا يعيشون داخل القسم الاسرائيلي المحدد من الامــم المتحــدة ، بعد عمليات الارهاب والتنكيل ، سوى ١٣٠٫٠٠٠ سنة ١٩٤٩ • نتيجة كل هذا تشكلت موجات هائلة من اللاجئــين الذين الذين أصبحوا فيما بعد مشكلة مازالت تزداد حدة وخطورة حتى يومنا هذا • هؤلاء هم أولاد وأحفاد أولئك الذين استقبلوا « اللاجئين » اليهود منذ عام ١٨٨٢ •••

إزاء كل هذا الظلم الواضح والغبن الفادح ، ارتفع صوت منصف ينادي بالحق والعدل والمنطق ، هو صوت الوسيط الدولي الجنرال « برنادوت » (أحــد أحفاد قــائد من قــادة نابليون بونــابرت) السويدي الجنسية ، والذي كتب في تقرير رفعه الى الامين العام للامم المتحدة بتاريخ ١٦ أيلول من عام ١٩٤٨ يقول فيه :

« لا يمكن لأية تسوية أن تكون عادلة ومرضية اذا لم يمنح اللاجئون العرب حق العودة الى البلد الذي طردوا منه • وسيكون من الظلم الفــادح رفض عــودة هؤلاء الضحايا الابرياء الى ديارهم ، بينما يتدفق المهاجرون اليهود على فلسطــين

خارطة رقم /١١/



ضم ٦٠٠٠ كم٢ سنة ١٩٤٩

مهددين بالحلول بصورة دائمة محل اللاجئين العرب الذين يعيشون في هذه الاراضي منذ قرون » •

لم يكن الزعماء الصهاينة راغبين في إعادة فلسطيني واحد داخل حدود دولتهم ، بل كانوا يسعون لتهويد السكان بشتى الاساليب • أما بالنسبة لمدينة القدس ، فلم يكونوا مصممين على الاحتفاظ بالجزء الغربي فحسب ، بل كانوا يتحينون الفرصة المناسبة للانقضاض على المدينة القديسة فور سنوح الفرصة المناسبة •

في ١٦ أيلول ١٩٤٨ ، تم توقيع « تقرير برنادوت » ، وفي اليوم التالي اغتيل الوسيط الدولي في مدينة القدس على يد ارهابي يهودي ، كما قتل مساعده العقيد الفرنسي « سيرو » (Sérot) • على أثر هذه الجريمة النكراء وما أحدثته من استنكار شديد في العالم كله ، شكلت لجنة تحقيق اسرائيلية خلصت الى النتيجة الآتيــة :

« يبدو من التحقيق :

آ ـــ أن قراراً قد اتخذ باغتيال الكونت « برنادوت » ، كما وضعت خطة دقيقة لتنفيذ العمليه •

ب ـــ كانت هناك شبكة تجسس متكاملة لمراقبة حركات الوسيط الدولي وسكناته بغية ضربه في الزمان والمكان المناسبين •

جـ ـــ كان مرتكبو الجريمة مدربين ومعتادين على مثل هذا النوع من العمليات •

د ـــ كانوا واثقين من إيجاد ملجأ يأوون اليه بعد العملية •

هـ ـــ كما كان هناك دماغ مفكر قادر على قيادة العملية من بدايتها الى نهايتها » •

بعد ارتكاب هذه الجريمة بثلاثة أيام ، وصلت رسالة الى احدى وكالات الانباء الفرنسية تعلن مسؤولية « هازيت مونيديت » عن العملية ، وهذه المنظمة الارهابية فرع من عصابة « شتيرن » المنبثقة من عصابة « الأرغون » التي كان يرأسها مناحيم بيغن .

في ١١ كانون الاول من عام ١٩٤٨ ، تبنت الجمعية العمومية للامم المتحدة القرار / ١٩٤ / الذي يطالب « بعودة من يرغب من اللاجئين الى أراضيهم ، على أن يحصل من يسنعون من ذلك على تعويض عادل عن أملاكهم التي فقدوها » . وغني عن القول أن شيئاً من هذا لم يحدث ، بل عمد المتطرفون بتشجيع من السلطات الى نسف المنازل المهجورة للحيلولة دون عودة أحد من أصحابها ، وهو أسلوب نجده يطبق من جديد بعد عام ١٩٦٧ في الاراضي العربية المحتلة .

بعد الحرب الاسرائيلية ــ العربية الاولى ، شكل الارهابيون الذين لم يريدوا البقاء في الجيش الاسرائيلي أحزابا سياسية : مثل عصابة « الأرغون » التابعة لمناحيم بيغن ، والتي تحولت سنة ١٩٤٨ الى حزب « حيروت » (الذي يحكم اسرائيل اليوم داخل تحالف الليكود) . كما توطدت أركان الدعاية الدولية للصهاينة في مختلف أنحاء العالم ، فتقلص تأثير « دير ياسين » ليحل محله اتهام العرب بالتعاطف والتواطؤ مع هتلر خلال الحرب العالمية الثانية . أما اللاجئون الفلسطينيون ، الذين أرغموا على مغادرة أراضيهم ، فقد أصبحوا بقدرة قادر هم الذين نزحوا طواعية !... كل هذا لأن الصهاينة لم يعودوا قادرين على السكوت أمام الشهادات والتصريحات الكثيرة الصادرة عن شخصيات موثوقة كبرى من أمثال «جون دايمز » ، الذي كان مفوضا عاما لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين ، والذي قال : « لم نعترف بعد بما فيه الكفاية لأية درجة من الوحشية انحدر الاسرائيليون في طردهم للفلسطينيين من ديارهم وفق خطة جهنمية مدروسة » .

وهكذا أصبحت حرب الطرد والارهاب واغتصاب الارض « حرب استقلال » حسب المنطق القائل : كلما كانت الكذبة أكبر ، سهل ابتلاعها أكثر ...

وفي ١١ أيـار من عام ١٩٤٩ ، قبلت الدولة اليهـودية عضوا في هيئـة الامم المتحدة دون أية صعوبات تذكر ، وأصبح بن غوريون ، الذي كان دائماً ضد أيـة تسوية مع « اللاجئين » ، رئيسا للوزراء حتى عام ١٩٦٣ .

★ ★ ★

الإغـارة على سينـاء وشرم الشيخ (١٩٥٦)

لم تمض سنوات قلائل على فرض « دولة اسرائيل » حتى قامت بمذبحتين آخريين لا تقلان هولا وبشاعة عن مذبحة دير ياسين • إلا أن هدفهما لم يكن في هذه المرة إرهاب الفلسطينيين وحدهم داخل حدود الدوله اليهوديه بل تعداها الى جميع من يفكرون في مقاومة اسرائيل • وقد دخلت هاتان المذبحتان التاريخ تحت اسم قريتين عربيتين هما : قبية وكفر قاسم • ففي ١٤ تشرين الاول من عام ١٩٥٣ ، قامت قوة عسكرية اسرائيلية بعبور الحدود الاردنية حيث ذبحت سبعين من سكان قرية قبية ، وبخاصة النساء والاطفال ، ثم دمرت القرية عن بكرة أبيها • وفي ٢٩ تشرين الاول من عام ١٩٥٦ ، وهو نفس اليوم الذي جرى فيه الغزو الاسرائيلي لسيناء ، دخل الاسرائيليون قرية كفر قاسم الواقعة داخل حدود « الدولة اليهودية » حيث قتلوا ٤٨ عربيا بين رجل وامرأة وطفل •

طوال الفترة التي سبقت الحرب الاسرائيلية ـ العربية الثانية ، قامت اسرائيل بخرق اتفاقيات الهدنة عدة مرات كما تشهد على ذلك سجلات الامم المتحدة • وفي ٢٨ شباط ١٩٥٥ ، وبحجة الرد على توغل قام بها الفدائيون ، شنت إسرائيل غارة وحشية على قطاع غزة حيث يعيش حوالي /٢١٥٠٠٠/ لاجىء في المخيمات وضمن شروط معيشية قاسية للغاية • لذلك سقطت ضحايا كثيرة بطبيعة الحال • أما الغارات التالية فجرت يوم ٨ حزيران ١٩٥٥ على قطاع غزة (ضحايا فلسطينية ومصرية) ، ويوم ١١ كانون الاول ١٩٥٥ على الاراضي السورية (٥٦ قتيلا) ، ويوم ٥ نيسان ١٩٥٦ على قطاع غزة (٤٣ قتيلا و ١٠٣ جرحى) ، ويوم ٢٤ حزيران ١٩٥٦ على الاردن ، ثم تلتها سبع غارات على الاردن أيضا كان آخرها في ١١ تشرين الاول ١٩٥٦ •

في هذه الفترة كانت استعدادات اسرائيل للحرب قائمة على قدم وساق. وكلنا نذكر التصريح الذي أدلى به مناحيم بيغن أمام « الكنيست » الاسرائيلي في ١٢ تشرين الاول ١٩٥٥ حيث قال : « إنني من أنصار حرب وقائية ضد الدول العربية دون أي تردد أو تحفظ . بذلك نحقق هدفين : سحق القوات العربية وتوسيع أرضنا » ....

بعد قيام الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ، استطاع الرئيس الراحل عبد الناصر ، في ٣١ آذار ١٩٥٦ ، اخراج القوات البريطانية من مصر بعد وجود استعماري دام ٧٤ عاما . ومن الجدير بالذكر هنا ما أطلق عليها آنذاك تسمية « فضيحة لافون » التي أثبتت تعاظم دور المخابرات الاسرائيلية وأساليبها القذرة المستمرة حتى يومنا هذا : فقد انكشفت ، في شباط ١٩٥٢ ، خطة وضعتها هذه المخابرات (الموساد)، والتي تتضمن القيام بأعمال تخريبية ضد الابنية والمؤسسات البريطانية مع الايهام بأن مرتكبيها هم مصريون . أما الغاية من ذلك فكانت دفع القوات الانكليزية للبقاء في مصر أطول مدة ممكنة . هذه الفضيحة هي التي أرغمت « موشيه شاريت » ، الذي حل محل بن غوريون كرئيس للوزراء في ٣ تشرين الثاني ١٩٥٥ ، على أن يتخلى له عن هذا المنصب من جديد في ٢١ شباط ١٩٥٥ .

ولا شك في أن تزايد نفوذ عبد الناصر وسعيه لتحقيق الوحدة العربية قد أثارا قلق الصهاينة وسخطهم ، فصوّروه كهتلر جديد يجب التصدي لخطره قبل استفحاله . لذلك ما كاد يعلن ، في ٢٧ أيلول ١٩٥٥ ، عن أن مصر تشتري أسلحة من الاتحاد السوفياتي ، حتى هبّت في وجهه عاصفة من الادانة والاستنكار ، واتهم بالعمالة للشيوعية وبأنه يريد اتخام مصر بالسلاح لكي يعتدي على الدولة الصغيرة اليهودية العزلاء من السلاح . أما الحقيقة فهي أن اسرائيل كانت قد عقدت اتفاقاً مع الولايات المتحدة منذ ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ ، يحق لها بموجبه شراء الاسلحة الامريكية ، كما كانت الاسلحة تتدفق عليها من فرنسا وانكلترة وكندا . وقد ظهر كل هذا واضحا في العرض العسكري الكبير الذي جرى في تل أبيب يوم ١٦ نيسان

١٩٥٦ • في تلك الفترة ذاتها ، ذكرت صحيفة « نيويورك تايمز » ، في عددها الصادر بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٥٥ ، وعلى لسان السيد **« هانسون بالدين »** (المسؤول الامريكي المعروف عن الشؤون العسكرية) ما يلي :

« من البديهي اليوم أن القوة العسكرية الاسرائيلية تفوق بكثير قوة مصر، بل تفوق القوة المجتمعة لكل من مصر والاردن والمملكة العربية السعودية ولبنان وسورية والعراق » •••

في ٢٦ تموز ١٩٥٦ ، فاجأ عبد الناصر العالم وأثار حماس الجماهير العربية كلها عندما أعلن تأميم قناة السويس ، هذا الشريان الاستراتيجي الحيوي ، وفي ٢٤ تشرين الاول ١٩٥٦ أعلن إغلاق مضيق تيران الذي يتحكم بخليج العقبة ، أي بجزء من تموين اسرائيل وتعاملها مع الخارج • لذلك لاقت أفكار بيغن حول الحرب الوقائية القبول لدى الحكومة التي قررت الهجوم على المصريين خلال جلسة مجلس الوزراء المنعقدة في ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٦ • وفي ٢٩ تشرين الاول بدأ الهجوم الاسرائيلي •

منذ أيلول ١٩٥٦ ، ازداد تقرب فرنسا من اسرائيل بعد أن رأت مصالحها تتعرض للضرب في السويس ؛ لذلك اتفقت الدولتان مع بريطانيا على غزو سيناء والسيطرة على قناة السويس • وفي ٣٠ تشرين الاول ١٩٥٦ ، بدأ الفرنسيون والانكليز عدوانهم على مصر ، حيث قامت طائراتهم يوم ٣١ تشرين الاول بقصف المطارات المصرية • وهكذا ترك الاسرائيليون القناة لحلفائهم الاوروبيين وسارعوا هم لاحتلال شبه جزيرة سيناء • في ٥ تشرين الثاني إحتلت القوات الاسرائيلية شرم الشيخ ، بينما أنزلت القوات الفرنسية ـ البريطانية في بور سعيد • إلا أن الدولتين العظميين لم تنظرا الى الامور بنفس المنظار ، فقام الاتحاد السوفياتي ، على لسان بولغانين ، بتوجيه انذاره الشهير الى كل من لندن وباريس في اليوم نفسه ، مما اضطر فرنسا وانكلترة لوقف اطلاق النار في ٦ تشرين الثاني ١٩٥٦ ، هذا التاريخ

الذي اعتبر بحق نهاية مرحلة تاريخية طـويلة : فقد أصبحت أكبر وأقـدم دولتين استعماريتين مجرد أمتين متوسطتين •••

في ٧ تشرين الثاني ١٩٥٦ ،شكلت الامم المتحـدة أول قوة طوارىء دوليـه وصلت الى قناة السويس يوم ٢٥ تشرين الثاني بعد أن غادر آخر الجنود الفرنسيين والبريطانيين الاراضي المصرية في ٢٢ شرين الثاني عائدين الى بلادهم بخفي حنين• بالتوازي مع الضغط السوفياتي على الحليفين الاوروبيين ، ضغطت واشنطن عـلى اسرائيل للانسحاب من سيناء وشرم الشيخ ، إلا أن حكومة بن غوريون حـاولت المماطلة والتلاعب ولكنها اخطرت أخيراً لسحب كافه قواتها خارج الحدود المصـرية في ١٦ آذار ١٩٥٧ ، وهي عاقدة العزم على العودة في أول فرصة سانحة أخرى •

كان أهم درس استخلص من حرب ١٩٥٦ هـو استعداد إسـرائيل الدائـم للانقضاض والتوسع على حساب العرب في أي زمان ومكان ضاربة عرض الحـائط بكافة اتفاقيات الهدنة والمواثيق والقرارات الدولية • أما الدرس الثاني فهو خطـر التصعيد بين الشرق والغرب الذي لا يعرف أحد متى يبـدأ وكيف ينتهي • وهـذا ما دعا النائب الاسرائيلي « ميكائيل هزاني » للتعليق على إنـذار بولغانين وتهديده الذري قائلا : « لقد خفنا في إسرائيل فعلا لاننا كنا على وشك جر العالم الى حافـة كارثة نووية » •

حرب ١٩٦٧ التوسعيـة :

في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٦ تعرضت قريـة « السموع » الاردنيـة الوادعـة لهجوم وحشي اسرائيلي عند الفجر ، قامت به قوة مؤلفة من عشرين دبابة « باتون » ترافقها ثمانون عربة مدرعة وسيارات جيب بقوام بلغ مجموعه ٤٠٠٠ جندي • بعد تدمير مخفر حدودي صغير ، دخلت هذه القوة قرية السموع حيث دمرت ١٢٥ منزلا بالاضافة الى جامع القرية ومدرستها الابتدائية ومستوصفها ، كما قتلت ٢٦ أردنيـاً وجرحت ٥٤ وأسرت ثلاثة جنود • كانت الحجة ، كالعـادة دائماً ، هي الرد عـلى

الفدائيين الفلسطينيين ، مع إنذار العرب بأن اسرائيل سوف تنتقل الى أعمال أكثر جدية في المستقبل القريب ٠

في ٧ نيسان ١٩٦٧ ، قامت اسرائيل بغارة جوية على دمشق حيث جرى اشتباك جوي مع القوات السورية سقطت فيه طائرات من الجانبين ٠

في ١٦ أيار ، طلب الرئيس عبد الناصر من قوات الطوارىء الدولية أن تنسحب لتحل محلها قوات مصرية تمركزت في غزة وسيناء وشرم الشيخ ٠

في ٢٠ أيار أعلنت اسرائيل التعبئة العامة ، حيث تجمع لديها جيش كبير مؤلف من /٢٥٠٫٠٠٠/ رجل وامرأة تحت السلاح ٠ وهكذا ازدادت حدة التوتر لدى المعسكرين ، العربي واليهودي على السواء ٠ وفي ٢٢ أيار ١٩٦٧ ، أعلن الرئيس عبد الناصر إغلاق مضيق تيران ٠ هنا قررت اسرائيل القيام بحربها « الوقائية » المعهودة من جديد : ففي ٥ حزيران ١٩٦٧ ، بدأ موشيه دايان (وزير الدفاع آنذاك) الهجوم وانتصر بسرعة على الجبهات الثلاث : المصرية والسورية والأردنية ، إنها « حرب الايام الستة » التي كانت ضارية بشكل خاص في الجولان، جنوبي ــ غرب سورية ٠ وعندما فرض وقف إطلاق النار من قبل الامم المتحدة في ١٠ حزيران ١٩٦٧ ، وجد المجتمع الدولي نفسه مرة أخرى أمام أمر واقع جديد : وهو استيلاء الدولة الصهيونية على سيناء كلها بالاضافة الى غزة والضفة الغربية والجولان ٠

وأخيرا ، في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، تبنت الامم المتحدة القرار الشهير « رقم ٢٤٢ » الذي أصبح الاساس لكافة المفاوضات في الشرق الاوسط ٠ ويطلب هذا القرار من اسرائيل الانسحاب الفوري من الاراضي المحتلة منذ ٥ حزيران ١٩٦٧، كما يطالب العرب بالاعتراف بوجود اسرائيل ٠ رفضت اسرائيل القرار ، كما رفضته منظمة التحرير الفلسطينية ، بينما قبلت به الدول المسماة « دول المواجهة » ٠

مما لاشك فيه أن ما كسبته اسرائيل من أراضٍ في هذه الحرب كان هائلاً :

حيث زادت مساحة الدولة اليهودية بمقدار ثلاثه أضعاف عما أعطاها مخطط التقسيم لعام ١٩٤٧ ، فأصبحت مساحتها /٤٢٠٠٠كم٢/ ، كما ضمت اليها ، بالامر الواقع وخلافا لقرارات المنظمة الدولية ، مدينه القدس العربية القديمة • صحيح أنها أعادت سيناء الى مصر فيما بعد ، ولكنها فرضت عليها قيودا باهظه الثمن وفصلتها عملياً عن دول المواجهة ولو الى حين ، كما أصبحت طليقة اليدين على الجبهات الاخرى •

إذا كانت سيناء صحراء ، فان الاراضي المحتلة الاخرى ستضع اسرائيل عاجلا أم آجلا أمام مشكلة هائلة ، خاصه وأن السكان العرب يتزايدون بنسبة كبيرة تقض مضاجع الامبريالية الصهيونية • فالأرض الجيدة في نظر الصهاينة هي الارض المسكونه من قبل اليهود ، كيف يمكن التخلص اذن من السكان العرب ؟ وكيف يمكن تجنب معارضتهم لما يحاك لهم في المستقبل القريب ؟

لقد أدى تزايد عدد اللاجئين في نهاية عام ١٩٦٧ الى وضع مؤسسة غوث اللاجئين في موقف مالي صعب جدا • وقد بلغت ديون هذه المؤسسة في عام ١٩٨٢ حدا جعل المدير العام يعلن عن قرب إفلاسها أمام الجمعية العمومية للامم المتحدة •

أعقبت « حرب الأيام الستة » دعاية صهيونية مدروسة في كافة أنحاء العالم : فالحرب لم تشن إلا « لأن العرب كانوا يريدون إبادة اليهود والقاءهم في البحر » • أما بطولات المقاتلين اليهود فقد صورت وكأنها معجزات وأساطير ، الامر الذي سيؤدي الى صدمة كبيرة ويقظة مؤلمة لدى المجتمع الاسرائيلي وأبواق الصهيونية في الخارج عندما بدأت حرب عام ١٩٧٣ • عندها فقط أدرك الجميع أن السبب الرئيسي لانتصارات اسرائيل يكمن في تفوقها التسليحي الهائل ، وبخاصةالطائرات (ف ــ ١٥) آنذاك •

في شهر أيار من عام ١٩٦٧ ، أنهى الجنرال ديغول مقابلته لدبلوماسيين اسرائيليين بشيء من الاقتضاب قائلا : « أنصحكم بعدم شن الحرب ، لقد

فهمتموني ••• إيـاكم والبـدء بالقتـال ••• » لأنه كان يدرك جيداً ، كغيره من السياسيين ذوي النظرة الثاقبة ، خطورة الوضع المتفجر في الشرق الاوسط ومايشكله من تهديد للسلام العالمي •

الاستنفار النووي يوم ٢٥ تشرين الاول ١٩٧٣ :

أثبتت الحرب الرابعة الاسرائيلية ـ العربية (تشرين الاول ١٩٧٣) أن مخاوف الجنرال ديغول كان لها ما يبررها كما سنرى فيما بعد •

الحق يقال أن فترة ما بين الحربين ، الثالثة والرابعـة ، كانت مفعمة بالحوادث الخطيرة كما كانت مرحلة استعداد جدي من قبل الطرفين لجولة آتية لا ريب فيها • فالعرب الذين خسروا كل تلك الاراضي لا يسعهم النوم على الضيم ، لذلك كـان من الطبيعي جـداً أن يترقبوا ساعة الانتقام للكرامة الجريحـة والحـق السليب ، منتفضين على الظلم الفادح والصمت المتواطىء • أضف الى ذلك أن تعنت اسرائيل وصلفها وامتناعها عن اعادة أي جزء من الاراضي العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ جعـل المجابهـة المسلحة أمراً لابد منه وفق منطـق التاريخ والحق والعدل • في ٢١ آذار ١٩٦٨ ، شن الاسرائيليون هجوما على قرية « الكرامة » حيث جرى قتال عنيف مع الاردنيين والفلسطينيين • وفي ٤ آب ١٩٦٨ ، غارة اسرائيلية جـديدة على مدينـة السلط الاردنية • وفي ٢٧ تشرين الاول ١٩٦٨ ، غـارة أخرى في عمـق الاراضي المصرية ، أعقبها في اليوم التالي هجوم جوي على مطـار بـيروت • إعتبارا من ٨ آذار ١٩٦٩ ، تضاعفت الاشتباكات على الجبهة الاسرائيلية ـ المصرية ، وفي حزيران من عـام ١٩٦٩ خرق وقف اطـلاق النـار الهش بصورة نهائية واستمرت « حرب الاستنزاف » على قناة السويس حتى شهر آب من عـام ١٩٧٠ والغـارة الجـوية الاسرائيلية الوحشية على ضواحي القاهرة يوم ١٢ شباط ١٩٧٠ • في ١١ آب ١٩٦٩ ، وعلى الجبهة اللبنانية ، قصف الاسرائيليون قرى الجنوب مدعـين بأنهـا قواعـد للفدائيين الفلسطينيين ، محدثين فيها خسائر كبـيرة وضحايا عـديدة • وفي الفترة الواقعة بين ٢٥ و ٢٨ شباط ، قامت اسرائيل بغارات جوية على أهـداف جديدة في

الجنوب اللبناني ، كررتها في ١٠ نيسان من عـــام ١٩٧٣ • وفي ١٣ أيلول ١٩٧٣ ، جرت معارك جوية مع القوى الجوية السورية سبقتها قبل شهر واحد معارك جوية مماثلة أسقطت فيها عدة طائرات سورية في المنطقة الساحلية •

في ٦ تشرين الاول ١٩٧٣ ، وهو يوم الغفران لدى اليهود ، فوجئت اسرائيـــل بهجوم متزامن على الجبهتين المصـــريه والسوريه • نجح المصـــريون في عبور قنـــاه السويس ثم الاستيلاء على خط بارليف الحصين ، مما اضطر قائد المنطقة الجنوبية (الجنرال غونين) لاعطاء أمر للقوات الاســـرائيلية بالانسحاب أمام تقدم القـــوات المصرية في سيناء • كذلك نجح السوريون في عبور الخندق المضاد للدبابات في عدة نقاط ، وتوغلوا داخل الاراضي المحتلة مسافة تزيد على ١٥ كم من خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ • هنا استبد الخوف والهلع بحكومة غولـــدا مئـــير التي بـــدأت تستغيث للمرة الاولى وتستنجد بواشنطـــن التي لبت النداء على الفـــور ، فأقـــام « كيسنجر » جسراً جـــوياً لإمداد الدولة اليهودية بالعتاد الحديث اللازم • وفي ١٦ تشرين الاول ، عبرت القـــوات الاسرائيلية قناة السويس وبـــدأت تطوق الجيش المصري الثالث • كذلك بـــدأ الهجـــوم المعاكس على الجبهة السورية حيث نجحت القوات الاسرائيلية في تشكيل جيب إضافي مساحته ٥١٠ كم^2 شمالي ــ غرب حدود ١٩٦٧ في الجولان •

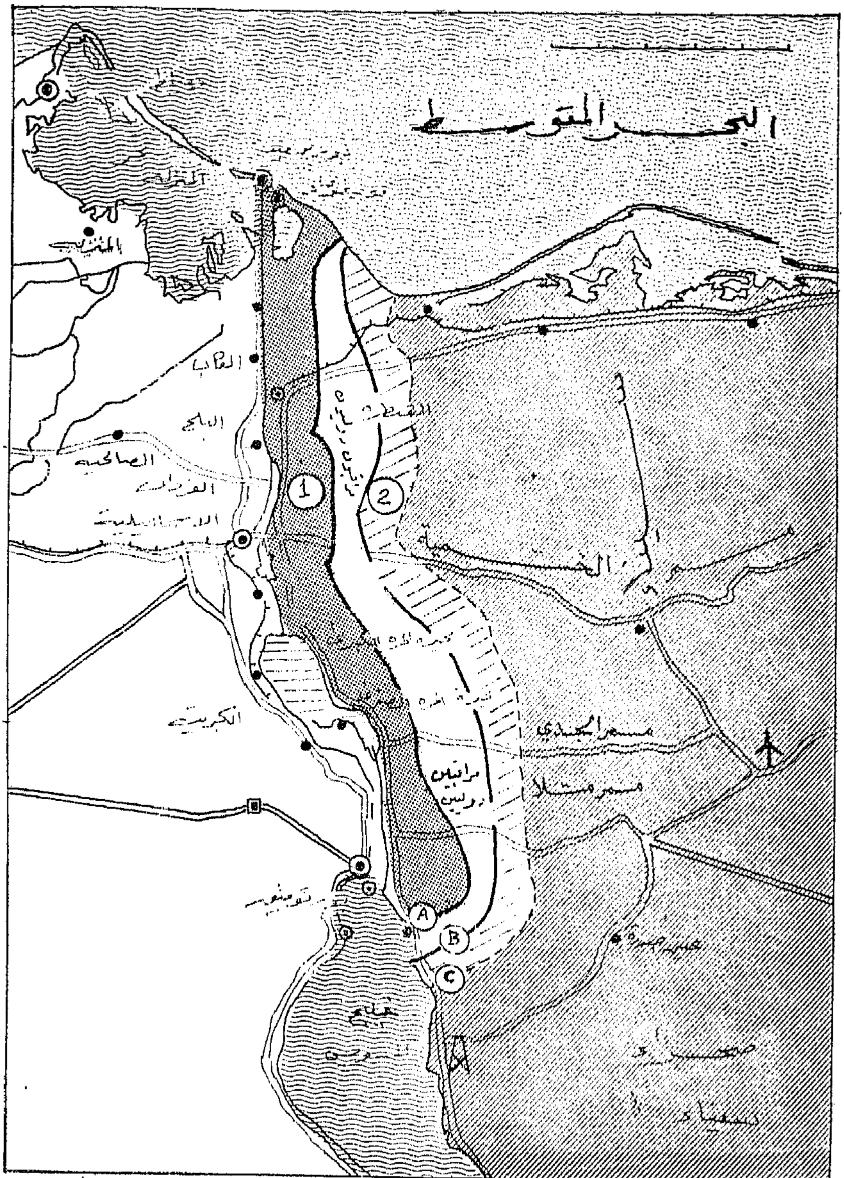
بناءاً على تدخل الدولتين العظميين ، قررت الامم المتحدة وقف اطلاق النـــار الذي قبلت به كل من اسرائيل ومصر في ٢٣ تشرين الاول ، بينما تـــابعت سوريـــة حرب استنزاف لفترة اضافية • وهكذا بدأت المفاوضات بين الاسرائيليين والمصريين في نقطة « الكيلو متر ١٠١ » على طريق السويس ــ القاهرة • كانت هذه المفاوضات طويله وشاقة بسبب تداخل القوات ، إلا أن هنري كيسنجر بدأ جولاته المكوكيـــة بين القاهرة والقدس من ٦ ــ ٩ تشرين الثاني ١٩٧٣ • في ١١ تشرين الثاني ، وقعت اسرائيل ومصر اتفاقية جديدة للهدنة ، ولكن مفاوضات « الكيلو متر ١٠١ » مالبثت أن فشلت في ٢٩ تشرين الثاني • في ٢١ كانون الاول ، استؤنفت المفاوضات في مؤتمر

جنيف ، الذي انبثقت منه « مجموعة عمل عسكرية » باشراف الامم المتحدة •
واخيراً ، تم التوقيع في « الكيلو متر ١٠١ » على الاتفاق الأول لفصل القوات بين البلدين يوم ١٨ كانون الثاني ١٩٧٤ • نص هذا الاتفاق (أنظر الخارطة رقم / ٢ / على الصفحة التالية) على انسحاب المصريين الى الخط / ا / والاسرائيليين الى الخط / ب / ، شريطة أن يتمركز / ٧٠٠٠ / رجل من القوات الدولية في المنطقة العازلة التي يبلغ عرضها ٨ كم • أما تقرر أن تشكل على طرفي المنطقة العازلة مناطق محدودة السلاح • وأخيراً ، وقع في ٤ ايلول ١٩٧٥ اتفاق ثان لفصل القوات بين الاسرائيليين والمصريين ، وذلك في جنيف • وقد نص هذا الاتفاق على توسيع المنطقة العازلة (أنظر الخارطة رقم / ٣ /) •

على الجبهة السورية ، لم تكن الصعوبة ناجمة عن تداخل القوات ، بل نتيجة ضراوة القتال بين الطرفين ، اذ استمرت الاشتباكات رغم وقف اطلاق النار الى أن تحولت اعتبارا من ١٦ نيسان ١٩٧٤ الى « حرب استنزاف » دامت ٨٣ يوما • وأخيراً ، باشراف الامريكي « كيسنجر » والسوفياتي « غروميكو » تم التوقيع في جنيف ، يوم ١٣ أيار ١٩٧٤ ، على اتفاقية الفصل السورية ـ الاسرائيلية • وقد نصت هذه الاتفاقية (كما هو مبين في الخارطة رقم / ٤ /) على انسحاب الاسرائيليين خلف الخط / أ / (باستثناء جيب القنيطرة الذي سلّم للسوريين) بينما تنسحب القوات السورية خلف الخط / ب / . على أن تتمركز القوات الدولية في المنطقة العازلة بمهمة مراقبة الفصل • أما المنطقة المحدودة السلاح فقد قسمت بدورها الى ثلاث مناطق متعاقبة كما هو مبين على الخارطة رقم /٤/ : قوات محدودة ؛ ثم منطقة « خالية من المدفعية الثقيلة » ، وأخيراً « منطقة خالية من الصواريخ المضادة للطائرات » •

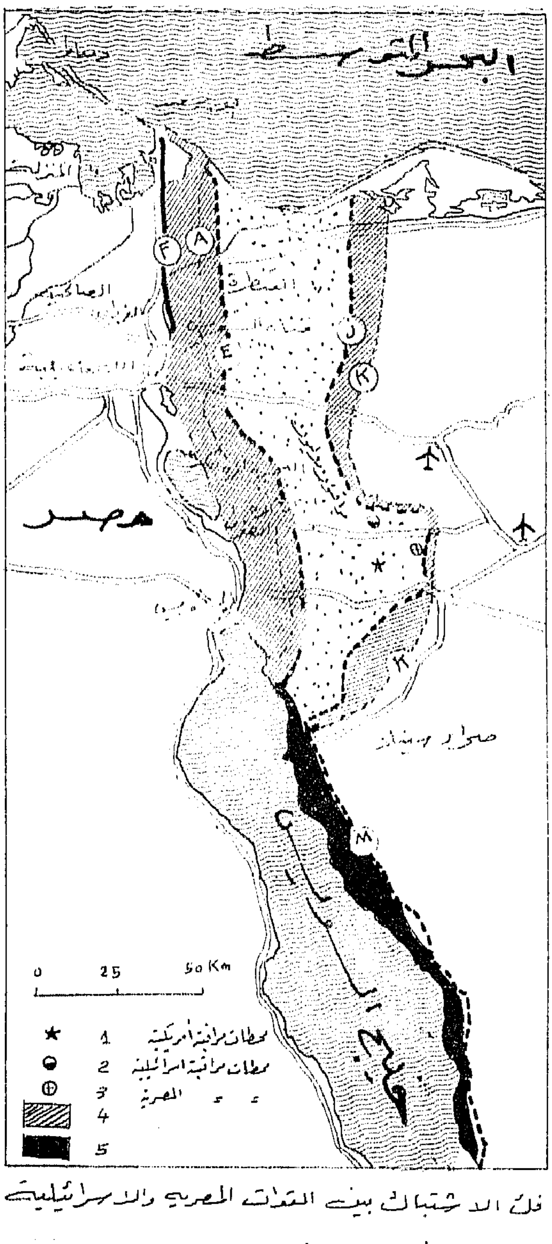
تركت حرب يوم الغفران صدى عميقاً داخل المجتمع الاسرائيلي ترجم باستقالة غولدا مئير التي حل محلها اسحاق رابين كرئيس لمجلس الوزراء في ١٠ نيسان ١٩٧٤ • إلا أن الوضع على الارض لم يتبدل كثيراً ، فقد بقي السارق محتفظاً بالجزء الاكبر والاساسي من غنيمته •

خارطة رقم /٥/



فك الاشتباك بين القوات المصرية والاسرائيلية في ١٨ كانون ثاني ١٩٧٤

خارطة رقم /٣/



خارطة الاشتباكات بين القوات المصرية والاسرائيلية

في ٤ أيلول ١٩٧٠

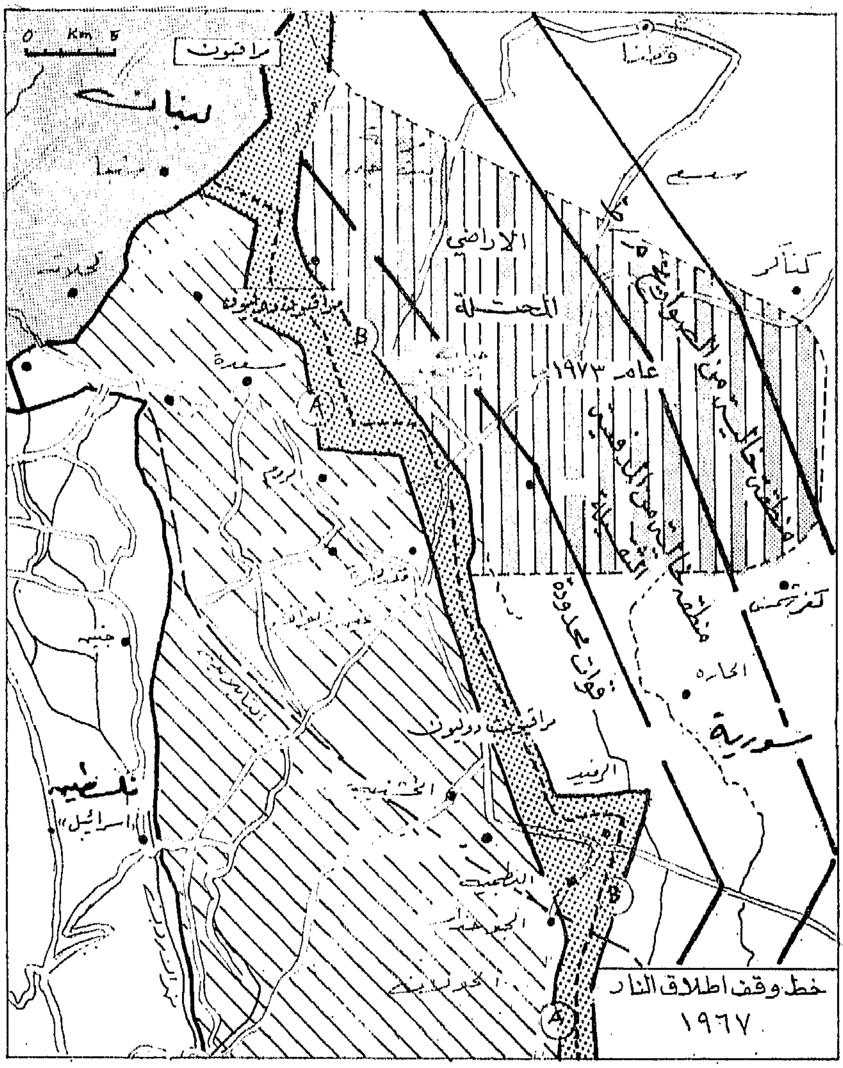
هنا دخلت المجابهة بين موسكو وواشنطن مرحلة جديدة : حيث بدأت كل منهما تمد الجسور الجويه لامداد حلفائها بالسلاح والعتاد على عجل • يعتقد كثيرون بأن الدولتين العملاقتين تتقنان جيدا أصول اللعبة فيما بينهما ، مما يجعل خطر التصعيد ضئيلا جدا لأن هناك خطوطاً حمراء متفق عليها وخيوطا خفية يحركها الطرفان بمهارة ويحركان بواسطتها العالم • إلا أن هذا ليس على هذه الدرجة من السهولة لأن اللعب بالنار يتضمن دائماً قسطا كبيرا من المجازفة • والدليل على ذلك ما عرف فيما بعد من أن السادات طالب (عندما لاحظ استمرار تبادل النيران رغم قرارات وقف اطلاق النار) الدولتين الأعظم ، صانعتي القرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ ، بأن تقوما فورا بارسال قوات الى الشرق الاوسط ، الامر الذي رفضته واشنطن باصرار • عندئذ أنذر الاتحاد السوفياتي الولايات المتحدة بأنه مستعد لارسال قوات محمولة جوا من جانب واحد لضمان وقف اطلاق النار اذا لزم الامر ، **مما دعا الرئيس نيكسون الى الرد على ذلك باستنفار كافة القواعد النووية الامريكية في العالم•**

وهنا لابد من التنويه بوجود عتبة معينة تفلت عندها القرارات من السيطرة الانسانية الكاملة ، وهذا ما أكده التقرير المشترك الذي رفعته اللجنة المستقلة لنزع السلاح في حزيران من عام ١٩٨٢ الى المؤتمر الثاني للامم المتحدة لنزع السلاح • وهكذا يمكن القول بأن العالم وجد نفسه في ٢٥ تشرين الاول ١٩٧٣ على حافة هاوية الحرب ، تماماً كما حدث بالنسبة لمشكلة صواريخ كوبا سنة ١٩٦٢ •

الضم الفعلي لمساحة ٨٠٠ كم٢ من الارض اللبنانية (١٩٧٩) :

عندما أخرج الفدائيون الفلسطينيون من الاردن ، أقاموا مضطرين في جنوب لبنان حيث ظلوا يقومون بالتسرب داخل الوطن المحتل من حين لآخر ، وهذا حق من حقوقهم المشروعة ، بل واجب وطني يمليه واقعهم البائس أمام صمت العالم وعجزه عن إيجاد حل عادل لشعب مشرد • وهذا ما دعا الوزير الفرنسي «ميشيل جوبير » للقول سنة ١٩٧٣ : « بأن هؤلاء لا يريدون سوى العودة الى ديارهم » • ولكنهم ليسوا ، في نظر الصهيونية ووسائل اعلامها ، أكثر من « قتلة وارهابيين » يجب التخلص من شرهم بالقضاء عليهم أينما وجدوا ••• لذلك بدأت الهجمات

خارطة رقم /٤/



خط الاشتباك بين القوات الاسرائيلية والسورية

في ١٣ أيار ١٩٧٤

الاسرائيلية تتوالى على القرى اللبنانيـــة في الجنوب اعتبـــارا من ١١ كانون الاول ١٩٧٤ • وعندما غرق لبنان في حربه الاهلية سنة ١٩٧٥ ، لم تعد اسرائيل تقيم أي وزن لسيادة لبنان أو لحرمة أراضيه •• وقد كان لهذا سببان رئيسيان : أولهما ابادة المقاومة الفلسطينية التي تناضل بوسائطها المحدودة ضد جيش متخم بأفضل الاسلحة وأكثرها تطورا في العالم ، وثانيهما التمهيد لتحقيـــق حـــلم الصهيونيـــة الأزلي في « اسرائيل الكبرى » والوصول الى نهر الليطاني للاستفادة من مياهه •

وهكذا دقت اسرائيل وتدهـــا الاول على هـــذه الطريق ، عندما قام الجيش الاسرائيلي بالهجوم على الجنوب اللبناني في ١٥ آذار ١٩٧٨ • أسفر هذا العـــدوان الوحشي ، حسب الارقام التي أعطاها الصليب الاحمر الدولي ، عن مقتل أكثر مـــن ١٠٠٠ لبناني وجرح ٣٠٠٠ آخرين • هنا قرر مجلس الامـــن ، في ١٩ آذار ١٩٧٨ ، انسحاب القوات الاسرائيلية وارسال قوات دولية مهمتها منع تكرار الاعتداءات من الطرفين • لم تنسحب اسرائيل فعلا الا في ١٣ حزيران من عام ١٩٧٨ بعد أن حققت العملية معظم أغراضها •

إلا أن اســـرائيل لم تعدم الوسيلة لمتابعة تنفـــيذ مخططاتها فأوجـــدت عميلها المعروف « سعد حداد » ، الذي قدمته كرائـــد لبناني حر يسعى لتحرير وطنه مـــن « الغرباء » ••• كان تحت تصرف الرائد حـــداد هـــذا حوالي ٢٠٠٠ رجل مزودين بالاسلحة الاسرائيلية ومنتشرين طوال الحدود اللبنانية ــ الاسرائيلية •• رفض هذا العميل المكشوف في البداية انتشار القوات الدولية على الاقسومة التي يحتلها، والتي تبلغ مساحتها ٨٠٠ كم٢ • والعجيب في الأمر أن المنظمة الدولية لم تحرك ساكناً ازاء هذه المخالفة الصريحة لقرارها الصادر في ١٩ آذار ١٩٧٨ ، بل رضخت للامر الواقع واكتفت بنشر قواتها في المناطق الاخرى الواقعة بين جيب سعد حداد ونهر الليطاني • وهكذا بقي هذا الجيب ليكون فيما بعد رأس جسر للعمليات الاسرائيلية القادمة •

ضم القـــدس :

أثبت تحقيق قامت به السلطات البريطانية عام ١٩٤٤ (وذكّر به السيد روحي

الخطيب الرئيس السابق لبلدية القدس) أن عدد السكان اليهود في المدينة كان حوالي ١٠٠ر٠٠٠ مقابل ١٤٠ر٥٣٠ عربي • ومن الجدير بالذكر هنا أن البند /٦٢/ من معاهدة برلين لعام ١٨٨٥ ، أي للفترة التي بدأ أوائل المستوطنين اليهود يصلون الى فلسطين ، ينص على الآتي : « من المتفق عليه أنه لن يطرأ أي مس بالوضع الراهن للأماكن المقدسة » •

آضف الى ذلك أن قرار الامم المتحدة الصادر في ١١ كانون الاول ١٩٤٨ قد نص على وضع خاص للقدس تحت اشراف دولي ، الا أن اسرائيل ما لبثت ، في زحمة حرب حزيران ١٩٦٧ ، أن قررت على عجل (وبلسان الكنيست الصهيوني في ٢٧ حزيران ١٩٦٧) تبني قانون يخول الحكومة صلاحية بسط تشريع الدولة اليهودية على الاراضي التي اغتصبت بقوة السلاح • لذلك أعطي الامر في ٢٨ حزيران ١٩٦٧ بأن تطبق على مدينة القدس العربية (الشرقية) وضواحيها القوانين والانظمة الاسرائيلية • وهكذا تم عملياً ضم مدينة القدس بكاملها تحت ستار اداري • خلال مفاوضات « كامب دافيد » ، تجرأ أنور السادات ، رغم خضوعه الاجمالي ، على اثارة موضوع القدس وأهميتها بالنسبة لـ ٨٠٠ مليون مسلم في كافة أنحاء العالم • إلا أن « بيغن » رد على ذلك في رسالته التوضيحية لاتفاقيات كامب دافيد ، بتاريخ ٢٢ أيلول ١٩٧٨ ، قائلا : « لقد أصبحت القدس من الآن فصاعداً عاصمة اسرائيل ولا مجال مطلقا للرجوع عن قرار نقل الابنية الحكومية الرئيسية الى القدس القديمة والذي أصبح ساري المفعول منذ الاول من تموز ١٩٦٩ • بعد ذلك ، وفي آب من عام ١٩٨٠ ، صدر « قانون القدس » الذي اعتبر « المدينة المقدسة موحدة وعاصمة « أزلية لدولة اسرائيل » • وهكذا تحول « الاجراء الاداري » الى « قانون أساسي » بشكل يثبت الى أية درجة يمكن لاسرائيل أن تمضي في استهانتها بالمجتمع الدولي وبمئات الملايين من المسيحيين وبعدد أكبر من المسلمين • استنكر العالم كله هذا الاجراء ، بما في ذلك الولايات المتحدة الامريكية نفسها ، الا أن اسرائيل تابعت سياستها التعسفية والتهجيرية ضد السكان العرب ، كما دفعت الى القدس بموجة من المهاجرين الجدد بلغت ٦٠ر٠٠٠ يهودي للمساهمة في تهويد المدينة المقدسة •

ضم الجولان (١٤ كانون الاول ١٩٨١) :

تعود مسألة الجولان الى حزيران ١٩٦٧ عندما انتزعت الدولة اليهودية بالقوة هذا الجزء الهام من الاراضي السوريه • وفد حاول الرئيس الاسد استعادة هـذه الارض السليبة في تشرين الاول من عام ١٩٧٣ ، إلا أنـه اضطر للاكتفاء باستعادة مدينة القنيطرة المدمرة بعد حرب استنزاف خاضتها سورية منفرده • كل هذا يدل دلالة واضحة على أن الجرح ما زال مغطى بضماد مؤقت ، لكنه لم يندمل ويهـدد بالانفتاح بين يوم وآخر • أما الدولة اليهودية ، ففد استمرأت طعم الضم بالقوة عن طريق إقامة المستعمرات واستغلال الامر الواقع الى أبعد الحدود ، رائدها في ذلك تجارب الماضي الناجحة منذ عام ١٩١٦ حتى الوقت الحاضر تحت سمع العالم كـله وبصره • لذلك ما كادت عمليات اقامه المستعمرات وتهـويد الجولان تبلغ مرحـلة مرضية حتى عمد الكنيست الاسرائيلي ، ١٤ كانون الاول ١٩٨١ ، الى اعلان ضـم الجولان الى الدولة اليهودية ضاربا عرض الحائط (كعادته دائماً) بكافة القوانـين والاعراف الدولية وبمشاعر السكان الدروز هناك (حوالي ١٤٠٠٠ نسمة) الذين أثبتوا في كل مناسبة تمسكهم السديد بجنسيتهم العربية السورية رغم الحمـلات الدعائية والضغوط المكثفة التي مورست ضدهـم من قبـل السلطات الصهيونية الحاكمة • فقد أعلنوا المقاومة السلبية ثم الاضراب العام الذي استمر أكثر من عشرة أسابيع حتى شهر نيسان من عام ١٩٨٢ •• في ٢٥ نيسان ١٩٨٢ ، تم توقيف أحد عشر من زعماء الدروز ، كما صدرت التعليمات بتقنين توزيع الميـاه وبضرب نوع مـن الحصار على القرى العربية في الجولان لمدة ٥٣ يوما لفرض الهوية الاسرائيلية على السكان الذين لايريدونها •

أدينت عملية ضم الجولان في مجلس الامن بالاجماع ، بما في ذلك الولايـات المتحدة ، بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٨١ ، كما أصـدرت الجمعية العموميـة للامم المتحدة قرارها رقم ٣٦/٢٢٦ ب الذي تؤكد فيه أن مرتفعات الجولان تبقى سورية وفق اتفاقية جنيف في ١٢ آب ١٩٤٩ ، وأن كافة الاجراءات الاسرائيلية لعام ١٩٦٧ وللرابع عشر من كانون الاول ١٩٨١ تعتبر باطلة •

ضم غزة والضفة الغربيــة :

هنا وجدت الدولة الصهيونية نفسها مضطرة للعمل والمناورة بشيء من الحذر لأن عدد السكان الفلسطينيين يبلغ ٨٣٣٠٠٠ نسمة في الضفــة الغربية و ٤٥١٠٠٠ نسمة في غزة . لذلك كان لابد من الصبر مع الاسراع في اقامة المستوطنات اليهودية وتهجير السكان العرب تدريجيا الى أن يتم التوصل الى تغيير البنية الديموغرافية، حيث يعلن الضم الفعلي تحت غطاء ديموقراطي مزيف . وما الحديث عن « الحكــم الذاتي » سوى ستارة شفافة تختبيء خلفها النوايا الحقيقية لحكومة بيغن . وهكذا أصبحنا نسمع كل يوم عن«عرب أرض أسرائيل» بدلا من «عرب الاراضي المحتلة»، ومن المعروف أن « أرض اسرائيل » هذه تمتد ، وفق التوراة ، من الفرات الى النيل كما يدعون . كذلك أصبحت الضفة الغربية « يهــودا والسامرة » وأطلقت الاسماء العبرية على كل مكان . في الضفة الغربية وحدها كان هناك ٨٧ مستوطنة يهوديــة سنة ١٩٧٧ ، أصبحت ٩٥ مستوطنة عند نهاية عام ١٩٨١ . ولا بد من القول هنا بأن الاسرائيليين يفكرون في كل شيء ما عدا « حق تقرير المصير » للفلسطينيين . وحتى « الحكم الذاتي » نفسه الذي يتشدقون به لا يصبح في مشاريعهم المطروحة ساري المفعول الا بعد بضع سنوات (لم يحدد عددها لانها مرهونة بالزمن الكافي لتبديــل البنية الديموغرافية ، أي حتى يصبح اليهود أكثرية) . عند ذلك تطبق الديموقراطية ويستفتى السكان للانضمام الى اسرائيل ... وهــذا ما دعا مناحيم بيغن للتأكيــد أكثر من مرة على أن الحكم الذاتي يمكن أن يطبق على السكان وليس على الارض. ومن الجدير بالذكر هنا أن الرئيس الامريكي السابق « كارتر » سأل « شــارون » أثناء زيارته لاسرائيل عما اذا كان ينوي فعلا اسكان مليون يهودي في الضفة الغربية، فأجاب شارون على الفور : « ربما مليون ، يا سيادة الرئيس ، وربما مليونان »!..

خلال شهر نيسان ١٩٨٢ وحده أحدث شارون في الضفــة الغربية ٤٠ « مخفر مراقبة » سيكون كل منها نواة لمستوطنة جديدة ، وتتوقع المنظمة الصهيونية العالمية وصول ما لا يقل عن عشرين ألف يهودي بين عــامي ١٩٨١ ــ ١٩٨٥ ، بينما تشــير

مصادر أخرى الى أن هجرة اليهود الى الاراضي العربية المحتلة ستصل الى ٢٥٠٫٠٠٠ شخص بين عامي ١٩٨٢ ـ ١٩٨٧[1] . هذا في الوقت الذي تحظر المادة /٤٩/ من اتفاقية جنيف الرابعة على أية دولة محتلة أن تنقل عناصر من سكانها المدنيين الى الاراضي المحتلة . الا أن اسرائيل تقوم بخرق هذه المادة وغيرها من القوانين والأعراف الدولية يوميا تحت سمع العالم وبصره .

(١) ـ « النيوزويك » في عددها الصادر يوم ٥ نيسان ١٩٨٢ .

الضم الفعلي لجنوب الليطاني (١٠ حزيران ١٩٨٢) :

« تعلن رابطة حقوق الانسان عن استنكارها دون تحفظ لأعمال العدوان الشامل المرتكبة في الجنوب اللبناني بشـراسة منقطعة النظـير بناءا على أمر الحكومـة الاسـرائيلية ، والتي كانت ضحيتهـا الرئيسية هي السكان المدنيين » .

(بلاغ حزيران ١٩٨٢ — باريس)

في ١٦ حزيران ١٩٨٢ ، ومن مدينة بيروت المحاصرة بعد عشرة أيـام من الغزو الصهيوني للبنان ، بعث ياسر عرفات برقية يائسة الى الامين العـام للامم المتحـدة يصف فيها حجم الخسائر التي تحملها الشعبان اللبناني والفلسطيني نتيجة العدوان الاسرائيلي الغاشم : « تدل التقديرات الاولية على أن العدوان الاسرائيلي قد تسبب في ثلاثين ألف قتيل وجريح ، عشرة آلاف مفقود وأكثر من ثمانمئة ألف مشرد بـلا مأوى » .

بعد أن شكلت اسرائيل رأس جسر لها في الارض اللبنانية سنة ١٩٧٩ ، تحت اسم « دويلة سعد حداد » أو « لبنان الحر » ، بدأت تستعد للمرحلة التالية . فعلى الرغم من وجود قوات الطوارىء الدولية ، لم تعرف المنطقة الحدودية في الجنـوب اللبناني الهدوء مطلقا ، الى أن عمد لبنان ، في ٣ آذار ١٩٨١ ، الى دعوة مجلس الامن للانعقاد « بسبب الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على أراضيه » .

في ٢٨ نيسان ، توغل الطيران الاسرائيلي في عمق الاراضي اللبنانية حتى مدينة زحله ، حيث أسقط حوامتين سوريتين تابعتين لقوات الردع العربية في لبنان .

وفي ١٢ أيـار (مايس) ، تم إسقاط طائرتي تجسس اسرائيليتين بدون طيارين بواسطة الصواريخ السورية المسركزة في سهل البقاع . هنا بدأ ما سمي « بأزمـة

الصواريخ » • في ١٧ تموز ١٩٨١ قام الطيران الاسـرائيلي بقصف مقرات قيـادة منظمه التحرير الفلسطينية في بيروت ، فردت المقاومـه الفلسطينية يـوم ٢٠ تموز (يوليو) برمايات مدفعية على « إصبع الجليل » الواقع شمالي ـ شرقي اسرائيل • إثر ذلك أعلن عن وقف اطلاق النار بين إسرائيل ومنظمة التحرير من قبل الامم المتحدة **اعتبارا** من ٢٤ تموز ١٩٨١ • في مطلع عام ١٩٨٢ ، عـاد التوتر من جـديد : حيث قررت الامم المتحدة في شباط زيادة عدد قوات الطوارىء الدوليه من ستة الى سبعة آلاف رجـل • وفي ٧ نيسان ١٩٨٢ ، أعلن رافائيل إيتـان ، رئيس هيئة الاركان الاسرائيلي ، لصحيفة « معاريف » : « أن الحرب مع العرب قد أصبحت متوقعة • ولكنني لا أعرف متى تبدأ على وجه التحديد » • بتاريخ ٢١ نيسان ١٩٨٢ ، قامت مجموعة من الطائرات الاسرائيلية بقصف الضاحية الجنوبية لبيروت ، حيث سقط ٢٥ قتيلا ، ثم تلا ذلك ، في ٢٦ أيـار ، إشتباك جوي سوري ـ اسرائيلي فوق الاراضي اللبنانيـة •

خلاصة القول أن التوتر بلغ مرحلة مناسبة للعمل الساخن ، كما أدت عمليـة إعادة سيناء للمصريين في ٢٥ نيسان ١٩٨٢ ، والتي صورتها الدعاية الاسرائيليه كدليل إضافي على « حسن نواياها » ، الى تمهيد الجو أمام عدوان اسرائيلي جديد • وهكذا لم يبق أمام اسرائيل سوى انتظار الفرصه المناسبه التي أتاحتها محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي في لندن يوم ٣ حزيران ١٩٨٢ ، حيث اتهم الصهاينة بهـا فورا منظمـة التحرير الفلسطينيه فقاموا يوم ٥ حزيران بقصف وحشي لمخيمـات الفلسطينيين في بيروت ، حيث سقط حوالي مئة قتيل ومئات من الجرحى • وفي اليوم نفسه ، تبـين أن مرتكبي عملية لنـدن ، الذين اتهموا ظلمـاً بالانتماء الى منظمة التحرير ، كانوا ينوون اغتيال ياسر عرفات ، زعيم منظمة التحرير أيضا •••

مهما كانت الظروف والملابسات ، فقد وجدت اسرائيل الحجة التي تنتظرهـا ، وفي ٦ حزيران ١٩٨٢ ، بدأ الغزو الصهيوني لبلد مستقل وعضو في الامم المتحدة • لم يتجرأ « هتلر » على غزو « وارسو » مباشرة بل بدأ بدانزيغ ، أما « بيغن » فقد

حدد هدفه منذ البداية وهو بيروت العاصمة • وقد اعترف الجنرال الاسرائيلي « ماتتياهو بيليد » بأن اسرائيل قد حشدت ضد ستة آلاف فدائي فلسطيني أكثر مما حشدته ضد ثمانين ألف جندي مصري سنة ١٩٦٧ •

وهكذا تحولت الجماعات الارهابية اليهوديه لعام ١٩٤٧ الى دوله معترف بها تمارس الارهاب تحت سمع العالم وبصره بواسطة آلة حربية حديدية هائلة • فها هو شارون يعلن أن هدف العملية هو القضاء التام على المقاومة الفلسطينية بواسطة أكثر من مئة ألف جندي مع مئات الدبابات المتطورة بالاضافة الى قصف جوي وحشي لم يعرف التاريخ له مثيلا وانزالات بحرية طوال الشاطىء بين صور والدامور • لم تملك القوات الدولية المتمركزة في الجنوب اللبناني سوى الاكتفاء بالمراقبة وفتح الطريق أمام القوات الغازية • في ٨ حزيران ١٩٨٢ ، وفي الوقت الذي أصبحت الضحايا تعد بآلاف القتلى والجرحى ، اجتمع مجلس الامن الدولي حيث أجمعت كافة الدول على ادانة اسرائيل ومطالبتها بالانسحاب غير المشروط ، الا ان الولايات المتحدة الامريكية استخدمت حق النقض (الفيتو) • وسنرى فيما بعد أن أمريكا لم تكن وحدها الضالعة في هذا العدوان ، بل كانت هناك أطراف أخرى مثل فرنسا أعلمت به قبل وقوعه بعدة أشهر •

عندما تمكنت اسرائيل من احتلال ٢٥٠٠ كم٢ ، أي ربع الاراضي اللبنانية ، حان الوقت لظهور الرائد العميل سعد حداد وهو يرفع راية ما سمي « بلبنان الحر » • لذلك أعلن في ١٠ حزيران ١٩٨٢ عن توسيع « لبنان الحر » هذا ليشمل كافة الاراضي الواقعة جنوبي الليطاني بالاضافة الى كافة القرى الجنوبية التي استولت عليها قوات الغزو الصهيوني • وأغلب الظن أن هدف اسرائيل الحقيقي من استخدام « ستارة حداد » هذه هو الوصول الى الحدود الطبيعية التي تطمع فيها الصهيونية منذ عام ١٩٣٠ في الشمال : وهي نهر الليطاني •••

ـ نحو محمية اسرائيلية في لبنان :

كتبت هذه السطور في الوقت الذي كانت فيه معركة بيروت مستمره (١٧

حزيران ١٩٨٢) ، مما يجعلها مجرد فرضية مستندة الى الوقائع السابقة والحالية والى ما يراه الكثيرون من خبراء الشرق الاوسط .

في يوم الجمعة الواقع في ١١ حزيران ، اعلنت اذاعة دمشق أن سورية مستعده لقبول وقف اطلاق النار الذي اقترحته اسرائيل . الا أن الاسرائيليين والكتائب المسيحية امنوا الاتصال بينهم على الارض في ضواحي بيروت كحلفاء يعملون لغايه واحده ، وذلك في ١٤ حزيران . في اليوم نفسه ، قرر الرئيس اللبناني (الياس سركيس) تشكيل لجنة خلاص وطني تضم كلا من بشير الجميل (الزعيم الكتائبي المعروف) والوزان (رئيس الحكومه) ونبيه بري (الزعيم الشيعي ورئيس حركه امل) ووليد جنبلاط (الزعيم الدرزي المعروف ورئيس حركة اليسار اللبناني). إلا أن وليد جنبلاط رفض الاشتراك في لجنة تعمل « تحت السيطرة الاسرائيلية » ، خاصه وأن القصر الجمهوري في بعبدا كان تحت الاحتلال الاسرائيلي . أضف الى ذلك أن اتصالات « شارون » مع الزعماء الكتائبيين كانت تجري على قدم وساق ، كما أعلن « مناحيم بيغن » أن القوات الاسرائيلية لن تنسحب قبل الوصول الى حل سياسي . ولا شك في أنه كان يعني حلا اسرائيليا لان كافة الاوراق الرابحة كانت في يده آنذاك ...

ومن الجدير بالذكر هنا أن « موشيه شاريت » ، الذي كان وزيراً لخارجية اسرائيل ، قد فكر سنة ١٩٥٤ بالتدخل العسكري في لبنان من أجل فرض نظام حكم يسيطر عليه الموارنة تحت حماية الحليف الصهيوني . وهاهي أمنية عام ١٩٥٤ تتحقق سنة ١٩٨٢ . ان ما يسميه شارون « لبنان الحر والمستقل » هو في الواقع لبنان الكتائب الموارنة ، وهذا أمر لا يزعج فرنسا التي تريد اخراج السوريين والمقاومة الفلسطينية من لبنان . وهكذا وجد الاسرائيليون في شخص بشير الجميل الرجل المناسب باعتباره القائد الاعلى للكتائب أو لما سمي « بالقوات اللبنانية » ، والذي يطمح لان يصبح رئيسا للجمهورية . متى تم ذلك ، تكون حملة « سلامة الجليل » قد أعطت ثمارها ، كما يصبح لبنان محمية اسرائيلية بكل معنى الكلمة .

★ ★ ★

من المؤسف حقاً أن نرى في الغرب عشـرات الكتب تصدر لتمجد « أبطـال اسرائيل عـام ١٩٦٧ » و « الغـاره الرائعة على عنتابه » وغـير ذلك وكأن الامر لايتعدى كونه من أفلام الغرب الامريكي وليس عمليات غزو منظم وتوسع مدروس على حساب اصحاب الارض والحق من فلسطينيين وعرب • والعجيب أن الرأي العام الغربي لم يستيقظ سوى عنـد سماعه بمجزرة حزيران ١٩٨٢ التي ذهب ضحيتهـا عشرات الآلاف من اللبنانيين والفلسطينيين • والأعجب من ذلك أن عملية الابـادة الجماعية هذه سميت « السلام الجليل » !•••

كل هذا يجري وقرارات إدانه اسرائيل نرى في الامم المتحدة حول : الجولان والقدس والاراضي المحتلة وحقوق الانسان ورفض التوقيـع على معاهدة حظـر انتشار الاسلحة النوويه وغيرها ، ولكن دون أن يتخذ أي اجراء فعلي يضع حـداً للعدوان الغاشم الذي تدعمه الولايات المتحدة •

من المؤلم القول ، ولكنها الحقيقة ، أن الحرب اللبنانية لم تنته بعد ، ولا يمكن لأحد أن يتكهن لأي مدى يمكن للصراع ان يمتد ، حيث يظـل من المحتمـل أن يتجاوز الشرق الاوسط ليشمل العالم كله • صحيح أن أهداف اسرائيل قد أصبحت معروفه : وهي تحطيم البنية الاساسيه لمنظمة التحرير ، فرض نظام حكم لبناني يحل فيه التأثير الصهيوني محل التأثيرين السوري والفلسطيني ، واضعاف سورية ، ولكن كما قال « كلـود شيسون » في الامم المتحدة ، في مؤتمره الصحفي الذي عقـده يوم ١١ حزيران ١٩٨٢ ، يعتبر أسلوب التدخل الاسرائيلي في لبنان أشبه بخطـوة نحو الانتحار • فهي لم تترك مجالا لأي صوت معتدل في الوطن العربي ، بل دعمت الاصوات المنادية بأنه لا يمكن التعامل مع الصهيونية بل يجب محاربتها حتى « التحرير الكامل للتراب الفلسطيني » • أضف الى ذلك أن معظم دول العالم قد بدأت تدرك مدى ما تشكله النزعـة الصهيونية العدوانية من خطر قـد يؤدي الى حرب عالميـة ثالثـة •

الفصل الثالث

الحل النهائي للمسألة الفلسطينية

« لا يمكن وصف العدوان الاسرائيلى الحالى على لبنان إلا بأنه عمل شبه فاشى » .

(برونو كرايسكى)

في عام ١٩٤٧ ، طرد الشعب الفلسطيني من أرضه ظلماً وعدواناً ليحل محله غرباء نزحوا إليها من مشرق الارض ومغربها . هذه هي الحقيقة المؤلمة التي لايمكن إيجاد حل عادل للمسألة الفلسطينية اذا لم نفهمها ونبقيها ماثلة في أذهاننا . بدون هذا قد توجد تسويات مؤقتة وحلول مبتورة أو قد تتكرر الحروب العربية الاسرائيلية الى ما شاء الله .

أين يوجد الشعب الفلسطيني ، الذي كان تعداده في حدود ٤ر٥ مليون نسمة، بعد أن حلت به نكبة عام ١٩٤٨ ؟ تدل الاحصاءات المتوفرة سنة ١٩٨١ على التوزع المبدئي التالي :

اسرائيل : ٥٥٠ ٨٠٠ ؛ الأردن : ١ ١٤٨ ٣٣٤ ؛ الكويت : ٢٩٩ ٧١٠ ؛ مصر : ٤٥ ٦٠٥ ؛ الامارات العربية : ٧٠ ٠٠٠ ؛ الولايات المتحدة : ١٠٤ ٨٥٦ ؛ الصفة الغربية : ٨٣٣ ٠٠٠ ؛ سورية : ٢٢٢٥٢٥ ؛ العراق : ٢٠ ٦٠٤ ؛ المملكة العربية

السعودية : ۱۳۷۰۰۰ ؛ البحرين : ۲۰۰۰ ؛ عمان : ٥٠٧٠٦ ؛ قطاع غزة : ٤٥١٠٠٠؛ لبنان : ٣٥٨٢٠٧ ؛ لبيـــا : ٢٣٧٥٩ ؛ قطر : ٢٤٢٣٣ ؛ بلدان أخرى : ١٤٠١١٦ ٠

لا بد من التنويه هنا بأن هذا الاحصاء لا يشمل الفلسطينيين الذين يعيشون في المغرب ، كما لا يشمل الذين يقيمون في البلدان الشيوعيــه للدراسة أو لاسباب أخرى ٠ كذلك لابد من القول بأن الشعب الفلسطيني ، مثله في ذلــك مثــل كافة شعوب العالم الثالث ، يحمل السمات الديموغرافية للدول الفقيرة : هرم الأعمـــار الذي يسود فيه الشباب ، الانجــاب الخصب والعائلات الكثــيرة العدد ٠ ويــدل إحصاء تقريبي ، أو بالاحرى تقدير أولي ، جرى سنة ١٩٨٢ ، على أن عدد الفلسطينيين يربو على خمسة ملايين يتزايدون بوتيرة عالية ٠

يمثل الشعب الفلسطيني وجوداً قومياً لايمكن لأحد إنكاره أو تناسيه ، ويضم ٢٠ ٪ من المسيحيين (وهذا واقع يجهله الغربيون الذين يخلطون دائما بين العروبة والاسلام) ٠ كذلك لا يعلم الغربيون أن نسبة محو الامية لــدى الفلسطينيين هي أعلى نسبة في العالم العربي ؛ عندما طردوا من ديارهم سنة ١٩٤٨ ، كان عدد حاملي الشهادات الجامعية فيهم في حدود ٤٠٠ جامعي فقط ٠ أما اليوم فيقدر عدد هــؤلاء بحوالي ١٣٠٠٠٠ ، وهي نسبة تعتبر أعلى مــن مثيلتها في اسرائيل أو في بريطانيـــا العظمى بصورة عامة ٠ صحيح أن الغالبية العظمى مــن الفلسطينيين يعانون البؤس والحرمان في مخيمات اللاجئين ، الا أن هنالك فئة بورجوازية فلسطينية ، بل أثريـــاء كباراً من أمثال عبد المحسن قطــان ، الذي يعيش في الكويت والذي يمول إقـــامة مركزين ثقافيين في جامعتي بير زيت والنجاح في الضفة الغربية المحتلة ، كما يقــدم منحاً دراسية لكل فلسطيني يسمح له مستواه بدخول أرقى جامعات العالم ٠ يعتبر الشعب الفلسطيني جزءا لا يتجزأ من الأمة العربية التي كانت موحــدة في الماضي ، والمجزأة حاليا الى أكثر من عشرين دولة ذات أنظمة متناقضة أحيانا ، ولكنها تتفــق جميعها على دعم القضية الفلسطينية في المحافل الدولية ٠

إزاء الخطر الصهيوني الداهم ، قررت كافة التشكيلات السياسية الفلسطينية

أن تنضوي تحت راية واحدة ، مهما اختلفت مذاهبها السياسية واتجاهاتها العقائدية • وهكذا وجدت « منظمة التحرير الفلسطينية » التي لابد من إعطاء لمحة عن وجهها الحقيقي الذي تحاول الدعاية الصهيونية تشويهه بشتى الوسائل والأكاذيب ، وتقدمه للرأي العام الغربي كصورة بشعة للارهاب الدولي •

إنبثقت منظمة التحرير الفلسطينية من « المجلس الوطني الفلسطيني » الذي انعقد في مدينه القدس يوم ٢٨ آيار ١٩٦٤ • ترأس المنظمة آنذاك السيد أحمد الشقيري ، الذي خلفه السيد يحيى حموده سنه ١٩٦٦ ؛ وقد تم تبني ما سمي بالميثاق الوطني الفلسطيني الذي عدل فيما بعد بتاريخ ١٦ تموز ١٩٦٨ • يعتبر هذا الميثاق الوثيقة الاساسية لمنظمة التحرير ، لقد ورد في بنده الاول ما يلي : « إن فلسطين هي وطن الشعب العربي الفلسطيني » ، وهذا هو « قميص عثمان » الذي ما فتئت الصهيونية العالمية ترفعه هنا وهناك لتندد به كدعوة صريحة لإبادة اليهود رغم تصريحات ياسر عرفات المتكررة والمنادية بتعايش اليهود مع العرب داخل دولة المستقبل الفلسطينية • يؤكد البند التاسع من الميثاق على استحالة نيل الحقوق المشروعة دون اللجوء الى الصراع المسلح ، الذي وضع بدوره ضمن إطار التضامن مع الأمة العربية (البند ١٤) • كذلك دان الميثاق من جديد مشروع التقسيم باعتباره (وهذا هو الواقع) انتزاعاً صريحاً للملكية أهل فلسطين الحقيقيين لاعطائها للمهاجرين الصهاينة (البند — ١٩ —) • وأخيراً ، يصف البند — ٢٢ — من الميثاق الصهيونية كقوة دولية تمارس في الشرق الاوسط لعبة الامبريالية التي تسعى لقهر المنطقة وتهديد السلام العالمي •

في عام ١٩٦٦ ، تشكلت في دمشق منظمة فدائية جديدة أطلق عليها اسم « فتح » • ترأس هذه المنظمة شاب مهندس يدعى ياسر عرفات ما لبث ، في عام ١٩٦٩ ، أن أصبح رئيساً لمنظمة التحرير بعد القتال المشرف الذي خاضته عناصر منظمته في معركة الكرامة •

في عام ١٩٧٠ ، تعرضت منظمه التحرير الفلسطينية لأول محنة قاسية عندما دخلت في صراع مع الملك حسين داخل الاردن ذهب ضحيته أكثر من ألف قتيل خلال شهر حزيران • وفي ١٦ أيلول من العام نفسه ، اصطدم الجيش الاردني بالفدائيين الفلسطينيين ، حيث جرت مذبحة رهيبة ذهب ضحيتها آلاف الفلسطينيين ، مما أدى إلى تسمية ذلك الشهر « أيلول الأسود » •

منذ ذلك الحين بدأت منظمه التحرير بنقل قواتها تدريجيا الى لبنان • ومن الجدير بالذكر هنا أن اتفاق القاهرة ، الموقع في ٣ تشرين الثاني ١٩٦٩ ، قد نص على ضرورة التنسيق بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية مما سهل تمركز هذه الأخيرة في الجنوب اللبناني وبيروت • لقد أتينا هنا على ذكر اتفاق القاهرة لان إسرائيل تعتبر الفدائيين الفلسطينيين كغزاة في لبنان بينما وافقت الحكومة اللبنانية منذ عام ١٩٦٩ على الوجود الفلسطيني المسلح على أراضيها •

في تلك الفترة كانت منظمة التحرير تضم الفصائل التاليه التي وقعت على اتفاق عمان بتاريخ ٦ أيار ١٩٧٠ : فتح ، الصاعقة ، الجبهه الشعبية لتحرير فلسطين ، الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، قوات التحرير الشعبية ، جبهة التحرير العربية ، منظمة فلسطين العربية ، جيش التحرير الفلسطيني ، جبهة النضال الفلسطيني ، المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين • إلا أن هذه المنظمة لم تكن تملك الوسائل الناجعة لإسماع صوتها في الساحة الدولية ، وبخاصة في الغرب حيث تصول وسائط الدعاية الصهيونية وتجول لتقلب الحق باطلا والباطل حقاً • لذلك كان لابد من اللجوء الى العنف ، سواء داخل الارض المحتلة (كما حدث في الجليل ومعالوت وكريات شمونه وغيرها) أو خارجها (مثل عملية ميونيخ والخرطوم وعنتابه وسواها) • وقد ذكر « جون بول سارتر » في كتابه (الأيادي القذرة) أن من السهل جداً إدانة العنف من جانب واحد • إلا أن هناك حالات لايملك معها المظلوم والمستغَل غير العنف وسيلة عندما تدفعه القوة الغاشمة لخصمه الى ردود فعل يائسة حتى لا يتعرض للابادة التامة • وهكذا بدأت منظمة التحرير تسمع صوتها بالوسائل المتوفرة وتثبت

وجودها بالامكانيات المتاحة الى أن تم الاعتراف بها أخيراً ، في مؤتمر قمة الرباط سنة ١٩٧٤ ، كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني • وتنفيذا لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة في ١٤ تشرين الاول من عام ١٩٧٤ ، دعي السيد ياسر عرفات لإلقاء كلمة أمام هذه المنظمة الدولية في نيويورك ، الامر الذي اعتبر نصرا كبيرا لمنظمة التحرير توج جهودها المضنية طوال ثماني سنوات من الكفاح المرير • وهكذا ألقى ياسر عرفات خطابه الشهير في ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٤ ، حيث قال : « بصفتي رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينيه وقائداً للثورة الفلسطينية ، أعلن أمامكم أننا عندما نتحدث عن آمالنا المشتركة بالنسبة لفلسطين الغد ، ندخل في تطلعاتنا كافة اليهود الذين يعيشون الآن في فلسطين اذا اختاروا التعايش معنا بسلام ودون تمييز • لذلك أعلن من هنا دعوتي لليهود لكي يتخلوا عن الاوهام المميتة للأيديولوجيةالصهيونية، التي لم تجلب لهم سوى الحرب المستمرة والويلات الدائمة • كما أعلن من فوق هذه المنصة أننا لا نرغب مطلقاً في سفك أية نقطة دم عربي أو يهودي • نحن لا نجد أية لذة في هذه المجازر الدائمة ، التي ستتوقف فور اقامة سلام عادل يستند على حقوق شعبنا وأمانيه وتطلعاته » •

هل يمكن اعتبار هذه كلمات « ارهابي » متعصب ، متعطش لسفك الدماء وإبادة الشعب اليهودي ؟ الجواب بالنفي القاطع حتماً لان صاحبها يعبر عن حقيقة مشاعر الشعب العربي الفلسطيني وأمانيه •

في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٧ ، جرت اتصالات مباشرة بين منظمة التحرير الفلسطينية وبعض المنظمات الاسرائيلية اليسارية بوساطة أطراف ثالثة متعددة • إثر ذلك بدأت ملامح منعطف جديد ترتسم داخل المجلس الوطني الفلسطيني : فبينما كان اتفاق عمان للعام ١٩٧٠ ينص على أن « هدف النضال الفلسطيني هو تحرير كامل الارض الفلسطينية » ، تبنى المؤتمر الفلسطيني الوطني الثاني عشر ، الذي انعقد في القاهرة خلال شهر حزيران من عام ١٩٧٤ ، برنامجا من عشر نقاط ينص على « إقامة دولة فلسطينية مستقلة على أي جزء يتم تحريره من

الارض الفلسطينية » • ولا شك في أنه تبدو من خلال هذا التطور ملامح تعايش بين إسرائيـــل (داخل حدود ما قبل حزيران ١٩٦٧) وبين دولة فاسطينية تقوم في كـــل من قطاع غزة والضفة الغربية ،• وقد كان هذا التطور محور المقترحـــات السعودية («شروع فهد الذي لم يلاق النجاح بعد قمة فاس في تشرين الاول من عام ١٩٨١)•

إلا أن هذا التطور التدريجي باتجاه نوع من الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود زاد من الانقسامات الداخلية في صفوف منظمة التحرير • وقد جـــاءت الخـــلافات العربية لتنعكس بدورها داخل المنظمة وتزيدها فرقة وانقساما •

خلال السبعينات ، استطاعت منظمـــة التحرير أن تسجـــل بعض النقاط على الصعيد الدبلوماسي : فعلاوة على الاعتراف بها من قبل الدول العربية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، حصلت سنة ١٩٧٤ على حقهـــا كعضو مراقب في الامم المتحدة (حيث ساهم السيد زهدي الطرزي في اجتمـــاع مجلس الامن سنة ١٩٨٢ وعبر عن وجهة النظر الفلسطينية) ، كما أصبح يشارك في اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية • أما دول عدم الانحياز فتعتبر منظمة التحرير كدولة عضو في اجتماعاتها• بعد اتفاقية « كامب دافيد » ، عمدت دول الشرق الاوسط الى طرد مصر من عضوية (اللجنـــة الاقتصادية لغربي آسيـــا) وقبلت مكانها منظمة التحرير كممثلة لدولـــة مستقلة[1] • في ٣٠ تموز ١٩٧٤ ، بدأ ياسر عرفات زيارته الرسمية الاولى لموسكو، كما تجول بين مختلف عواصم العالم ، مثل طوكيو التي أقامت علاقات دبلوماسيـــة مع منظمـــة التحرير • وفي ٢٠ تشـــرين الاول ١٩٨١ ، استقبله السيد بريجينيف • كذلك بدأت مكاتب المنظمـــة تفتح في عـــدد من دول العـــالم مثل لندن وباريس وسواهما • في العاصمة الفرنسية ، عين السيد ابراهيم الصوص كمدير لمكتب الاعلام والارتباط مع منظمة التحرير بعد أن تم اغتيال سلفيه (الهمشري سنة ١٩٧٢ وقلـــق سنة ١٩٧٨) •

---

(١) ـ الحقيقة ان مصر لم تطرد من هذه اللجنة وان منظمة التحرير الفلسطينية عضو فيها قبل اتفاقية كامب دافيد الخيانية .

(المترجم)

وهكذا أخذت منظمة التحرير خلال الثمانينات شكل جهاز دولة ، رئيسها ياسر عرفات ورئيس وزرائها أبو إياد ووزير خارجيتها فاروق القدومي الذي استقبل رسميا في الفاتيكان خلال شهر نيسان من عام ١٩٨١ • وقد اضطرت إسرائيل نفسها للاعتراف الضمني بمنظمة التحرير بعد « حرب الليطاني » في آذار من عام ١٩٧٨ وبعد الاتفاق على وقف اطلاق النار معها في تموز من عام ١٩٨١ •

إلا أن الاختبار الرهيب كان ينتظر منظمة التحرير في حزيران من عام ١٩٨٢ ، حيث وجدت نفسها ملزمة باعادة النظر في استراتيجيتها وتوضعها بعد الانتصار العسكري الذي حققته القوات الاسرائيلية عند غزوها للبنان ، هذا الانتصار الذي أحدث ثغرة بصعب ملؤها في جدار الاكاذيب الباطلة والدعاية الصهيونية المضللة • فقد عمدت اسرائيل ، طوال ٣٤ عاما ، الى تبرير كافة أعمالها الارهابية والعدوانية بالدفاع عن النفس والوجود • إلا أن غزو لبنان هذه المرة ، وبهذا الحجم الهائل من القوى والوسائط ، قد أماط اللثام عن الوجه الحقيقي للصهيونية وكشف عن أطماعها البعيدة المدى وأثبت أن هناك خطة توسعية جهنمية تنفذ بدقة وعلى مراحل ، مستهدفة الوجود الفلسطيني كله ، بل الامة العربية من محيطها الى خليجها •

تعتمد الخطة الاسرائيلية لحل المشكلة الفلسطينية على ثمانية عوامل موجهة أساسية يمكن تلخيصها بالآتي :

١ ــ القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية كممثل حقيقي وشرعي للشعب الفلسطيني •

اتخذ « الكنيست » الاسرائيلي في ١٨ آذار ١٩٧٨ قراراً صريحاً جاء فيه بالحرف الواحد ما يلي : « والهدف هو إبادة رجال منظمة التحرير الفلسطينية أينما وجدوا » •

كذلك صرح الجنرال « أرييل شارون » ، في حزيران ١٩٨٢ ، بقوله :

« نحن هنا لكي ندمر تماماً وإلى الابد جميع ارهابيي منظمة التحرير » •

مما لا شك فيه أن مثل هذه العبارات ، سواء صدرت عن الكنيست أو عن شارون ، لا يمكن أن تخرج على الرأي العام العالمي إلا بعد دراسة كافية وتمهيد دقيق : فالحجة الاولى هي الزعم بأن منظمة التحرير قد جاءت صنيعة «عبد الناصر» أو طليعة من طلائع موسكو في الشرق الاوسط . الا أن كل من يعرف التاريخ يعلم جيداً أن هذا محض افتراء ، وأن هذه المنظمة قد جاءت وريثة أمينة لقرن كامل من النضال العربي ضد الهجمة الصهيونية الاستيطانية الشرسة على الارض الفلسطينية .

منذ نهاية القرن التاسع عشر ، عندما بدأت المستوطنات اليهودية تنتشر هنا وهناك ، أدرك المواطنون العرب أن غزوا استيطانيا حقيقيا ينشب مخالبه في الجسم الفلسطيني . فاتسعت المقاومة وبدأت تأخذ شكل منظمات تتصدى للغزو الصهيوني بالوسائل المتاحة . وفي عام ١٩٠٢ . عندما استقبل السلطان العثماني « تيودور هرتزل » ، قال له أن من الصعب عليه تقديم أية تنازلات « بسبب رفض الفلسطينيين العرب للوجود الصهيوني » . ويمكن القول بأن الوعي القومي العربي الفلسطيني قد ولد سنة ١٩٠٥ على يد عربي مسيحي من القدس يدعى « نجيب عازوري » كما أسلفنا . لذلك حاول الوالي التركي على فلسطين (جمال باشا) طرد اليهود القادمين من روسيا والذين أصبحت اعدادهم كبيرة ، إلا أن صهاينة ألمانيا مارسوا ضغطاً شديدا على حكومة القيصر لايقاف جمال باشا عند حده . وفي شهر آب من العام ١٩١٧ ، زار هذا الاخير برلين حيث حذر المسؤولين الالمان من أن استمرار الهجرة الصهيونية الى فلسطين قد يؤدي الى قيام العرب الفلسطينيين ، مسلمين ومسيحيين، بذبح اليهود الغرباء . وفي العام ١٩١٩ ، كان الفلسطينيون قد شكلوا تنظيمين سياسيين مضادين للصهيونية : « اليد السوداء » الذي كان يدعو لاستخدام العنف كوسيلة لارغام الغزاة اليهود على مغادرة البلاد ، بينما كانت « الرابطة الاسلامية ـ المسيحية » تفضل العمل السياسي .

في العام ١٩١٩ ، طالب مؤتمر القمة العربي حول فلسطين بالغاء وعد بلفور والعدول عن فكرة اقامة « الوطن القومي اليهودي » الذي سيعتمد على انتزاع

ملكية الاراضي من أصحابها الحقيقيين واعطائها للمهاجرين الدخلاء • وقد رأينا في الفصل السابق كيف كانت الفترة الواقعة بين الحربين مسلوءة بالاصطدامات الدامية بين العرب واليهود ، كما ظهر على المسرح السياسي المفتي الحاج أمين الحسيني الذي أسس وتزعم « اللجنة العربية العليا » التي تشبه منظمة التحرير الفلسطينية • وفي ٨ كانون الاول ١٩٤٧ ، تم في القاهرة تأسيس جيش التحرير الفلسطيني • ومن الجدير بالذكر هنا أن إغارات الفدائيين لم تبدأ مع ظهور منظمة التحرير ، بل انطلقت من قطاع غزة سنة ١٩٥١ •

كذلك تزعم الدولة الصهيونية أن منظمة التحرير لا تمثل الفلسطينيين ، بينما أثبت استفتاء أجرته مؤسسة اسرائيلية في أيار ١٩٨٢ ، وفي ظروف سيئة جداً بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ، أن ٨٦٪ من الفلسطينيين الذين سئلوا يفضلون قيادة دولة فلسطين المستقبل من قبل منظمة التحرير ، وأن ٥٩ ٪ من المقيمين في الاراضي المحتلة يؤيدون ، ليس دولة فلسطينية تشمل الضفة الغربية وقطاع غزة فقط ، بل فلسطين بكافة أراضيها قبل عام ١٩٤٧ •

تصور الدعاية الاسرائيلية أفراد منظمة التحرير كارهابيين يسعون لقتل جميع اليهود خلافا لكل ما صرح به كافة قادة المقاومة مرارا وتكرارا فيما يتعلق بالدولة الفلسطينية العلمانية التي تضم العرب واليهود • أما خرافة تبعية منظمة التحرير وعمالتها لموسكو فلم يعد هناك عاقل منصف يصدق هذه الفرية الكبرى • الحقيقة أن زعماء المنظمة مضطرون للالتفات الى موسكو نظرا للموقف العدائي السافر الذي تبديه الولايات المتحدة تجاه قضيتهم العادلة ، وبسبب عجز أوروبا عن تحمل مسؤولياتها في منطقة الشرق الاوسط •

لم تكتف اسرائيل بحملة الاكاذيب هذه ضد منظمة التحرير ، بل وجدت في اتفاقية كامب دافيد منبراً مناسباً ومسرحاً صالحاً لكي تعرض عليه ، بكل ما أوتيت من نفوذ دعائي ، تلك الملهاة التي ظهر أبطالها الثلاثة يتعانقون : كارتر المسيحي ومناحيم بيغن اليهودي وأنور السادات المسلم • وقد ذهب الحماس بهذا الاخير

حداً جعله يعلن أنه ينوي أن يقيم في سيناء كنيسة وكنيساً ومسجداً للمؤمنين من الأديان السماوية الثلاثة ... في الحقيقة ، لقد نسي أنور السادات أن يضيف بأنه سيقيم بيوت الله هذه على قبر منظمة التحرير والقضية الفلسطينية . وهكذا خدم السادات ، وهو يدري أو لا يدري ، الصهيونية خدمة لاتنسى عندما انفرد بمبادرته « السلمية » هذه التي مزقت الصف العربي ورجعت بالقضية الفلسطينية والحق الفلسطيني مئات الخطوات الى الوراء .

بعد جلاء الأكاذيب والغطاء القانوني الذي قدمته اتفاقية كامب دافيد ، لم يبق أمام اسرائيل سوى الانتقال الى العمل الميداني لتصفية كوادر منظمة التحرير ، فجاء غزو لبنان الهمجي الاخير بعد أن سبقه أعمال التصفية الفردية التي قامت بها « الموساد » الاسرائيلية في كافة أنحاء العالم . من هذه الأعمال الارهابية على سبيل المثال لا الحصر :

— في ١٦ تشرين الاول ١٩٧٢ ، وائل زعيتر ممثل منظمة التحرير في روما .

— ٨ ١ كانون الاول ١٩٧٢ ، الهمشري ممثل المنظمة في باريس .

— في ١٠ نيسان ١٩٧٣ ، ثلاثة من كوادر المنظمة في بيروت .

— في ٣ كانون الثاني ١٩٧٧ ، السيد صالح في باريس .

— في ٣ آب ١٩٧٨ ، عز الدين قلق ممثل المنظمة في باريس مع مساعده عدنان حماد .

— في ١ حزيران ١٩٨١ ، نعيم خضر ممثل المنظمة في بروكسل .

— في ١٧ حزيران ١٩٨١ ، حسين كمال ممثل المنظمة في روما .

— في تموز ١٩٨٢ ، معاون ممثل المنظمة في فرنسا .

في ٦ حزيران ١٩٨٢ ، قام مئة ألف رجل بدباباتهم وطائراتهم وسفنهم الحربية بالانقضاض على لبنان ، هذا البلد المستقل وصديق فرنسا .

كانت قوات منظمة التحرير في المثلث : صور ــ صيدا ــ جزين (هذا القطاع « الفلسطيني ــ التقدمي » بسبب وجود ميليشيات لبنانية الى جانب قوات منظمة التحرير) وفي بيروت ، لذلك كانت القوات الاسرائيلية مصممة منذ البداية على ضرب الهدفين معا . أما ما حدث اعتبارا من يوم ٧ حزيران ، فلم يسبق له مثيل في التاريخ ، باستثناء ما فعلته النازية خلال الحرب العالمية الثانية . ولا بد لنا هنا من صرخة صريحة ووقفة متأملة أمام هذه الاعمال الوحشية عسى أن يستيقظ الاوروبيون ، إزاء هول المأساة ، من سباتهم ويكفوا عن تحيزهم الاعمى لاسرائيل . وهكذا بعثت مجزرة دير ياسين من جديد ، ولكن على نطاق أوسع بكثير . ففي مخيم الرشيدية وحده على سبيل المثال ، كان هناك ١٥٠٠ فدائي فلسطيني لم يبق منهم بعد « عملية التطهير » سوى ١٥٠ . وقد تكررت هذه الصورة في جميع القرى والمدن في الجنوب اللبناني . ففي صور ، تم تدمير مركز المدينة تدميرا تاما ، كما تحولت مدينة صيدا الى أنقاض في كثير من الاحياء ، حيث كانت الدبابات الاسرائيلية تقصف المنازل دون تمييز .

أما ما حدث في بيروت ، فالمشاهد الرهيبة التي نقلتها وسائل الاعلام العالمية كانت أبلغ من أي شرح أو تعليق ، وبخاصة قصف الاحياء السكنية من العاصمة بأحدث وسائط التدمير من البر والبحر والجو . وأما مجازر كل من مخيمي صبرا وشاتيلا ، التي ارتكبت بتخطيط الصهاينة الغزاة واشرافهم ، فستبقى أبشع صورة للهمجية والوحشية عرفها التاريخ .

ولا شك في أن ما فعله الاسرائيليون في لبنان قد زرع في نفوس خمسة ملايين فلسطيني حقدا لن تطفىء جذوته السنون بسهولة .

٣ ـ إنكار وجود الشعب الفلسطيني .

« ماذا نعني بكلمة « فلسطينيين » ؟ عندما وصلت الى هذه البلاد ، كان هناك ٢٥٠,٠٠٠ رجل من غير اليهود ، معظمهم من العرب والبدو » .

(ليفي اشكول ، ١٩٦٩)

مما لا شك فيه أن كلام رئيس وزراء اسرائيل آنذاك بعيد عن الحقيقة تماماً . فعندما وصل الى فلسطين ، كان هناك ٦٥٠,٠٠٠ عربي ، ولكن العثمانيين لم يكونوا يجرون أي احصاء للسكان في البلدان التابعة لهم ، مما أفسح المجال أمام الدعاية الصهيونية لتزييف الحقائق وفق أهوائها . ومن الجديد بالذكر هنا ما قاله يهودي معروف ، هو « اسرائيل زانغويل » ، سنة ١٩٠٤ : « لا يتجاوز عدد اليهود ٢٥ ٪ من السكان . لذلك علينا أن نستعد لطرد السكان الاصليين من غير اليهود بالقوة ، كما فعل أجدادنا ، أو للتصدي من الآن لمشكلة الاغلبية غير اليهودية » .

وهكذا نجد الصهاينة يمارسون الآن هاتين السياستين في آن واحد ضمن اطار حلهم النهائي للمشكلة الفلسطينية . ولانكار الهوية الخاصة للشعب الفلسطيني ، يدعي الصهاينة أنه ليس للفلسطينيين وعي وطني خاص ولا ثقافة خاصة !... لهؤلاء نقول : إرجعوا الى منظمة اليونسكو لتطلعوا بأنفسكم على التراث الثقافي الفلسطيني ، ارجعوا الى المسرح الفلسطيني المقدسي « الحكواتي » الذي قام بجولتين ناجحتين في أوروبا في الآونة الاخيرة ، ارجعوا الى الأدب الفلسطيني ، اقرؤوا قصائد محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وغيرهم ... الا أن الثقافة الفلسطينية هي أيضا الرسم مع اسماعيل شموط والازياء الوطنية والتطريز والرقص والموسيقى والسينما . لو لم يكن لدى هذا الشعب وعي وطني وثقافة ، لما اضطرت سلطات الاحتلال الاسرائيلية لاغلاق المدارس والجامعات (وبخاصة جامعة بير زيت) بشكل دوري ...

أما عن « الحقوق التاريخية لليهود » في فلسطين ، فيكفي أن نذكر هنا بأن البارون « هيرش » كان يمول مستعمرات يهودية في الارجنتين ، وبأن « هرتزل » كان يتفاوض مع الانكليز سنة ١٩٠٣ من أجل اقامة وطن قومي لليهود في أوغنده . في العام ٧٠ بعد المسيح ، وبعد تدمير القدس ، قام « تيتوس » بتعزيز الادارة الرومانية في هذا الاقليم من الامبراطورية الذي أطلقت عليه تسمية « فلسطين » (Palestina) . وهكذا استمرت تسميه « فلسطين » مدة ١٨٧٨ عاما مقابل ٣٤ عاما عاشتها تسمية « اسرائيل » حتى الآن . ومنذ عام ٧٠ بعد المسيح ، إقتصر الوجود اليهودي في فلسطين على بعض المدارس التي كانت تدرس التلمود في محاولة الحفاظ على رابطة بين اليهود المنتشرين في كافة أرجاء العالم . من المعروف أنه بعد ظهور الاسلام ، وفي عام ٦٣٦ ، فتح الخليفة عمر بن الخطاب القدس ، حيث تعرّبت فلسطين بكاملها منذ القرن السابع . على ضوء ذلك كله ، أليس من المستغرب حقا أن نسمع الحديث كل يوم عن « الحقوق الطبيعية والتاريخية لليهود في فلسطين »؟..

وهكذا يثبت التسلسل الزمني للاحداث بأن أحدا لم يعد يسمع ، منذ سنة ٦٣٦ حتى ١٩١٧ (أي حوالي ١٣٠٠ سنة !) ، عن وجود أي ارتباط لليهود في فلسطين ، بينما توالت الادارات الحاكمة الاسلامية في فلسطين : الامويون (٦٦١ — ٧٥٠) ، ثم العباسيون (بعد عام ٧٥٠) ، فالاتراك السلجوقيون عند بداية القرن الحادي عشر . في سنة ١٠٩٩ ، استولى الصليبيون على القدس ، حيث استمر القتال بين المسيحيين والمسلمين في فلسطين طيلة قرنين كاملين . وفي عام ١٢٥٩ — ١٢٦٠ ، وصلت قبائل المغول ، ثم بدأ حكم المماليك من ١٢٦٠ — ١٥١٦ ، الذي أعقبه الحكم التركي العثماني من ١٥١٧ — ١٩١٧ . لذلك لم تظهر كلمة « يهود » في فلسطين من جديد إلا بعد ظهور وعد بلفور .

يتهرب الصهاينة من جديد ويدعون بأن وجودهم ظل مستمرا على « أرض اسرائيل » رغم موجات « الغزو » المتلاحقة عبر السنين .... ما هي حقيقة هذا الوجود وأبعاده في الواقع ؟ خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٣٥ و ٦٣٥ ، كان

هناك وجود يهودي في الجليل • ولكن ، اعتبارا من القرن السابع سارت معظم المدارس التلمودية في ركب الاعصار العربي وانتقلت لتقيم في اسبانيا • وعندما قام الحاج اليهودي « بنيامين دي توليدا » بزيارة الاماكن المقدسة سنة ١١٧٠ ، قدر عدد اليهود الموجودين في كافة أنحاء فلسطين بحوالي ١٤٤٠ نسمة • وفي عام ١٢٦٧، وجد « رابي بن نهمان » عائلتين يهوديتين في القدس • وحتى تاريخ ١٤٨٨ ، عندما زار فلسطين العالم التلمودي الايطالي الشهير « أوباديا دي بيرتينورو » ، لم يجد فيها أكثر من ٧٠ عائلة يهودية • كان لابد من انتظار عام ١٥١٧ ، حيث قام سليم الاول بغزو فلسطين لصالح السلطنة العثمانية ، حتى سمح لبعض العائلات اليهودية المطرودة من اسبانيا بالاقامة في القدس • وهكذا لم يكن هناك أي وجود يهودي يذكر في فلسطين طيلة هذه القرون الطويلة حتى بدأ التسلل الصهيوني في مطلع القرن التاسع عشر ، حيث قدر عدد اليهود سنة ١٨٨٢ بحوالي عشرين ألفا • اذا كانت هذه الحقائق والمعطيات كافية حقا لتبرير تسلل ثلاثة ملايين يهودي بالتآمر والتواطؤ والقوة ، وتحويل خمسة ملايين فلسطيني الى لاجئين ، فان الحق الدولي لم يعد يعني أي شيء •••

بقيت رغم ذلك حجة أخيرة هي التوراة التي فسرت وكأنها وعد إلهي بأرض الميعاد • ونحن نعرف كيف استخدم في التاريخ ادعاء بعض القادة أو الايديولوجيين الخياليين بأن « الله يوحي اليهم » أو « يحدثهم » • ورد في التوراة أن « ابراهيم » (الذي كان يجهل أنه أول صهيوني) جاء من « أور » متجها بقومه من العبرانيين الى أرض كنعان (فلسطين) • وبعد مرحلة من الاسر في مصر ، سار العبرانيون نحو كنعان في حوالي القرن الثاني عشر قبل المسيح • استولى هؤلاء بقيادة يشوع على جزء من أرض كنعان بالقوة بينما بقي الفلسطينيون الاصليون يسيطرون على السهول الساحلية الاكثر أهمية • انقسم اليهود الى قسمين : حيث أسسوا مملكة شمالية ، هي اسرائيل ، تم تدميرها سنة ٧٢٢ قبل المسيح ، ومملكة جنوبية ، هي يهودا ، التي دمرت سنة ٥٨٦ قبل المسيح • عندئذ جاءت مرحلة الأسر الثاني (البابلي بدل المصري) • أما الذين عادوا من الأسر الى فلسطين ، فقد وقعوا ، مع

سكان البلاد الاصليين ، تحت سيطرة الفرس فاليونانيين ثم الرومان • وهكذا لم يعرف اليهود الاستقلال السياسي سوى فترة وجيزة من الزمن • صحيح أن العبرانيين عاشوا في فلسطين ، إلا أنهم كانوا أحد شعوب هذه البلاد ولم يكونوا أول من سكنها على كل حال • فقد كان هنالك العموريون والكنعانيون والآراميون، وبخاصة العرب قبل الاسلام الذين أثبتت الاكتشافات الأثرية الحديثة أنهم الوحيدون الذين يستطيعون الجزم بأن هذه الارض كانت فعلا أرض أجدادهم قبل ابراهيم الخليل ويشوع •

٣ – إنكار حق الفلسطينيين في أرضهم وتقرير مصيرهم •

من المعروف أن حق الشعوب في تقرير مصيرها قد شق طريقه طيلة القرن التاسع عشر • فقد فرض نفسه لصالح الشعوب الاوروبية التي كانت خاضعة لشعوب أوروبية أخرى ، وذلك سنة ١٩١٨ بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى مباشرة ، كما جرف في طريقه جميع البنى الاستعمارية اعتبارا من عام ١٩٤٥ • وكما قال السيد جمال الصوراني ، الامين العام لاتحاد الحقوقيين الفلسطينيين : « ان الشعب الفلسطيني هو حاليا الشعب الوحيد في العالم الذي لا يتمتع بحق تقرير المصير • نحن شعب كامل طرد من أرضه وأرض أجداده ، ولا يزال متشردا منذ ٣١ عاما بلا هوية وطنية• نحن جميعا بلا هوية ، أنا لا أملك هوية ، وليس لي حتى قبر أدفن فيه • هذا هو وضع الشعب الفلسطيني » •

إلا أن الصهاينة لا يقفون عند هذا الحد ، بل يرفضون اعطاء الشعب الفلسطيني أرضه أو جزءا من أرضه ، كما ينكرون عليه حق العودة وحق امتلاك الارض • من هذه الزاوية ، يعتبر وضع الفلسطينيين أشد سوءا من وضع الزنوج في افريقيا الجنوبية الذين خصص لهم المستعمرون البيض بعض المستوطنات الخاصة بهم • ومن الجدير بالذكر أن بعض الدول العربية نفسها قد بدأت تسبل الآن نحو اعطاء الفلسطينيين أقسومتين من الارض هما : الضفة الغربية وقطاع غزة (مشروع الملك فهد) • ولكن الاسرائيليين ما زالوا يرفضون حتى مثل هذا الحل الذي يعتبر دون

الحد الادنى ودون طموحات الشعب الفلسطيني • وهنا يكمن المغزى العميق لاتفاقية « كامب دافيد » التي تستبعد في جوهرها امكانية تشكيل دولة فلسطينية مستقلة حتى في الضفة الغربية وقطاع غزة • لذلك رأينا هذه الاتفاقية تتجنب الحديث عن « الشعب الفلسطيني » ، مفضلة الاستعاضة عنه بعبارة « الفلسطينيين » أو « سكان الضفة الغربية وقطاع غزة » • في هذا نعتبر اتفاقيه « كامب دافيد » متناقضة تماما مع قرارات الامم المتحده التي كانت تتحدث عن « اللاجئين الفلسطينيين » سنة ١٩٦٧ ، ثم أصبحت كافة دول عدم الانحياز وجميع الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن تقريبا (الصين ، الاتحاد السوفياتي ، فرنسا وبريطانيا) تتحدث صراحة عن « الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » • لذلك لا نشك في أن الهدف الرئيسي من هذه المناورات الاسرائيلية هو السماح لاسرائيل يوما ما بأن تخرج من جعبتها ما تعتبره هي كفلسطينيين مثل « روابط القرى » العميلة وغيرها •••

٤ ـ التخلص من العرب في الدولة اليهودية •

مثلما حاول النازيون التخلص من اليهود المقيمين في أراضي الرايخ عن طريق التهجير والقتل ، فان هدف الصهاينة هو التخلص من العرب الذين يعيشون داخل حدود الدولة اليهودية لعام ١٩٦٧ حتى يصبح السكان يهودا مئة في المئه على المدى البعيد • لذلك عليهم أن يتخلصوا من ٥٥٠ ٨٠٠ فلسطيني • وخير وسيلة لتحقيق هذا الهدف هي تحويلهم الى مواطنين من الدرجة الثالثة بشكل يجدون معه أنفسهم مضطرين للرحيل ، تضاف الى ذلك مختلف أساليب الضغط والتهديد والارهاب •

٥ ـ التخلص من العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة •

كتب (جوزيف ويتنر) سنة ١٩٤٠ يقول : « أما بالنسبة للعرب ، فان الحل الوحيد يكمن في نقلهم من هنا الى البلدان المجاورة • يجب نقلهم جميعا دون الابقاء على قرية واحدة » •

أما ما يعنيه بكلمة « هنا » فيوضحها بأنها تعني « أرض اسرائيل » !•••

وهكذا نرى أن ما يحدث الآن لم يجيء مصادفة ولا اعتباطا ، بل هو نتيجة مخطط مرسوم ينفذ على مراحل . إلا أن هذه ليست مهمة سهلة كما يبدو : فهناك ٨٣٣٠٠٠ فلسطيني في الضفة الغربية و ٤٥١٠٠٠ في قطاع غزة . أضف الى ذلك أن هؤلاء السكان يتزايدون بسرعة نتيجة النسبة العالية للتوالد بصورة طبيعية . لذلك لابد من العمل بسرعة على تدجين هذه الكتلة البشرية الهائلة عن طريق حرمانها من قيادتها السياسية المحلية وابعادها عن تأثير منظمة التحرير .

وهكذا قامت مخابرات بيغن بتدبير محاولات اغتيال كل من كريم خلف ، عمدة رام الله ، وبسام الشكعة ، عمدة نابلس ، الذي فقد ساقيه . وفي شهر آذار ١٩٨٢ ، تمت إقالة هذين الزعيمين بالاضافة الى عمدة البيره .

كذلك أصبحت معروفة لدى القاصي والداني أعمال القمع الرهيبة التي يتعرض لها المناضلون الفلسطينيون وذووهم . وها هي تقارير الاتحاد الدولي لحقوق الانسان ولجنة العفو الدولية تدين اسرائيل بالادلة الفاضحة والشهادات الدامغة لقيامها بتعذيب المساجين وتدمير المنازل وتهجير السكان بالقوة . كما أصبح من المعروف قيام السلطات الاسرائيلية ، عندما لاتريد العمل المباشر ، بدفع الافراد أو المجموعات اليهودية للقيام بأعمال الارهاب ضد العرب تحت سمع هذه السلطات وبصرها : من هذه الاعمال محاولة احراق المسجد الاقصى وقيام « ألان هاري غودمان » باطلاق النار على العرب أمام مسجد عمر في القدس يوم ١١ نيسان ١٩٨٢ . عندئذ اتهم هذا الشخص بالجنون ، الا أن جنونه المزعوم هذا لم يمنعه من التمييز حيث كانت الضحايا كلها من العرب فقط . وفي صحيفة « هآرتز » ، كتب البروفسور « يوفال نيمان » ، بتاريخ ١٨ حزيران ١٩٨١ ، يستنكر عدم طرد جميع الفلسطينيين من قطاع غزة منذ حرب يوم الغفران سنة ١٩٧٣ . كذلك استشهد « أمنون كابليوك » (Amnon Kapeliouk) بقول الحاخام « أبراهام تسيمل » : « يوجد تبرير في الشريعة اليهودية لقتل المواطنين غير اليهود ، بما في ذلك النساء والاطفال ، أثناء القتال أو خلال الحرب » . لذلك يجب ألا نستغرب عندما تقوم السلطات الاسرائيلية بقتل الاطفال والمراهقين العرب الذين يرشقون السيارات الاسرائيلية بالحجارة ...

في عام ١٩٨٠ ، ذكرت لجنة الامم المتحدة ، المكلفة بالتحقيق في الممارسات الاسرائيلية داخل الاراضي المحتلة ، عدة أشكال من هذه الممارسات المخالفة لحقوق الانسان : كمصادرة الاراضي أو شرائها تحت الضغط ، تدمير المنازل ، اغلاق المحلات التجارية ، التهجير والطرد بالقوة ، منع التجول ، التدابير القاسية المتخذة في المدارس والجامعات ، الخ ... من جملة الشهود والشهادات التي تثبت كلها تعمد الاسرائيليين تدمير العديد من القرى عن بكرة أبيها لارغام السكان العرب على النزوح ، يمكن أن نذكر ما كتبه الجنرال « أود بول » ، كبير المراقبين الدوليين : « بعد حرب عام ١٩٦٧ ، أبعد كثيرون من القرويين العرب بالقوة بعد أن دمرت منازلهم . وليس هناك أدنى شك ، وبخاصة في (بيت نوبا) و (يالو) ، في أن هدف العمل العسكري كان ارغامهم على النزوح » . وتدل الاحصائيات على أن ٢١٢ ١٦ منزلا قد تم تدميرها بين تموز ١٩٦٧ وآب ١٩٧١ . في قلقيلية ، أرغم العسكريون الاسرائيليون ١٥٠٠ قروي على الصعود الى عربات نقل منذ بداية الحرب ، في ٦ حزيران ١٩٦٧ ، لكي يتوجهوا الى جهة غير معلومة . وفي ٢١ حزيران ، شهد أحد أطباء مؤسسة غوث اللاجئين بالآتي : « عندما رجعنا ، وجدنا أنفسنا أمام كارثة لايمكن تصورها . فقد رأينا قلقيلية مدمرة ومنهوبة ومحروقة . كما كانت الجثث لاتزال تحت الانقاض ، والروائح المنبعثة منها لا تطاق ، مما كان يخشى معه تفشي الاوبئة . لذلك كان علينا القيام فورا بأعمال التطهير والتعقيم وانقاذ الجرحى وتأمين الغذاء . لقد كان البؤس فيها يفوق كل وصف وتصور » . وقد تكرر مثل هذا العمل الوحشي في كل من أمواس ، جفنتلك واللطرون وغيرها ...

مما لا شك فيه أن الوضع الفاضح السائد في الاراضي المحتلة يعتبر مساً بحقوق الانسان في مجالات عديدة : تحويل السكان العرب الى مجرد أيد عاملة رخيصة في خدمة المستوطنين اليهود ، انعدام الحقوق النقابية للفلسطينيين ، التمييز العنصري الواضح وسد أبواب التعليم أمام العرب ، الاعتقالات الجماعية ومصادرة الاراضي ونسف المنازل وغير ذلك ، كل هذا بهدف رئيسي واحد هو دفع المواطنين العرب للنزوح .

في الوقت الذي يزعـم فيه المحتل الصهيوني أن الأمن والهدوء مستتبان فـي الاراضي المحتلة ، فان كافة الدلائل تثبت بشكل قاطع الرفض الجماعي للاحتـلال الصهيوني . وقد أكد معهد استطلاع الآراء الاسرائيلي (P.O.R.I) في نيسـان ١٩٨٢ ، أن ٩٨ ٪ من السكان العرب في الاراضي المحتـلة يؤيدون تشكيل دولـة فلسطينية مستقلة ، ويرفضون « الاستقلال الذاتي » العزيز على قلب كل من بيغن وشارون . وها هي مراجع الامـم المتحـدة نفسها تشير الى أن الربع الاول مـن عـام ١٩٨٠ قد شهد ١٦٧ حـادثة خطيرة في كل من الضفة الغربية وقطـاع غزة :

٦ ـ إيـواء بعضهم في مخيمات اللاجئين .

مما لاشك فيـه أن الصهيونية العالميـة تحرف الامم المتحـدة عن مهمتهـا : فالدولة اليهودية تدمر والامم المتحدة تنقـذ ما يمكن انقـاذه . فقـد رأينا ذوي الخوذات الزرقاء (القوات الدولية والمراقبين) يعبؤون من أجل الفصل بين القوات ثم يزاحون من الطريق عندما تنتقل اسرائيـل الى غزو لبنـان في حزيران من عـام ١٩٨٢ . ما هو العمل الواجب القيام به إزاء جميع هؤلاء الفلسطينيين الذين طردتهم اسرائيل؟ عندما نشبت الحرب الاسرائيلية ـ العربية الاولى، خلّفت وراءها ٥٧٠٠٠٠ لاجىء ، مما اضطر الامم المتحدة لتشكيل مؤسسة غوث اللاجئين الفلسطينيين فـي الشرق الاوسط سنة ١٩٤٩ ، هذا الجهاز المؤقت الذي يدوم ، والذي يجدد كل ثلاث سنوات . وها هو عدد اللاجئين يتزايد باستمرار ، مما يدل على السياسة العدوانية للدولة اليهودية . من المعروف أن هذه الزيادة المستمرة لا تنجـم فقط عن النمـو الطبيعي والتوالد ، بل عن الحروب المتعاقبة . فحرب الايام الستة وحدها قدأضافت نصف مليون نازح عربي ، حتى ارتفع عدد اللاجئـين المسجلين رسميا لـدى وكالة الغوث الدولية من ٩٦٠٠٠٠ سنة ١٩٥٠ الى ١،٥ مليون سنة ١٩٧٢ و ١٨٤٥٠٠٠ في عام ١٩٨٠ .

كانت وكالة الغوث تضم ١١٣ موظفا دوليا سنة ١٩٨١ ، يتمركز بعضهم في مقر المنظمة في فيينا ، بينما يتوزع الآخرون على مختلف المكاتب في كل من عمان وبيروت

ودمشق والقدس وغزه. أما الموظفون المحليون، الذي يشكل اللاجئون الفلسطينيون أنفسهم السواد الأعظم منهم ، فيبلغ تعدادهم الرسمي ١٦٦٠٠ موظف . في شهر شباط من عام ١٩٨٢ ، سجلت الوكالة الدولية عجزا مالياً بلغ ٦٣٫٧ مليون دولار ، أي ربع ميزانيتها السنوية ، مما دعى العربية السعودية الى تقديم خمسة ملايين دولار لتجنب الافلاس . أما الآن ، بعد الغزو الاسرائيلي للبنان في حزيران من عام ١٩٨٢، وتحول الجنوب اللبناني كله الى خراب وبؤس ، لا يمكن لأحد التكهن بكيفية تدارك الامور من قبل وكالة الغوث هذه ...

٧ ـ توزيع الآخرين على البلدان العربية وسائر العالم .

كتب المحامي أحمد خليل ، الذي يعيش الآن في عمان ، يقول :

« ولدت في حيفا مثل ابي وجدي ، ولكنني الآن بلا وطن . أما « غولدا مائير» التي ولدت في روسيا ودرست في الولايات المتحدة ، فهي الآن رئيسة وزراء في بلدي[1] . لقد درست الحقوق في جامعة « كامبردج » مع « أبا إيبان » الذي ولد في أفريقيا الجنوبية ويعيش اليوم في بلدي بينما أجد نفسي مرغما على البقاء في الأردن » .

لقد أصبح الآن لمهجري الموجة الاولى من الفلسطينيين أولاد وأحفاد ولدوا في الكويت أو دمشق أو عمان ، ولكن هؤلاء الشبان والاولاد ما زالوا يشعرون بأنهم فلسطينيون يعيشون مؤقتا في المنفى . ولست مبالغا اذا قلت بأن الشعور الوطني لدى هذا الجيل الجديد أقوى من شعور الآباء والاجداد . ولا شك في أن تزاوج الفلسطينيين فيما بينهم يعتبر إصرارا على التمسك بهويتهم ورفضا لواقع التشرد والتشتت الذي يعيشونه الآن ، بانتظار يوم العودة الى الديار والعيش من جديد أحراراً كراماً في وطن خاص بهم .

---

(١) ـ كان هذا الكلام سنة ١٩٧٣ .

٨ ـ « الخيـــار الاردني » للباقين •••

يدعي الصهاينة بأن المملكة الاردنيـــة (التي كانت تسمى شرقي الاردن تحت الانتداب البريطاني) تضم الآن /١٤٨ر٣٣٤ر١/ فلسطيني ، لذلـــك نراهم يسعون لإلحاق أكبر عدد ممكن بهؤلاء حتى تصبح الضفة الغربيـــة يهودية تماما كمرحـــلة أولى • ونقول هنا « مرحلة أولى » لأن أحداً لايدري الى أي مدى يطمح الصهاينة في دفع ما يسمونه « أرض اسرائيل » أو اسرائيل الكبرى •••

هناك عدة حلول فيما يسمى « الخيار الأردني » : فقد كان الملك حسين نفسه يؤيد ، منذ عام ١٩٧٢ ، إقامة نوع من الاتحاد الفدرالي بين الأردن والضفة الغربية بعد أن يعطى فيها الفلسطينيون وجـوداً دستوريا معينا • وقد أيد السادات هـــذه الفكرة في عام ١٩٧٦ • أما حزب العمل الاسرائيلي بزعامة شمعون بيريس ، فيزعـــم دائماً أنه مستعد للقيام ببعض « التنازلات » في الاراضي المحتلة ويؤيد خياراً أردنياً من وجهة نظره بطبيعة الحال • إلا أنه يحق لنا أن نشك في وعود هذا « المعارض » الذي أيد الغزو الهمجي للبنان سنة ١٩٨٢ • الحق يقـــال أن الإئتلاف والمعارضة في اسرائيل متفقان على الهدف الرئيسي وهو استخدام الاردن كوعاء يصب فيه الفائض من الفلسطينيين • لذلك صرح شارون لصحيفة « شبيغل » في ٥ نيسان ١٩٨٢ بقوله: « إن الأجانب الوحيدين في الأردن هم أفراد الاسرة الملكية الهاشمية » • وهو يعتقد بأنه كان على إسرائيل ، ليس مساعدة حسين في تنفيذ عملية « أيلول الأسود » ضد منظمة التحرير ، بل ترك هذه المنظمة تقوم بخلع حسين • عند ذلك كان الأردن قـــد أصبح للفلسطينيين واستراحت اسرائيل لفترة طويلة •••

٩ ـ مهمـــة مستحيـــلة •

« لا يمكن شطب شعب من خريطة العالم » •

كلود شيسون في ١٩٨٢/٦/١٧

في كتابه الاخير (ص ـ ٨٣) ، كتب السيد « مانجـــو » ، على لسان طفـــل فلسطيني يخاطب ربه ، يقول :

« عزيزي الخالق : كنت نائماً عندما انهالت القنابل على مخيمنا • مات جميع أفراد عائلتي ، وبقيت وحيدا لا أعلم أية جريسة ارتكبتها حتى أستحق مثل هذا العقاب » •

« عزيزي الخالق : أرسل اليك رسماً لمنزلنا الجميل (يبين الرسم الساذج خيمة محاطة بأسلاك شائكة) ، أجبني أتوسل اليك !••• طفلك الفلسطيني •

وفي رسالة أخرى يقول الطفل الفلسطيني :

« عزيزي الخالق : أنا لا أعرف الآن إلا شيئاً واحداً ، وهو أنني أريد العودة الى وطني وأن هذا حقي • طفلك الذي يحبك » •

لا شك في أن منظمة التحرير ستعيش رغم كل شيء لانها تشل شعباً يأبى الاضمحلال ويصر على التحرير والعودة واسترجاع الحقوق • وقد قال « كلود شيسون » بحق : « كلما ازداد السعي للقضاء على الشعب الفلسطيني ، لابد أن ترتفع موجة الارهاب » • وأغلب الظن أن عمليات معالوت وكيريات شمونه وبيت شآن سوف تتكرر بعد أن حاولت اسرائيل دفن صوت الحق تحت قنابل ما يسمى بجيش الدفاع • على ضوء كل هذا يمكن القول بأن الدولة اليهودية تطلق بيدها القوة التيسترتد عليها • وقد قال « فلاديمير تكيليفيتش »: « إنني أخشى أن تكون اسرائيل هي التي تسعى الى حتفها بظلفها عن طريق المذابح التي ترتكبها في الوقت الحاضر » •

* * *

الجزء الثاني

جُذور الصّهيونيّة

الفصل الرابع

إضطهاد اليهود في الغرب

بالنسبة للدولة اليهودية ، يعتبر الحل النهائي للمسألة الفلسطينية تطبيقاً حرفياً للتوصية التي قدمها أحد مستشاري القيصر فيما يتعلق باليهود سنة ١٨٨١ : فقد اقترح قسطنطين بوبيو دونوتسيف على ألكسندر الثالث ما يلي : « الثلث الأول يهاجر ، الثلث الثاني يعتنق المسيحية والباقي يموتون من الجوع » . في حالة عرب اسرائيل الكبرى ، يهجر الثلث الاول بإسم الخيار الاردني بينما ينصهر الثلث الثاني داخل المجتمع الاسرائيلي طوعاً أو بالاكراه ، أما الباقون فلا يموتون جوعاً لأن الصهاينة يشفقون عليهم ويريدون أن يخففوا آلامهم فيجهزون عليهم بالاسلحة المختلفة تحت ستار ذرائع الاعمال الانتقامية والقصف الوقائي وحماية أمن إسرائيل ...

من مفارقات التاريخ أن الذي يسحق الفلسطينيين الآن ويلاحقهم بشتى أنواع الاضطهاد هو الشعب نفسه الذي ظل قروناً يشكو من الاضطهاد في شتى أنحاء العالم . ولا شك في أن الصهيونية قد ظهرت كعقيدة سبقت قيام اسرائيل على أساس أنها البديل أو الخيار للاضطهاد الذي تعرض له اليهود . ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا كلها تسير في الاتجاه الجديد الذي حددته الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ بالنسبة لتحرير اليهود ، بدأ هؤلاء يعلنون في طرفي الاطلسي عن عزمهم على الإنصهار داخل شعوبهم ، وذلك تمشياً مع التعهد الذي قطعه على نفسه المجلس اليهودي الاعلى أمام نابليون سنة ١٨٠٧ . إلا أن أصواتاً معارضة أخرى ارتفعت لتقول بأن العداء للسامية ما زال كامناً في النفوس وبخاصة في ألمانيا .

في عام ١٨٨٢ ، قـام يهودي من أصل روسي ، يدعى « بنسكر » ، باصـدار كتاب في برلين تحت عنوان « التحرر الذاتي » . ادعى الكاتب هنا بأن العداء للسامية متاصل في النفوس ، وبانه عميق الجذور لدرجة يستحيل معها استئصاله نهائيـاً ولو بذلت في سبيل ذلك جهود تربوية وتوجيهية متواصـلة وحثيثة . لذلـك اقترح أن يحصل اليهود على أرض يصبحون فيها أسيادا يحكمون أنفسهم بأنفسهم . وقـد قامت قيامة المجتمعات اليهودية في الغرب عندما ألقى « نيودور هرتزل » بقنبلتـه الاولى سنة ١٨٩٦ : ألا وهي اقتراح اقامة الدولة اليهودية . لقد اعتبره بعضهم من الحالمين السذج ، بينما اتهمه البعض الآخر بالتواطؤ مع الاوساط المناوئة للسامية. كان « هرتزل » يعتقد بأن جهود اليهود طوال قرن كامل للاندماج داخل شعوبهـم لم تكن سوى جهود ضاعت هباءً . وهكذا كان يخاطب أبناء جلدته قائلاً : تخلو ما استطعتم عن عاداتكم وتقاليدكم ، بل تخلوا عن أعز ما تسلكون ، وهـو الدين اليهودي ، فستبقون يهوداً في نظر كل من يحيطون بكم والى الأبـد . ثم يضيف : ومن يدري اذا كان العداء للسامية لن يتأجج من الرماد مجدداً ، وربما بأشكال أبشع من السابق ؟ بعد هذا يخلص الى القول : كلا ، فالاندماج لايمكن أن يكون حـلاً للمسألة اليهودية ، لابد من وطن قومي في فلسطين . في البداية ، لم يجد نداء هرتزل هذا آذاناً صاغية ، ولكن عقد المؤتمر الصهيوني الاول في بال سنة ١٨٩٧ قد جـاء ليعطي مزيـداً من الانتشار لأفكار هرتزل في الاوساط اليهودية رغم معارضتها من قبل معظم المؤتمرين الغربيين . ثم جاءت أحـداث القرن العشرين وظهور النازية في ألمانيـا ، بعدائها السافر للسامية ، لتدعم أفكار هرتزل بشكل فعال .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانيـة ومحاكمات نورمبورغ ، ظهر على المسـرح نوعـان من ردود الفعل : أولها إنكار السيد « راسينييه » (Rassinier) لمعظـم الأعمال الاضطهادية التي ورد ذكرها في محاكمات نورمبورغ واعتباره هذه المحاكمات مسـرحية نظمتها اليهـودية العالميـة . وقد لاقى هـذا الرأي أصداءاً واسعة لأن « راسينييه » هذا كان من اليهـود الذين ساقهم الالمان الى معسكرات الاعتقـال وتعرضوا لشتى أنواع العذاب والحرمان . لذلك ما زال هناك حتى الآن كثـيرون

يعتقدون بأنه لم يقتل في معسكرات الاعتقال سوى القمل والبراغيث كما ذكر « Dascquier de Pellepoix » لصحيفة الاكسبريس . أما النوع الثاني من ردود الفعل ، فقد حاول أن يعزو ما حدث من أعمال القتل الجماعي في معسكرات الاعتقال النازية لجنون رجل واحد هو أدولف هتلر . إلا أن الحق هنا يقال بأن العداء لليهود قد لاقى تربة خصبة في ألمانيا وفي جميع أنحاء أوروبا ولدى مختلف الأوساط . لذلك وجدنا من المناسب أن نستشهد فيما يلي بآراء شخصيات معروفة من أوساط مختلفة في اليهود :

آ ـ الأرستقراطيون والعسكريون :

- دوقة هانوفر (١٦٧٩) : « وهم لا يريدون أن يتعاطوا أية تجارة مع اليهود بسبب قذارتهم المعهودة ورائحتهم النتنة » .

- الكونت هيرمان دوكيسرلنغ (١٩٢٨) : « يشتهر اليهودي بخصائصه السيئة» .

- القيادة العليا للجيش الالماني (الوير ماخت) (١٩٣٩) : « إننا نحارب في اليهودية العالمية طفيلياً خطيراً ، لا يكن العداء لشعبنا وحده ، بل هو في الحقيقة طاعون يصيب كافة الشعوب . لذلك يعتبر النضال ضد اليهودية نضالا أخلاقياً في سبيل الطهارة ولصحة الانسانية ، التي هي من صنع الخالق، ومن أجل نظام جديد أكثر عدلاً في العالم .

ب ـ الفنانون والكتّاب والمفكرون :

- غوتييه دي كوانسي (فرنسا ـ القرن الثاني عشر) : « لاشك في أن اليهود أكثر حيوانية من الحيوانات . إنني أكرههم ، والله يكرههم ، وعلى الجميع أن يكرهونهم » .

- غابرييل ديرجاڤين ـ ١٨٧٨ : « يعتقد اليهود بأنهم متفوقون على سائر الشعوب . لذلك نراهم لا يرفعون غطاء رؤوسهم أمام أحد حتى لا يكون في ذلك أي انحناء أو تواضع للآخرين » .

- شارل ديكنز : « كانت الأرض مغطـاة بطبقة سميكة من الوحـل ، كما كان الضباب الأسود يغلف كل شيء . لذلـك كانت هـذه الليلة مناسبة لخروج مخلوق مثل اليهودي (فاجين) . وبينما كان يتابع سـيره الصامت خلسة ، وهو يتستر بمحاذاة الجدران والابواب ، ظهر هذا الشيخ البشع وكأنه حية رقطاء خرجت من الوحل والضباب ، تفتش في الليـل البهيم عن غذائها بـين القاذورات والنفايات » .

- غوته : « إن اليهودي يعشق المال ويخشى الخطر . واليهود يقدمون القروض ويقدسون الربـا الفاحش ويتقنون لعبة إيقاع الناس في حبائلهم . فويل لمـن يسقط في شباكهم ، لأنه لن يخرج منها أبداً . وفي كافة أنحاء بلادك ، لا يوجد يهودي واحد لا يعتبر حليفاً لاسرائيل بصورة أو بأخرى » .

- مونتيسكيو : « تسألني اذا كان هناك يهـود في فرنسـا ؟ إعلم أن اليهـود موجودون حيث توجد الفلوس (...) ولا شك في أن تعصبهم الديني يصل الى حد الجنون » .

- ألكسندر بوب : « إننا نتوسل اليك أيها الرب أن تبعد عنـا أيادي اليهـود البرابرة القساة ، الذين لا يطيقون الدم في لحـم الخنزير ، ولكنهم مع ذلـك دمويون متطرفون » .

- مدام دي سافينييه : « من أين تأتي هذه الرائحة الكريهة المنبعثة من اليهـود ، والتي تضمحل أمامها كافة أنواع العطور ؟... » .

- جان جاك روسو : « لقد قلت لليهود : إن ربكم ليس ربنا ، لان الذي يختـار لنفسه شعباً واحدا ويبعد عنه سائر أبناء الجنس البشري ، لا يمكن أن يكون الأب المشترك لجميع الناس » .

ج ـ رجـال الدولـة :

- فريدريك ـ غليوم (في نصائحه لولـده الذي سيصبح فريدريك الأكبر) :

« ان اليهود هم جراد البلد ودمار المسيحيين • يجب عليك استنزافهم لأن أكثرهم أمانة يبقى محتالا و نصاباً • هذه حقيقة يجب أن تسلّم بها » •

- الجنرال ديغول (في مؤتمر صحفي سنة ١٩٦٧) : « شعب مختار ، واثق من نفسه ومحب للسيطرة » •

- أدولف هتلر : « اذا استطاع اليهودي ، عن طريق تعاليمه الماركسية ، أن ينتصر على شعوب العالم ، فان إكليل انتصاره سيكون التاج الجنائزي للبشرية » • « عاش اليهود دائما كطفيليين على حساب سائر الشعوب » • « عندما تحاول الصهيونية اقناع العالم بأن الوجدان الوطني لليهود سيرضى عند تشكيل دولة في فلسطين ، فانهم يخادعون الأغبياء بشكل مفضوح ، إذ ليس في نيتهم إقامة دوله يهودية في فلسطين لكي يستقروا فيها ، بل هم يهدفون من وراء ذلك الى إقامة المنظمة المركزية لمشروعهم التدجيلي المتعلق « بالدولانية الأممية » • « مما لاشك فيه أن اليهود ، هؤلاء المتعطشين الى الدماء والمتلهفين على المال ، يحلمون بغزو العالم كله حتى تصبح الارض فريسة بين فكي هذا الأفعوان المتعدد الرؤوس » •

- إيفان الرابع « الرهيب » : « لا يمكن أن نسمح لليهود بالاقامة ضمن دولتنا ، لأننا لا نريد للشر أن يزرع في هذه الارض » •

د ـ الأيديولوجيون :

- إدوار درومون (في كتاباته عن الثورة الفرنسية وتسلط اليهود) : « هذا اليهودي الذي يلتهم فرنسا قد أصاب جميع الفرنسيين ، ليس في آسمى مشاعرهم فحسب ، بل كذلك في كافة مصالحهم المادية » • « من الذي يحكم حقيقة ؟ هل هم هؤلاء الدمى من الوزراء والنواب الذين لا همّ لهم سوى ملء جيوبهم ؟ كلا بكل تأكيد • من هو السيد الحقيقي إذن ؟ إنه اليهودي الذي يحرك الخيوط من وراء الستار • فعندما تهاجم اليهودي ، تجابه الحقيقة وتمسك بها من قرنيها ، وتتصارع مع عدوك الحقيقي » •

- بول دي لاغارد (١٨٢٧ — ١٨٩١) : « كيف لا نحتقر أولئك الذين يدافعون عن اليهود ، أو الذين هم أجبن من أن يدوسوا بأقدامهم هؤلاء الحشرات الضارة » •

- روباتيه (باريس — ١٩٤٢) : « تقدم اليهودية المثال الأوحد في تاريخ البشرية لشعب يعتبر العقاب الجماعي بالنسبة له العدالة الوحيدة » •

- ألفريد روزنبرغ : « بدأ بعض الطفيليين ، الذين امتصوا العصارة الأوروبية، يعودون الى ما يسمونه أرض الميعاد بحثا عن مراع أكثر خصبا • إلا أن الصهيونية تبقى في أحسن الأحوال جهداً عاجزا لشعب فاشل يريد أن يقوم بعمل بناء على حد زعمه ، ولكنها لن تكون في الواقع أكثر من مطية للطامعين والمضاربين الذين يرغبون في ممارسة الربا على الصعيد العالمي » •

هـ — الفلاسفة :

- فخت : « لكي نحمي أنفسنا من اليهود ، لا أجد غير علاج واحد : الاستيلاء على أرض الميعاد وإرسالهم جميعاً الى هناك » •

- كنت : « يعتبر اليهود أنفسهم الشعب المختار لإلههم يَهْوَه ، مما أثار ضده حفيظة كافة الشعوب الاخرى وأثار حنقه على هؤلاء » •

- شوبنهاور : « اليهود هم الشعب المختار عند إلههم ، الذي يعتبر مختاراً من قبل شعبه ، وهذا لا يعني أحداً سواهم وسواه » •

- ڤولتير : « ان اليهود هم عار على الجنس البشري » •

و — رجال الدين :

- الأسقف أمولون (بداية القرن التاسع) : « لقد طالبت المؤمنين علناً ، ثلاث مرات ، بالابتعاد عن اليهود حماية للشعب المسيحي من العدوى » •

- المجمع الديني في طليطلة (٦٨١) : « يجب ألا نعهد لليهود بأية مسؤولية أو وظيفة عامة » •
- غريغوار دي نيس : « ان اليهود هم قتلة السيد المسيح وقتلة الانبياء وأعداء كل ما هو جميل » •
- مارتن لوثر : « إعلم أيها المسيحي آنك لن تجد بعد الشيطان مباشرة عدواً أشرس وألد من اليهودي » •
- بيير دي كلوني : « اذا رأينا اليهود يملؤون مخازنهم بالثمار ، ومستودعاتهم بالمؤن ، وأكياسهم بالذهب والفضة ، فان ذلك لم يأت نتيجة العمل في الارض ولا الخدمة في الحرب ولا من أية مهنة مفيدة وشريفة أخرى ، بل نتيجة خداع المسيحيين وشراء الأغراض المسروقة من اللصوص بأسعار زهيدة جداً » •
- سان توماس داكان : « يجب مضاعفة العقوبة بالنسبة لليهودي والمرابي ، لأن المال الذي نأخذه منهما لا يخصهما شرعا » •
- حتى عام ١٩٦٠ ، كان الكاهن يقول لليهودي الذي يريد الدخول في الدين المسيحي : « يجب أن تأنف من المكر العبراني وتلفظ الباطل والخرافات العبرانية » •

✶ ✶ ✶

تعتبر هذه الاستشهادات غيضاً من فيض من موجات العداء ضد اليهود والصهيونية في العالم الغربي • والحقيقة أن الصهيونية كانت ولا زالت تستغل هذا العداء ، بل وتزكيه أحياناً ، لكي تبقي اليهود في حالة استنفار دائم ، ولكي تدفعهم للتجمع في اسرائيل •

✶ ✶ ✶

الفصل الخامس

المضمون الإستراتيجي

« إذا لم يعمد العالم الخارجي الى اعادة اسرائيل الى جادة العقل ، فان الدرجة الاخيرة من سلّم تصعيد العنف في الشرق الاوسط ستكون نووية » .

دافيد هيرست – ١٩٧٧

مما لا شك فيه أن الارقام المتوفرة حاليا حول فرط التسلح في العالم تثير القلق الشديد . ففي عام ١٩٨٠ ، بلغت التكاليف التي خصصتها البشرية في مجال الإعداد لتدمير نفسها حوالي ٤٥٠ مليار دولار ، بينما يعيش ٢٠٪ من أفراد الجنس البشري في بؤس مطلق وفقر مدقع . وهذا مبلغ هائل يمثل عشرين ضعف المساعدة التي تقدمها البلدان المتطورة للعالم الثالث . ولو تم الحد بشكل معقول من سباق التسلح المجنون هذا ، لأمكن التوصل الى حل مأساة الجوع في العالم (٤٢٠ مليون إنسان جائع مهدد بالموت) . إلا أن الذي يحدث هو العكس مع مزيد الاسف : فقد كشف المؤتمر الثاني للامم المتحدة حول نزع السلاح ، والذي انعقد في نيويورك خلال شهر حزيران وتموز من عام ١٩٨٢ ، عن حقيقة أن العالم يخصص سنوياً ٦٥٠ مليار دولار ، أي ٦٪ من دخله الاجمالي ، للقوات المسلحة . وهذا يعني صرف مليون دولار في الدقيقة الواحدة .

من بين الجبهات الساخنة ، حيث يمكن للكارثة أن تقع في كل لحظة بحجة حرب نووية « محدودة » ، يعتبر الشرق الاوسط أكثرها مدعاة للقلق . فالخلافات

عميقة والاحقاد قـد تراكمت بعد خمس حروب اسرائيلية ــ عربية ، وهناك أراض عربية ما زالت محتلة ، ولا زال الفلسطينيون بلا وطن •

أضف الى ذلك أن الاوضاع الداخليه والخارجيه لمعظم دول المنطقة تظل تهدد بالمتغيرات والمفاجآت في كل لحظـة : فالحرب الاهلية في لبنان ما زالت مستمرة ، وما زالت القوات الاسرائيلية تحتل جنوبي لبنـان ، وما زالت الحرب العراقيـة ــ الايرانية مستعرة تهدد بتدخل دولي في منطقة الخليج العربي ، وهاهي اسرائيل تدمر المفاعل النووي العراقي بغارة جوية انتهكت فيها أراضي دول عربية مجاورة ، كـل هذا بغض النظر عن الاوضاع الداخلية التي تتعرض للمد والجذر هنا وهناك •

ــ أهداف الرهـان : قناة السويس ، نفط الخليج والمحيط الهنـدي :

في عام ١٩٧٥ ، كان تعداد سكان الشرق الاوسط ١٥٢ مليون نسمة • إلا أن هذا الوزن الديموغرافي ، الهائل بحد ذاته ، لا يقاس مطلقا بالأهمية الاستراتيجيـة للمنطقة ، وبخاصة فلسطين ، هذا المفرق الجغرافي بين أوروبا وآسيا وأفريقيا • بهدف وصل البحر المتوسط بالبحر الاحمر ، قـاد « فردينان دولسبس » أعمال شق قناة السويس التي تم تدشينها سنة ١٨٦٩ • وقد ضمنت معاهـدة القسطنطينية ، في ٢٩ تشرين الاول ١٨٨٨ ، حرية الملاحة في القنـاة ، التي انتقلت عمليا تحت الاشـراف البريطاني اعتبارا من عام ١٩٠٤ • إلا أن تأميم هذه القناة من قبل جمال عبد الناصر أدى الى العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ • ثم جاءت اتفاقيات كامب دافيد مؤخرا التي ضمنت حرية المرور لجميع الدول ، بما في ذلك اسرائيل التي أصـرت على وجـود ضمانات فيما يتعلق بشرم الشيخ ومضيق تيران حتى يظل خليج العقبة متصلا بالبحر الأحمـر •

أما مسلكة النفط في المنطقة فهي ظاهرة حديثة نسبياً : اذ ظهر النفط في إيـران سنة ١٩١١ ، في العراق سنة ١٩٢٧ ، في المملكة العربية السعودية سنة ١٩٣٩ ، فـي الكويت سنة ١٩٤٦ وفي سورية سنة ١٩٥٨ • إلا أن الشـرق الاوسط كان يؤمن ،

منذ عام ١٩٧٤ ، ٣٧٫٧٪ من الانتاج العالمي • وتحتوي هذه المنطقة على ٥٠ ٪ من الاحتياط العالمي للنفط ، كما يحتوي باطن الكويت ، هذا البلد الصغير جدا ، على احتياطي بترولي يبلغ ضعف احتياطي الولايات المتحدة • لذلك كان لابد لهذا كله أن يثير الأطماع • ولا يمكن فهم الدعم الامريكي لاسرائيل اذا لم نأخذ بعين الاعتبار قربها الجغرافي من الخليج العربي •

ومن الجدير بالذكر أخيرا أن المصب الجنوبي للشرق الاوسط هو المحيط الهندي الهائل حيث يتنافس العملاقان الامريكي والسوفياتي على بسط النفوذ وتأمين المصالح • يمتد هذا التنافس حتى القرن الافريقي والسودان وطريق رأس الرجاء الصالح • ولا شك في أن الجنرال ديغول كان بعيد النظر عندما أدان في خطابه الشهير في « بنوم بين » السياسة الامريكية في فييتنام ، وربط بين التزامات الولايات المتحدة في جنوبي ـ شرقي آسيا ورغبتها في السيطرة على البحر الاحمر •

استغلت الصهيونية العالمية هذا الوضع الاستراتيجي الحساس لتنفيذ مآربها التوسعية ، فلفتت أنظار الدول العظمى التي رأت فيها ، منذ البداية ، بيدقاً محتملا وورقة رابحة على رقعة المشرق العربي • كانت ألمانيا أول من تعامل مع الصهيونية عندما اجتمع غليوم الثاني بهرتزل ، وعندما أقامت المنظمة الصهيونية العالمية مكاتبها في برلين حتى الحرب العالمية الاولى • واعتباراً من وعد بلفور سنة ١٩١٧ حتى انسحاب قواتها سنة ١٩٤٨ من فلسطين ، استفادت بريطانيا من « الوطن القومي اليهودي » للدفاع عن مصالحها كدولة منتدبة • ولا شك في أن الحماية التي تمنحها واشنطن للكيان الصهيوني تسير في نفس هذا الاتجاه •

كان الرئيس ترومان أول من اعترف بالدولة اليهودية ، ثم ما لبث أن أعلن عن برنامج جديد للمساعدات أطلقت عليه تسمية « النقطة الرابعة » ، حصلت اسرائيل بموجبه من ١٩٤٨ ـ ١٩٥٢ على مجموع ما حصلت عليه خمس دول عربية مجتمعة (مصر ، لبنان ، الاردن ، سورية ، العراق) يبلغ عدد سكانها أكثر من عشرين ضعف عدد سكان اسرائيل • بدأت المساعدات العسكرية الامريكية لاسرائيل

بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٦٢ • إلا أن التعاون قد أخذ مؤخرا أبعادا جديدة نتيجة كامب دافيد وبروتوكول التفاهم الاستراتيجي الموقع في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٨١ والتدابير الاستثنائية لتسليم اسرائيل أسلحة اضافية (وبخاصة ٧٥ طائرة جديدة (ف ـ ١٦)) • من المعروف أن انتخاب الرئيس ريغن في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩٨٠ قد جاء تحت شعار استمرار الدعم الامريكي لاسرائيل ، مما يفسر موافقة الولايات المتحدة المؤكدة على غزو لبنان في حزيران من عام ١٩٨٢ ، بهدف طرد منظمة التحرير منه والوصول الى اتفاقية (كامب) جديدة في الشمال • ومن المؤكد أيضا أن من سياسة واشنطن الثابتة في الشرق الاوسط ، عن طريق دعم الدولة اليهودية ، محاربة النفوذ السوفياتي في المنطقة ، والسيطرة على حقول النفط في منطقة الخليج (التفاهم مع العربية السعودية وقيام « كارتر » في آذار من عام ١٩٨٠ بتشكيل « قوة التدخل السريع ») ، وكذلك دعم الانظمة العربية التي تسمى « بالمعتدلة » • مما لا شك فيه أن واشنطن تفضل وجوداً عسكرياً خفياً غير مباشر (كالاسطول السادس في المتوسط وقيام سلاح الهندسة الامريكي بمساعدة الاسرائيليين في بناء قاعدتين في النقب) على التدخل المباشر كالذي حدث سنة ١٩٥٨ ، عندما نزل رجال « المارينز » في لبنان إثر الاضطرابات الداخلية آنذاك • وهكذا يتشكل تدريجيا محور يربط واشنطن في الشرق الاوسط بكل من : القاهرة ـ القدس ـ عمان ـ الرياض •

ـ من « كامب دافيد » الى آخر :

أعقب زيارة أنور السادات للقدس ، في ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٧ ، اجتماع كامب دافيد من ٥ ـ ١٨ أيلول ١٩٧٨ بين المسؤولين المصريين والاسرائيليين والامريكيين • تضمنت المعاهدة اتفاقيتين : خصصت الاولى « للحكم الاداري الذاتي » للضفة الغربية وقطاع غزة ، وأدت كما رأينا الى الضم الفعلي للاراضي التي احتلتها اسرائيل منذ حرب الايام الستة • أما الثانية فقد مهدت السبيل الى معاهدة سلام بين اسرائيل ومصر ، تم التوقيع عليها في واشنطن بتاريخ ٢٦ آذار سنة ١٩٧٩ • إستنادا الى هذه المعاهدة ، يقيم البلدان فيما بينهما علاقات دبلوماسية ، كما

يتبادلان السفراء ويشرعان في تطبيق علاقات حسن جوار وتعاون في عدة مجالات. كذلك تم الاتفاق على جدول زمني للانسحاب الاسرائيلي حتى تخلى سيناء في ٢٥ نيسان ١٩٨٢ .

مما لا شك فيه أن اسرائيل كانت تطمح ، من وراء غزوها للبنان في حزيران من عام ١٩٨٢ ، الى التوصل الى كامب دافيد آخر مع هذا البلد الصغير بالاضافة الى إخراج منظمه التحرير الفلسطينية منه . وهنا لابد من التذكير بما خلّفته اتفاقية كامب دافيد من غضب لدى العالم العربي الذي أعلن مقاطعة النظام المصري . وقد دفع السادات أخيراً حياته ثمن اقدامه على هذه الخطوة المنفردة . إزاء ضغط الاتحاد السوفياتي ، لم يجدد مجلس الامن مدة بقاء قوات الطوارىء الدولية اعتبارا من ٢٤ حزيران ١٩٧٩ ، مما اضطر الولايات المتحدة الى الاستعاضة عنها بقوة متعددة الجنسيات .

صحيح أن الجدول الزمني لا نسحاب القوات الاسرائيلية قد نفذ ، ولكن النزاع الاسرائيلي ـ العربي لم يحل ، بل انتقل نحو الشمال الشرقي : أي الحدود اللبنانية . ويبدو أن زعماء اسرائيل كانوا متلهفين الى مزيد من المكاسب ، اذ لم يمر على الانسحاب من سيناء أكثر من ستة أسابيع حتى عبرت القوات الاسرائيلية نهر الليطاني باتجاه العاصمة اللبنانية بيروت . بالنسبة لمناحيم بيغن وشارون ، وبمساعدة الحكومة الامريكية ، لم تكن للخسائر والمجازر الرهيبة ضد السكان المدنيين أية قيمة أو اعتبار . كان كل همهما منحصرا في الاهداف الرئيسية التالية :

١ ـ تجريد منظمة التحرير من سلاحها وطردها خارج لبنان .

٢ ـ إرغام سورية على سحب قواتها من لبنان .

٣ ـ العمل على تشكيل حكومة لبنانية « حرة ومستقلة » . وهذا يعني بالنسبة لاسرائيل حكومة مارونية موالية لها بكل معنى الكلمة .

٤ ـ تحديد جدول زمني لانسحاب القوات الاسرائيلية الى نهر الليطاني الذي يعتبره الصهاينة حدودهم « الطبيعية » الشمالية •

ـ الامة العربية بين التمزق والتبعية :

الحق يقال أن الامة العربية لم تكن مجزأة بشكل مأساوي كما ظهرت في عام ١٩٨٢ ، وفي الوقت الذي تنهدد الاخطار الجسيمة منطقة الخليج العربي وثرواتها النفطية الهائلة • الكل يعلم أنه في الوقت الذي كان مقاتلو منظمة التحرير الفلسطينية مهددين بالابادة ، لم تستطع الجامعة العربية عقد أي مؤتمر للقمة من أجل نجدة « الأشقاء » •

مما لا شك فيه أن لمفهوم « الامة العربية » جذورا تاريخية تعود الى عهد الرسول العربي وخلفائه من بعده ، الذين استطاعوا بما يشبه المعجزة حقا أن يؤسسوا ، خلال أقل من قرن ، أمبراطورية واسعة تمتد من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي • ولابد من الاعتراف هنا بأن الحضارة العربية الاسلامية كانت تضاهي المسيحية الاوروبية في القرون الوسطى • لذلك من الطبيعي أن يبقى في ضمير الامة العربية هذا الحنين الى الماضي المجيد ، وأن تظل الجماهير العربية تناضل واضعة الوحدة شعاراً وهدفا •

تعود التجزئة الاولى ، التي فرضت من الخارج ، الى اتفاقية « سايكس ـ بيكو » لعام ١٩١٦ ، حيث خدع العرب وخابت آمالهم آنذاك في تأسيس مملكة عربية كبرى على أنقاض الامبراطوربة العثمانية • فقد حصرت انكلترة الشريف حسين في الحجاز (شبه الجزيرة العربية) ، وأنهت رسمياً الحماية على مصر سنة ١٩٢٢ لكي تبقى سيطرتها محكمة على البلاد بصورة غير مباشرة ، كما قسمت فلسطين الى يهودية وعربية تنفيذا لوعد بلفور • بعد ذلك وضعت عبد الله بن الحسين من الاسرة الهاشمية ، أميرا على شرقي الاردن (١٩٢١ ـ ١٩٤٦) ، ثم أصبح هذا الاخير ملكا على الاردن بعد ضم الضفة الغربية (١٩٤٦ ـ ١٩٥١) • وبعد مرور سريع للملك طلال نصب على العرش ابنه حسين اعتبارا من عام ١٩٥٢ •

أما في العراق ، فقد وضع الانكليز هاشميا آخر سنة ١٩٢١ : هو الملك فيصل الأول . استقل العراق بين عامي ١٩٣٠ ــ ١٩٣٢ . ثم جاء الملــك غازي وهو ابن فيصل الاول (١٩٣٣ ــ ١٩٣٩) ، الذي خلفــه عبــد الإلــه ، كوصي على عرش العراق ، من عام ١٩٣٩ ــ ١٩٥٣ .

في الحجاز ، استلم ابن سعود الحكم سنة ١٩٢٦ وأعلن نفسه ملكا للعربيــة السعودية سنة ١٩٣٢ . وفي مصر ، بدأت الملكية البرلمانية مع الملك فؤاد ، واستمرت مع ابنه فاروق ، الى أن قاد عبد الناصر ثورته الوطنية سنة ١٩٥٢ .

إتبعت فرنسا سياسة التفرقة نفسها ، حيث قسمت سورية الكبرى الى لبنان، الذي يسيطر عليه المسيحيون الموارنة والمستقلون منذ عام ١٩٣٦ ، والجمهــورية السورية التي دام العمل على استقلالها من ١٩٣٦ حتى ١٩٤٥ بعد ثورات عــديدة واصطدامات دامية .

وقد ساهم الامريكيون في التفرقة أيضا عندما بــدؤوا مسيرة كامب دافيــد وأحدثوا ثغرة كبيرة في جبهة الصمود والتصدي للصهيونية وأطماعهــا ، بعــد أن سلخوا مصر عن صف المواجهة .

تضاف الى عوامل التفرقة الخارجية هذه عوامل أخرى داخلية بالنسبة للوطن العربي . فالخلافات على أشدها داخل دول المغرب العربي كما هي في مشرقه تماما. ولا يتسع المجال هنا لتحليل أسباب هذه الخلافات وجذورها ، ولكن لابد مــن التنويه بالدور الكبير الذي لعبته تلــك التركة غير المقدسة التي خلفها الاستعماران العثماني والغربي للوطن العربي من محيطه الى خليجه .

إلا أن هذه الصورة القاتمة للوضع الراهن في الوطــن العربي لاتستطيــع أن تخمد جذوة التحرر أو تخنق ارادة التغيير أو تحجب هدف الوحدة عن الجماهــير العربية التواقة الى الغد الافضل .

منطق « اسرائيل الكبرى » يقود الى حرب عالمية ثالثة :

مما لاشك فيه أن مفهوم « أرض اسرائيل » المستخدم من قبل زعماء الدولة اليهودية يثير القلق مثل مفهوم النازية عن « ألمانيا الكبرى » بالامس القريب ، لانه يدل على اتجاه توسعي بهدف الوصول الى « اسرائيل الكبرى » الممتدة من الفرات الى النيل . هنا أيضا يظهر مخطط مدروس مبيت ، وليس سلسله من الاندفاعات المرتجلة . عندما حاولت المنظمة الصهيونية العالمية ممارسه الضغط على عصبة الامم لكي يتسلل « الوطن القومي اليهودي » أيضا شرقي الاردن ، عندما أعلن « جوبو تنسكي » سنة ١٩٢٩ في المؤتمر الصهيوني السادس عشر : « في فلسطين التي نطالب بها ، لا يعتبر نهر الاردن أحد حدودها ، بل مجرد نهر يجري في وسطها » ، عندما تعمدت السلطات الاسرائيلية (سنة ١٩٤٨) عدم تعيين حدود ثابتة ونهائية للدولة اليهودية ، عندما أعلن موشيه دايان في ١٥ تموز من عام ١٩٦٧ : « إن جيل حرب الايام الستة قد وصل الى قناة السويس والاردن وهضبة الجولان . إلا أن هذه ليست النهاية ، بل ستكون هناك خطوط جديدة أخرى لوقف اطلاق النار ، ستمتد عبر الاردن وربما تصل الى لبنان وسورية الوسطى » ، عندما تقوم خمس حروب إسرائيلية ــ عربية باضافة مكاسب اقليمية جديدة لصالح اسرائيل ، عندما يتضمن برنامج العمل لحزب الليكود الحاكم رفضا قاطعا لاعادة أي متر مربع من الاراضي العربية المحتلة ، عندما يعلن مناحيم بيغن ، رئيس وزراء اسرائيل السابق ، ما يلي بالحرف الواحد : « سوف نسترجع أرض اسرائيل بكاملها والى الابد » ، عندما نسمع بكل هذا ، ألا يعتبر ذلك دليلا قاطعا على وجود خطة صهيونية ثابتة تتلاءم مع الظروف ، دون أن تتخلى عن الهدف النهائي ؟.

لماذا اذن هذا الادعاء لحق التوسع بالقوة على حساب الجيران العرب كلما سنحت الفرصة لذلك ؟ ان السبب بسيط في نظر الصهيونية العالمية ، وهو استيعاب جميع يهود العالم وعددهم ١٣ مليون يهودي ...

في عام ١٩٧٨ ، كان عدد سكان اسرائيل من اليهود ٣٦٩٠٠٠٠ نسمة ،

في حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ ، وهي الحدود الوحيدة المعترف بها دوليا ، أي على أرض مساحتها ٢٠٧٠٠ كم² • صحيح أن عدد سكان هولندا كان يبلغ ثلاثة أضعاف هذا العدد في الفترة نفسها على مساحة لا تتجاوز ٣٣٨١٢ كم² ، الا أن حكومة القدس لا تريد تكثيف سكانها ، بل التوسع طالما وجدت الفرصة متاحة لذلك • ولكن هذه المهمة ، أي مهمة دفع جميع يهود العالم للهجرة الى اسرائيل ، ليست سهلة : لأن كثيرين من هؤلاء لا يريدون هذه « العودة » ، ولأن عدداً لا بأس به من «اليوديم»، أي الذين يهاجرون من اسرائيل الى الخارج ، لا يطيقون الفردوس الصهيوني ؛ وقد بلغ عددهم أكثر من ٦٠٠٠٠٠ نسمة منذ عام ١٩٦٩ • وهكذا يتم التركيز على دول العالم الثالث وعلى الاتحاد السوفياتي ، حيث يتصورون الفريسة أسهل • إلا أن هؤلاء أيضا ، لا يكادوا يصلون الى فيينا حتى يغيروا اتجاههم ويتجهون الى أحد البلدان الغربية • وهؤلاء يشلون حوالي ٨٠ ٪ من اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفياتي عن طريق النمسا • لذلك تعمد الصهيونية ، بين الحين والآخر ، الى النغمة القديمة ، وهي تطبيل وسائط الاعلام العميلة وتشهيرها بالخطر المزعوم الذي تشكله على اليهود اللاسامية في الاتحاد السوفياتي وسواه • ولا أستبعد مطلقاً أن يكون وراء الاعمال الوحشية والبربرية ، التي ارتكبت في لبنان سنة ١٩٨٢ ، هدف بعيد : هو تحريك الأحقاد الكامنة ضد اليهود في شتى أصقاع العالم ، لعل هذا يساهم في اضافة اليهود ودفعهم للهجرة الى اسرائيل ••••

قامت الدولة اليهودية، في ٥ تموز ١٩٥٠ ، باصدار ما سمي «بقانون العودة»، بهدف استقبال موجة كثيفة من اليهود « المغتربين » على حد تعبير الصهيونية • فالسلطات الصهيونية تعتبر اذن اليهودي الفرنسي أو الروسي ، ليس كفرنسي أو روسي ، بل « كمغترب نازح » لن يلبث أن يرجع الى الحظيرة عاجلا أم آجلا • كيف نستغرب بعد هذا أن تقوم بعض الاوساط بمعاملة اليهود كغرباء أو كمواطنين مشبوهين ؟•••

الحق يقال أن اسرائيل تبدو ، منذ نشأتها ، كيانا مصطنعا يقوم على اغتصاب

حقوق الآخرين وعلى المساعدات الخارجية التي تنهال عليه من كل حدب وصوب ، وبخاصة من الولايات المتحدة الامريكية . ومن الجدير بالذكر هنا أن الاتفاقية الموقعة مع ألمانيا في شهر آذار من عام ١٩٥٣ قد سمحت لاسرائيل بالحصول على مبلغ قدره ٨٢٢ مليون دولار تدفع خلال اثني عشر عاما « كتعويض » عما لحق باليهود من أذى خلال العهد النازي . والسؤال الذي يطرح نفسه هو : لماذا يدفع هذا التعويض لدولة لم يكن لها وجود خلال تلك الفترة ؟ إنها علامة استفهام أخرى من علامات الاستفهام الكثيرة التي تحيط باسرائيل والتي قد تعرف الاجابات عليها الولايات المتحدة الامريكية . كذلك صنفت اسرائيل من قبل هيئة الامم المتحدة « كدولة نامية » لكي تتلقى مساعدات دولية . في عام ١٩٧٤ ، لم تتم تغطية الواردات الاسرائيلية الا بنسبة ٤٠ ٪ من الصادرات . أضف الى ذلك أن نسبة التضخم قد بلغت ١٤٠ ٪ سنويا ، وأن مجموع المساعدات الخارجية (الامريكية + الجباية اليهودية) تتجاوز الدخل القومي الاسرائيلي .

يفترض مشروع « اسرائيل الكبرى » سرقة أراضي البلدان المجاورة . لذلك انقسم مفهوم « الامن القومي » الى « أمن عادي » ، تحرص عليه كل دولة ، و « أمن استراتيجي » يبرر جميع المغامرات والاطماع . في الشرق الاوسط ، تستغل انقسامات المشرق العربي أحسن استغلال (اذا صح التعبير) . إلا أن أجهزة الامن السرية الاسرائيلية قد أصبحت ذات ذراع طويلة جدا : كاختطاف « أيخمان » (الياس ريكاردو كليمنت) ، في ١١ أيار ١٩٦٠ ، من وسط مدينة « بوينوس آيرس » ومحاكمته في القدس رغم احتجاجات الارجنتين ؛ وكذلك الاغارة الشهيرة على « عنتابة » في ٤ تموز ١٩٧٦ ، والتي حولت الى فيلم سينمائي للدعاية الاسرائيلية بمساعدة صهاينة هوليود ؛ الاتصالات مع « الالوية الحمراء » سنة ١٩٧٨ ، اذا صدقت أقوال القاضي الايطالي « إمبوزيماتو » ؛ اغتيالات قادة منظمة التحرير الفلسطينية في كافة أنحاء أوروبا . ولنستمع الآن الى الجنرال شارون لكي نعرف الى أي مدى يراد الوصول باسرائيل الكبرى . فقد صرح بالحرف الواحد في شهر كانون الاول من عام ١٩٨١ : **« في السنوات القادمة ، لن تمتد دائرة**

المصالح الاستراتيجية الاسرائيلية الى البلدان العربية على البحر المتوسط فقط ، بل الى كامل الشرق الاوسط وايران وباكستان والخليج وافريقيا وتركيا)) .

لابد لمثل هذا المخطط الواسع من جيش قوي بطبيعة الحال . وقد كتب ((هوروويتز)) (Horowitz) يقول : ((أن اسرائيل من أكثر البلدان التي عرفتها تعبئة للحرب واستعدادا لها . فعدد الجنود في شوارع القدس يفوق المنظر المتعارف عليه في مدن أمريكا اللاتينية)) . **واسرائيل بملايينها الثلاثة من اليهود تمتلك من الدبابات أكثر مما تمتلكه الصين ذات المليار نسمة .** وقد ورد في تقرير لجنة ((بالم)) (Palme) سنة ١٩٧٩ أن اسرائيل قد خصصت ٢٠ر٢ من اجمالي ناتجها القومي وأكثر من ثلث ميزانيتها للنفقات العسكرية . ومن الجدير بالذكر ، على سبيل المقارنة ، أن فرنسا خصصت ٤ ٪ والولايات المتحدة الامريكية ٥ر٢ ٪ والاتحاد السوفياتي ٩ر١ ٪ . ويبدو أن الاحزاب الحاكمة وأحزاب المعارضة قد اتفقت ضمنياً على إجماع فيما يتعلق باسرائيل الكبرى . فالزعيم العمالي شمعون بيريس قد أيد الغزو اليميني للبنان . صحيح أن هناك أحزاباً تبدي الآن بعض المعارضة ، ولكن ذلك لا يعدو كونه واجهة دعائية زائفة ومضللة .

إن مشروع إسرائيل الكبرى ، الذي تسعى الصهيونية لتحقيقه عن طريق الارهاب والعمليات العسكرية ، يشكل خطرا كبيرا على السلام العالمي . ومن الخطأ الادعاء بأن الولايات المتحدة تمسك جيدا بعنان محميتها المدللة اسرائيل . فالدولة اليهودية تسعى جاهدة لتأمين اكتفائها الذاتي وتصنع الآن ٩٠ ٪ من ذخائرها ومتفجراتها ، كما تصنع الدبابات والطائرات وكثيرا من الوسائط التي تتطلب مستوى رفيعاً من التقنية . أضف الى ذلك وزن الضغط الذي يمارسه اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة ، مما يجعل من الصعب جدا التأثير على سياسة هذه الدولة رغم صغرها .

ـ السباق لامتلاك السلاح الذري :

منذ عام ١٩٤٨ ، أراد دافيد بن غوريون من الدولة اليهودية أن تطور قدرتها

في مجال البحث النووي • في عام ١٩٥٦ ، تقرر مشروع المفاعل الذري في « ناحال سوريك » ، الذي أصبح عملياتياً سنة ١٩٦٠ • في ٥ آب (أغسطس) ١٩٦٣ ، تم التوقيع في موسكو على معاهدة حظر التجارب النووية في الجو وفي الفضاء الخارجي وتحت الماء • الا أن اسرائيل كانت في عداد ذلك العدد الصغير من البلدان التي رفضت التوقيع على هذه المعاهدة لكي تحتفظ بهامش للمناورة • وأغلب الظن أن الخطر النووي قد أصبح ماثلا في الشرق الاوسط منذ عام ١٩٦٧ • أضف الى ذلك رفض اسرائيل أيضا للتوقيع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية في الاول من شهر تموز سنة ١٩٦٨ • وهكذا تخلصت اسرائيل من الزيارات التفتيشية التي تقوم بها عادة الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للامم المتحدة • وعندما قررت منظمة الامم المتحدة في عام ١٩٨٠ ، تكليف جماعة دولية من الخبراء بالتحقيق حول السلاح النووي الاسرائيلي ، جاء الرد حاسما من قبل موشيه دايان الذي أعلن قبل موته بقليل : « ان لدى اسرائيل القدرة على انتاج أسلحة نووية »[1] • وهذا أسلوب لبق للقول بأن الانتاج قد تم وانتهى •

في العام ١٩٧٤ ، أجرت الهند أول تفجير نووي • وهذا دليل على فشل سياسة الامم المتحدة في منع انتشار الاسلحة النوويه ، وعلى تصميم الدول الكبرى في العالم الثالث على دخول النادي الذري • وفي ٧ حزيران من عام ١٩٨١ ، قامت اسرائيل بغارة جوية على المفاعل النووي العراقي « أوزيراك » ، مدعية أن لديها الدليل القاطع على أن هذا القطر العربي كان على وشك صنع قنبلة ذرية بدون مساعدة خارجية • عاقبت الولايات المتحدة الامريكية اسرائيل على ذلك بقطع مؤقت لامدادها بالاسلحة •

تحاول سورية الآن تطوير سلاحها الكلاسيكي ، ولكن ليس بمقدور أحد أن يتكهن متى تبدأ ، وكذلك ايران ، في دخول ميدان السلاح الذري • نفس الكلام يمكن أن يقال عن مصر التي بدأت البوادر تشير الى أنها لن تبقى مقصرة في هذا المجال الخطير •

---

(١) — صحيفة « لوموند » الفرنسية ، ٢٦ حزيران ١٩٨١ •

الفصل السادس

إنكار الروحية اليهودية

« إن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري ، يهدف الى الحط من كرامة الانسان ونزاهته » .

(من القرار الذى تبنته هيئة الامم المتحدة بتاريخ ١٠ تشرين الثانى ١٩٧٥) .

في ١٨ حزيران ١٩٨٢ ، أي بعد سبع سنوات من صدور هذا القرار ، تحدث مناحيم بيغن ، الصهيوني المتعصب ، أمام نفس هذه المنظمة الدولية التي دانت عقيدته بشكل قاطع ، ليخصص جزءاً كبيرا من حديثه للتعليق على التوراة وتأويلها على هواه في الوقت الذي كانت القوات الاسرائيلية تغزو لبنان لتزرع فيه الدمار وتسفك دماء الابرياء من النساء والشيوخ والاطفال بلا حساب . كان ثلثا الوفود الدولية المشتركة قد غادرا القاعة كدليل على المقاطعة والاستنكار ، بينما جلس الباقون وكأن على رؤوسهم الطير . ومن الجدير بالذكر هنا أن هذا اللجوء الى الكتاب الذي يعتبر مقدسا لدى ثلث البشرية ، وهو عادة دائمة لدى دعاة الصهيونية ، حتى عندما تتعارض أعمالهم بصورة مطلقة مع المبادىء الاولية للشريعة الموسوية . ولا بد من التنويه أيضا بأن التيارات الصهيونية الثلاثة : التيار الديني المنبثق عن « مارتن بابر » (وينتمي اليه حزبا « مزراحي » و « أغودات ») ،

التيار الاشتراكي المنبثق عن «موزس هس» (ونفرعت عنه اللجنة المركزية النقابيـة « الهسدروت » لبن غوريون وحزب العمال لشمعون بيريس) ، والتيار التعديـلي الاصلاحي لفلاديسير جابوتنسكي (الذي انتمى اليه كل من « بيتار » و «الأرغون»، والذي يلاقي استمراره وصداه في حزب « حيروت » الذي يضم بيغن وشارون) ، كل هذه التيارات تستمد حججها من التوراة وتفسرها تفسيرا سطحيا ماديا لخدمة رغبات آنية ومطامع دنيوية . وقد ذهب البعض الى التأكيد على وجود تحريف في الأخرويات، كما أصدر الحاخامون (منذ عام ١٨٩٧) حرمانا للصهيونية واعتبروهـا تحريفاً للأمـل المتعلق بمجيء المسيح . واذا نظرنا الى ما حـدث في لبنان مؤخرا ، أدركنا مدى صحة الشكوك الآنفة الذكر .

ولكي نفهم التفسير السطحي والحرفي الذي تعطيه الصهيونيه لرساله التوراة، يجب أن نتصور رجلا قرأ « أن الله يظهر في الأعالي » ، فهرع الى قمه الجبل لكي يراه ، أو رجل الفضاء الذي عاد من رحلة فضائية فقال أنه لم يجد أي أثر للخالـق في السماء . الحقيقـه أن الذين استوحوا التوراة قـد عبروا عن تجارب داخليـة بواسطة الأداة الوحيدة المتوفره وهي اللغه . لذلك تكمن المشكله هنا في المضمون الواجب إعطاؤه لتعابير مجازية مثل : « الشعب المختـار » ، « أرض الميعـاد » ، « الوفاء بالوعد والعودة الى أرض الميعـاد » ، أو حتى كلمة « المنفى » . فقد ذكر يهـود من أمثال « موسى دي ليون » في القرن الثالث عشر واسرائيل بعلشيمتوف (١٧٠٠ ـ ١٧٦٠) أن السبيل الروحي هو الكفيل وحده باعطاء المعنى الصحيـح لمثل هذه العبارات : « فالشعب المختار » ليس مجموعـة من الناس الذين يجري في عروقهم دم يهودي ، بل هم أولئك الذين يسعون جاهـدين لكي يصبحوا عادلين ، لأنهم بهذا يمثلون الامل الاخـير للانسانية التي وضعت قدما في الهاوية وتستعـد لوضع الثانية . كذلك عند مدخـل « أرض الميعـاد » ، لا نجـد رجل جمـارك اسرائيليا يعاونه حاخام (نسي أن هـذه الكلمة تعني « المعلم الروحي ») ، فبـدأ يوزع الشهادات التي تثبت يهودية كل من ولدته أم يهودية . في التوراة أيضا ، ورد أن على مدخل الجنة ، أو « أرض الميعـاد » ، يقف ملاك يحمل سيفا مـن لهب .

لذلك لابد للانسان أو البشرية من الخضوع لاختبار النار ، حيث يطهر من جميع النقائص قبل أن يسمح له «بالعودة الى أرض الميعاد» . تسست الصهيونية بكلمة « عودة » وجعلت منها « قانونا للعودة » ، حيث تقوم حاليا بممارسة الضغط والابتزاز على يهود العالم لكي يهاجروا الى اسرائيل . أما كلمة « المنفى » ، الواردة في التوراة ، فلا تعني التواجد في واشنطن أو موسكو أو باريس أو سواها، بل تعني الابتعاد عن الحقيقة والعدالة . ان عدم التذكير بهذه البدهيات يترك الباب واسعا أمام التحايل الصهيوني ، الذي يعتبر مجرد حصولك على بطاقة طائرة للهجرة الى اسرائيل كفيلا بعودتك الى الجنة ... .

ـ التمييز العنصري الاسرائيلي :

تعتبر اسرائيل وأفريقيا الجنوبية البلدين الوحيدين في العالم اللذين يحظران قانونيا الزواج الخارجي . لذلك نرى اليهود يتزوجون من بعضهم فقط في اسرائيل وخارجها . ومن يخالف ذلك يتعرض لصعوبات ومتاعب شتى فيما يتعلق بأولاده والاعتراف بهم كيهود . في اسرائيل الآن جدل كبير حول من يعتبر يهوديا ، تماماً مثلما كان الوضع في ألمانيا النازية بالنسبة للعنصر الآري . ويمكن أن نأخذ هنا على سبيل المثال ما أطلق عليه اسم « قضية شاليت » (Chalitt) . ولدان من أب يهودي وأم اسكتلندية ملحدة ، هل يمكن اعتبارهما يهوديين ؟ فالشرع الديني (ألها لاخا) يعترض على ذلك ويقول بأنه لابد أن تكون الأم يهودية أو أن تدخل في الديانة اليهودية . لذلك بقي النقاش دائراً بين تسعة قضاة طيلة سنة كاملة ، حتى صدر القرار أخيرا ، في ٢٣ كانون الثاني ١٩٧٠ ، بقبول الولدين كيهوديين . عندئذ قامت قيامة الاحزاب الدينية كلها ، الى أن تبنت « الكنيست » تشريعا يخالف قرار المحكمة بالنسبة للمستقبل . ولتهدئة الخواطر ، أعلنت غولدا مئير أن على الدولة ، من الآن فصاعدا ، ألا تشجع الزواج المختلط .

في شهر تموز من عام ١٩٦٣ ، كان أحد قضاة المحكمة العليا في اسرائيل ، ويدعى « حاييم كوهين » ، قد صرح بما يلي : « إنه لمن سخرية القدر حقاً أن

تستخدم نفس النظريات العنصرية والعرقيه ، التي كانت سائدة في العهد النازي ، كقاعدة لتعريف اليهودية رسميا في اسرائيل » • ولا بد من القول هنا بأن التعاون كان جيدا بين الصهيونيه والنازية في عام ١٩٣٣ • فبموجب اتفاقيات « الهاعفارا » (Ha' Avara) الموقعة في شهر آب سنة ١٩٣٣ ، بين وزارة الاقتصاد للرايخ الثالث والوكالة اليهودية من أجل فلسطين ، تمت تسوية كافة الاجراءات المتعلقة بهجرة يهود ألمانيا نحو « الوطن القومي » • وفي خطاب ألقاه هتلر ، يوم ٢٤ تشرين الاول من عام ١٩٣٣ ، ذكر أنه في الوقت الذي تضع انكلترة العراقيل أمام اقامة اليهود في فلسطين ، تساعد ألمانيا على ذلك ، بل وستسمح للمهاجرين بأن يأخذوا معهم المال المطلوب منهم لكي يحصلوا على حق النزول في فلسطين •

في الحقيقة ، يأخذ التمييز العنصري الاسرائيلي أشكالا مختلفة : فالقرار رقم ١٩٤ ، الذي اتخذته الجمعية العامة للامم المتحدة في ١١ كانون الاول ١٩٤٨ ، كان قد طالب بعودة الفلسطينيين العرب الذين طردوا من ديارهم نتيجة الاضطرابات التي رافقت قيام دولة اسرائيل • إلا أن الدولة اليهودية قاومت ذلك وتبنت سياسة التخويف والارهاب والتهجير ازاء من بقي من العرب داخل ما سمي بدولة اسرائيل• أضف الى ذلك المساعي المحمومة بشتى الطرق الملتوية من أجل دفع يهود العالم للهجرة الى اسرائيل • وقد بلغ الامر بالصهيونية الى حد اختلاق الدعايات المضادة للسامية ونشرها في العالم لاثارة الخوف والهلع في نفوس ما كان يسمى « بيهود المهجر » • ولا أدل على ذلك من البرقية التي بعث بها ، في ٣٠ آذار ١٩٣٣ ، رئيس الطائفة اليهودية في برلين الى اللجنة اليهودية الامريكية في نيويورك ، حيث قال : « تحمل الينا الصحف أنباء حملة دعائية مركزة ضد ألمانيا التي تتهم ظلما بارتكاب الفظائع ضد اليهود • ومن الواضح أن هذا من عمل المنظمات اليهودية عندكم • لذلك ، وباعتبارنا يهودا ألمانيين ، نعلن على الملأ معارضتنا لهذه الحملات المدسوسة والمفتعلة • وما من شك في أن نشر الاخبار الكاذبة من شأنه أن يترك أثرا سيئا على العلاقات بين اليهود الالمان ومواطنيهم • الرجاء العمل فورا على ايقاف هذه الدعاية المغرضة والكاذبة » •

كذلك يبدو التمييز العنصري واضحا في ميدان العمل الاسرائيلي ، حيث كتب العالم الاجتماعي الامريكي اليهودي « هورو ويتنر » ، الذي يعتبر من مؤيدي الصهيونية ، يقول : « إن العرب هم زنوج اسرائيل • انهم يعيشون في أسفل درجات السلم الاجتماعي ، حيث تعطى لليهود المهن الفكرية والقيادية وتترك للعرب الاعمال اليدوية التي يرفضها اليهود • ان هذا تمييز طبقي واضح لا يريد الاسرائيليون أن يعترفوا به » •

يزداد التمييز العنصري كثافة وشراسه بالنسبه لكل ما يمس ملكية الاراضي • فالارض هناك مقسمة الى قطاعين : الاول يضم ٩٤ ٪ من الاراضي التابعه للدولة والتي تحظر الانظمة المرعية بيعها أو تأجيرها لغير اليهود • وحتى في أفريقيا الجنوبية نفسها ، تعتبر الانظمة والتدابير المتخذة ضد السود أقل قسوة من ذلك • أما النسبة الضئيلة المتبقية من الارض في اسرائيل (٦ ٪ فقط) ، والتي تعتبر قطاعا خاصا ، فتمارس عليها ضغوط شديدة وقيود صارمة • كما يلزم اليهود من أصحاب هذه الاراضي « الحرة » بعدم السماح للعمال العرب بالسكن في مكان العمل ، ولو تم ذلك في غرفة أو حتى تحت خيمة ، خوفا من تشبث هؤلاء بالارض كما يقولون •••

مجال آخر للتمييز العنصري : وهو مجال العناية الصحية والتربية ، حيث يجد اليهود تسهيلات أكثر من العرب • وهكذا لا يوجد سجل عام «للولادات الاسرائيلية» أو « لوفيات الاطفال الاسرائيليين » ، بل « للولادات اليهودية » و « الولادات غير اليهودية » أو « للوفيات من الاطفال اليهود » (مقسمة الى ١٢ فئة) ، بينما «وفيات الاطفال غير اليهود » (مقسمة الى ٤ فئات فقط : لماذا التعب في تحليل الاسباب بالتفصيل بالنسبة لمواطنين من الدرجة الثانية ؟) •

أضف الى ذلك القيود الادارية الكثيرة التي تفرض على الفلسطينيين : تنقلات محدودة ، منع الاجتماعات السياسية ، الخ ••• وأخطر ما في الامر أن الاطفال اليهود يربون في المدارس على عقدة التعالي على العرب ، بل وعلى احتقارهم في كثير من الاوساط • فعندما قام العالم النفساني « تاماران » ، من جامعة تل أبيب ،

بتوزيع ١٠٦٦ نشرة دورية على المدارس تذكر بابادة سكان كل من « مجيدو » وآريحا الواردة في التوراة (سفر يوشع) ، أجاب ٦٦ ــ ٩٥٪ من الطلاب والطالبات بأن (يوشع) كان على حق عندما أباد جميع هؤلاء السكان وبأن نفس الاسلوب، الذي اتبعه يوشع مع الكنعانيين ، يجب أن يتبع مع العرب • وقد علق الكاتب المعروف (روجيه غارودي) على ذلك بقوله : « وهكذا طرد البروفسور (تاماران) من وظيفته في الجامعة لانه كشف القناع عن حقيقة مجتمعه » • وفي عام ١٩٧٣ ، استمع النائب البريطاني (ر • ج ماكسويل ــ هيسلوب) الى كلمه ألقيت في الكنيست الاسرائيلي ، تضمنت هجوما عنيفا جدا على العرب ، فالتفت الى رئيس لجنة العلاقات الخارجية قائلا : « يا دكتور هاكوهين ، لقد صدمت كثيرا عندما سمعتكم تتحدثون عن كائنات بشرية أخرى بنفس التعابير التي استخدمها يوليوس ستريشر ضد اليهود • ألم تتعلموا شيئا من الماضي ؟ » عندئذ ضرب رئيس لجنة العلاقات الخارجية الطاولة بيده قائلا : « ولكن هؤلاء ليسوا كائنات بشرية ؛ ليسوا أناساً مثلك ومثلي ، انهم عرب » •

بعد كل هذا كيف يمكن لأحد ألا يوافق على ما جاء في المؤتمر العالمي المسيحي من أجل فلسطين في عام ١٩٧٠ : « ان حكومة اسرائيل تعتمد على أيديولوجية سياسية ــ دينية عنصرية ، تمارس على السكان الاصليين تمييزا عنصريا تقره وتكرسه النصوص القانونية المعتمدة » •

لقد عاش عصرنا أنواعا مختلفة من أشكال « الكليّانية » ، من الفاشية الى النازية وغيرها ، ولكن أياً من هذه الانظمة الجائرة لم يتجرأ على دوس أبسط حقوق الانسان كما فعلت الصهيونية باسم الشريعة التوراتية التي تدعو الى محبة الآخرين •••

ــ عبادة تيوقراطية للقوة :

تدعي اسرائيل أن العرب لا يفهمون غير لغة القوة ، وأن الحروب التي بدأتها كانت دائما للدفاع عن النفس • أما الرأي العام الدولي واستنكاره لعدوانها، فليس

أمامه سوى القبول بالامر الواقع • كتبت صحيفة (معاريف) في ١١ نيسان ١٩٥٧، تروي كيف جرت «محاكمة» الضباط والجنود الاسرائيليين المسؤولين عن مذبحة كفر قاسم : لم يعامل هؤلاء كمجرمين ، بل كأبطال ما لبثوا أن حصلوا على زيادة رواتبهم بمقدار ٥٠ ٪ . وأما ولادة اسرائيل ، من عام ١٩٤٦ حتى ١٩٤٨ وسط الارهاب الجماعي والعنف المضاد للعرب والألاعيب في كواليس الامم المتحدة ، كل ذلك لم يترك أي أثر في ضمير الصهيونية • اذ يكفي اللجوء الى الطلاء التوراتي لتبرير كل شيء • وكلما مرت الايام ، نجد الاحزاب المتطرفة تزداد قوة ونفوذا ، وبخاصة منذ عام ١٩٧٤ ، مثل : حركة « كاخ » التي يرأسها الحاخام كاهانا ، « إتحيا » (النهضة) ، « غوش إيمونيم » وغيرها ••• وقد طلب حزب « مزراحي » أن يستند التشريع في اسرائيل على الشريعة اليهودية وأن تسود تقاليد التوراة المناخ الثقافي • أما حزب « أغودات اسرائيل » ، فلا يقبل بأي قانون في الدولة لا يتفق مع التعاليم الدقيقة للتوراة •

في الولايات المتحدة ، أصبحت « رابطة الدفاع اليهودية » على درجة من القوة تستطيع أن تشكل معها ، كما حدث فعلا ، مجموعات للدفاع عن النفس حتى في أوروبا • كما أصبحوا يحملون بشيء من الصلف والتحدي عبارة « أنا فخور بكوني صهيونيا » • أين جميع هؤلاء من أولئك الذين كانوا يسمون « حكماء التلمود »، الذين يعرفون أن كل يوم يجلب معه لعنة جديدة ، منذ تدمير الهيكل ، وان لعنة الغد ستكون أسوأ من لعنة الامس ؟•••

ــ إنتصار اللاويين(١) :

عندما أعلن مؤتمر بال العقيدة الصهيونية في سنة ١٨٩٧ ، أدينت هذه العقيدة بشدة من قبل الحاخامية الغربية • وحتى في الشرق ، قام حاخامون كبار معادون لهرتزل باصدار مجموعة من الرسائل في عام ١٩٠٢ ، أعلنوا فيها « ان الذين يتحررون

---

(١) ــ اللاويون : نسبة الى قبيلة « اللاوي » العبرانية .

من نير التوراة ، والذين يلقبون أنفسهم بالصهيونيين لتغطية عصيانهم لله ، هم أعداء صهيون » • لقد كان جميع هؤلاء الحاخامين يرفضون افساد « صهيون » ، الحقيقة الروحية ، وتجسيدها « بدولة يهودية » ، أي بسسرة مادية ووطنية بحتة • إلا أن اليهودية الرسميه ما لبثت ، بعد خمسين عاما ، أن استسلمت لحبائل الصهيونية • في عام ١٩٦٧ ، بعد أسبوع من حرب « الايام السنة » ، أعلن الحاخام « جوزي أيزنبرغ » « أن مولد الدوله اليهودية من جديد هو اشارة من الرب » • وفي الوقت الذي كان فيه « جيش الدفاع » الاسرائيلي يدك لبنان ويغرقه بالحديد والنار من صور الى بيروت ، أعلن كبير الحاخامين « رينيه ـ صموئيل سيرات » دون خجل: «ان المعجزة التاريخية التي تتحقق أمام أعيننا حاليا تدخل في مجال المنظور المسيحي[٢]» • وهذا يعني بوضوح أن رجال الدين هؤلاء يعتبرون القتل والتدمير تجسيدا لنبوءات التوراة ويعطون الجيش الاسرائيلي بعدا ميتافيزيكيا ••• لذلك كله أجد نفسي مدفوعا للقول بأن اليهود قد استعاضوا عن اليهودية بدولة اسرائيل التي يسخرون كل شيء لصالحها ولو أدى ذلك الى التخلي تدريجيا عن روح الدين السماوي وجوهره •

ولكن تقهقر اليهودية أمام الصهيونية يرجع الى أنه يوجد في اليهودية نفسها عنصر ينسجم مع الاطماع المادية للصهيونية • لذلك من المهم أن نستخلص هذا العنصر ونبرزه •

من أجل هذا لا بد من استعراض سريع للخطوط العريضة من تاريخ الشعب اليهودي • تضيع الجذور في الحقيقة بين الاسطورة « خلق العالم » والخرافة (الطوفان ونوح) والفولكلور • في الفترة الواقعة بين عامي ٢٠٠٠ ـ ١٩٠٠ قبل المسيح ، غادر ابراهيم بلدة « أور » (في أرض العراق حاليا) وتوجه الى بلاد الكنعانيين (فلسطين) •ولد لابراهيم ابن أسماه إسحق ، كما ولد لاسحق ابن أسماه يعقوب • أنجب يعقوب اثني عشر ولدا أسسوا قبائل اسرائيل الاثنتي عشرة•

---

(٢) ـ المتعلق بالمسيح الذي ما زال ينتظره اليهود •

نزح العبرانيون الى وادي النيل في حوالي القرن الثامن عشر قبل المسيح ، حيث عاشوا تحت حكم « الهكسوس » (١٧٥٠ — ١٥٨٠) قبل المسيح ، ولكنهم ما لبثوا أن تعرضوا لاضطهاد الفراعنة . عندئذ ظهرت شخصية موسى الذي خلص اليهود من النير المصري وقادهم خلال رحلة العودة الى أرض كنعان . من المعروف أن شريعة موسى (التوراة) ستنتقل شفهيا طوال قرنين كاملين قبل أن تسجل في خمسة كتب (أسفار) هي : سفر التكوين ، سفر الخروج ، سفر اللاويين ، سفر الأعداد وسفر التثنية . بدأت فكرة العهد بين الله وشعبه بالظهور ، ولكن مفهوم « الشعب المختار » لم يحدد بعد على أساس عرفي — عنصري . كان العبرانيون يتجمعون حول « تابوت العهد » في عيد الفصح بشكل خاص للاحتفال بالانعتاق من مصر . توفي موسى عند جبل نبو ، فتولى يوشع قيادة الانقضاض عندما غزت القبائل اليهودية بالعنف أرض كنعان . لذلك تعتبر هذه السابقة من جملة المبررات الصهيونية لتبرير العنف الدموي الرهيب الذي استخدمه الصهاينة مؤخرا في لبنان بعد اثنين وثلاثين قرنا من الزمن . بعد فترة القضاة (١٢٠٠ — ١٠٣٠) ، قام صموئيل بتكريس شؤول (١٠٢٨ — ١٠١٣) لتدعيم الوحدة الوطنية . ثم جاءت مرحلة القمة عند الشعب اليهودي : أسس داوود (١٠١٣ — ٩٧٣) القدس على هضبة صهيون حوالي عام ١٠٠٠ قبل المسيح ، ثم جاء ابنه سليمان (٩٧٣ — ٩٣٣) ، الذي حدث في عهده أعمق انشقاق خلال عام ٩٣٠ ، حيث تشكلت مملكتان: في الشمال ، مملكة اسرائيل ، وفي الجنوب مملكة يهوذا . تضم مملكة اسرائيل عشر قبائل هي : نفتالي ، دان ، أشير ، زيبولون ، إسّاشار ، منسّى ، إفراييم ، غاد (شمالي القدس) وسمعان في الجنوب ورابين شرقي البحر الميت . أما مملكة يهوذا فتشكلت من قبيلتين : بنيامين حول القدس ويهوذا جنوبيها . مما لاشك فيه أن أسباب هذا الانشقاق كثيرة ومختلفة ، ولكن أحدها يأخذ هنا أهمية خاصة ، حيث ظهرت معارضة روحية وتيولوجية حول مفهوم « الشعب المختار » . ففي عام ٩٣٠ ، حدث خلاف حاد بين أنصار المفهوم الروحي « للشعب المختار » (أي ، حسب ادعاء زعماء مملكة اسرائيل ، أولئك المختارين من قبل الله مهما كانت تبعيتهم

القبلية) ، وبين المدافعين عن « الشعب المختار » كعنصر وعرق • داخل مملكة يهوذا، سيطرت طبقة من الكهنة ، هـم « اللاويون » الذين كانوا ينادون بعـدم التسامح العرقي تجاه سائر الشعوب • وهكذا ، في عام ٧٢٢ ، تم تدمير مملكة اسرائيـل من قبل الأشوريين ، وتفرقت القبائل اليهودية العشر وذابت داخل المجتمعات البشرية • أو ّل اللاويون في مملكة يهوذا انقراض مملكة اسـرائيل كعقاب إلـهي لأنهم لـم يعرفوا كيف يحمون سلامتهم العرقية ويحافظون عليهـا • عندما هوجمت مملكـة يهوذا ، سنة ٧٠١ ، من قبل الملك الأشوري « سنحـا شيريب » (Sennachérib) ، تم الاستيـلاء على ٤٦ مدينـة ، ولكن المملـكة صمدت رغـم ذلك ، **ممـا جعل اللاويين يستنتجون أن الله معهـم وأنه سيبقى كذلـك طالما أنهم مصممون على عـدم التهجين أو الاختـلاط مع سائر شعوب العـالم** • وليس من المبالغة القول بأن هـذا الجدل حول مضمون مفهوم « الشعب المختار » ، الذي سيتطور عبر القرون ، لـم ينته بعد • فدولة اسرائيل اليوم هي ، في نظر الاغلبية ، وريثة مملكة يهوذا فيمـا يتعلق بالتسلسل والتدرج الايديولوجي (علما بأن التدرج الوراثي سيناقش فيمـا سيأتي) • بالنسبة لمملكة اسرائيل ، التي دمرت سنة ٧٢٢ قبل المسيح ، قد يعتبر ورثتها من حيث التسلسل الوراثي البحت « القرّاء »[١] ، ولكـن على الصعيـد الأيديولوجي فان ورثتها هم اليهود وغير اليهود المعارضون للعقيدة العنصرية التي تمثلها الصهيونية ، لأن هؤلاء جميعا مقتنعون بأن مفهوم « الشعب المختار » له معنى روحي وأخلاقي قبل كل شي •

سقطت مملكة يهـوذا بدورها سنة ٥٨٦ حيث بدأ النزوح البابلي (٥٨٦ ـ ٥٣٦) • تم تسجيل عقيدة اللاويين علـى الورق بين عامي ٦٢١ و ٤٥٨ • من هـم هؤلاء اللاويون ؟ في مملكة يهـوذا ، في الجنوب ، تطابقت قبيلة يهـوذا الصغـيرة تدريجيا مع طبقة وراثية من الكهنة ، هي قبيلة اللاويين التي لم تكن لها أية أرض، بل كانت في خدمة الهيكل •

---

(١) ـ القرّاء : هم اليهود الذين لا يقرون بسنّة رجال الدين بل يعتمدون نصوص التوراة وحدها .

في الواقع ، وعن طريق الكهنوتية ، استلم اللاويون ادارة مملكة يهوذا (التي دامت من عام ٩٣٠ حتى ٥٨٦) وأضافوا لونا جديدا لعقيدة ما كانوا يسمون « بشيوخ » الكنعانيين ، والتي أصبحت اليهودية • أما عقيدة هؤلاء اللاويين فكانت تستند الى ركيزتين أساسيتين : التمييز الذاتي للشعب اليهودي (أو بالاحرى لمن بقي منهم بعد اضمحلال قبائل اسرائيل العشر) بالنسبة لسائر الامم من جهة ، واحتقار هذه الشعوب لدرجة بررت معها الخيانة والخداع والمذابح من جهة ثانية • هذان الانحرافان عن العقيدة الأصلية هما اللذان سادا اليهودية مع اللاويين وما زالا كذلك حتى الآن •

وهكذا لم يعد « التاريخ المقدس » سوى تاريخ اليهود ، ولم يعد مصير البشرية فيه أكثر من مجرد حوادث واحتمالات عرضية • أما الذين ما زالوا ، داخل اليهودية ، يرجحون المتطلب الروحي على التسلسل العرقي ، فقد أصبحوا أقلية ضئيلة جدا • هنا يكمن السبب الحقيقي للموقف الغريب الذي وقفه المجمع اليهودي الفرنسي ، في حزيران من عام ١٩٨٢ ، عندما أيد علنا الغزو الاسرائيلي للبنان ، مقحما نفسه في المجال السياسي من جهة وفي العلاقات الفرنسية ــ الاسرائيلية من جهة ثانية • ففي « سفر التثنية » نفسه ، نجد كلا من المذابح المبررة ضد غير اليهود ، ومنع الزواج الخارجي ، والمكافآت المادية البحتة التي تمنح « للمختارين » ، واردة بوضوح لا لبس فيه ولا غموض • وهاهي بعض المقاطع التي ترجمها « إميل أوستي » من سفر التثنية ، حيث يقول اللاويون على لسان موسى : « سوف لن تتحد معها (الأمم السبع) عن طريق الزواج : فلن تعطي ابنتك لابنهم ، ولن تأخذ ابنتهم زوجة لابنك ، لان ذلك يبعد ابنك من ورائي ليخدم آلهة أخرى • عندئذ سيستعر غضب « يهوه » عليك ليبيدك سريعا • ولكن هكذا يجب أن تتعامل مع هؤلاء الاقوام : سوف تهدم مذابحهم وتحطم نصبهم التذكارية وتحرق تماثيلهم ، لأنك شعب مكرّس ليهوه ، إلهك الذي اختارك أنت لتصبح شعبه الخاص من بين سائر الشعوب الموجودة على ظهر البسيطة » •

(سفر التثنية ٧ ، ١ ـ ٦) .

ـ سفر التثنية ٧ ، ١٧ ـ ٢٤ : « اذا قلت في قلبك : « ان هذه الامم هـي أكثر مني عددا ، فكيف أنتزع منها ملكيتها ؟ » ، فلا تخف منها . عليك أن تتذكر ما فعله إلهك يهوه (...) سوف يضع ملوكها بين يديك ، لتخفي أسماءهم من على وجه الارض ؛ لن يستطيع أحد مقاومتك الى أن تتمكن من إبادتهم جميعا » .

لا يسلك القارىء هنا إلا أن يتصور ما يوحي بـه هـذا الكلام لأمثال بيغن وشارون وغيرهما من زعماء اسرائيل : مما لا شك فيه أنهم يستبدلون في أذهـانهم « الأمم السبع » الاكثر عددا بالفلسطينيين والسوريين والاردنيين واللبنانين والمصريين والعراقيين وغيرهم ...

ـ سفر التثنية ٢٦ ، ١٨ ـ ١٩ : « لقد أوحى لك يهوه اليوم بأنك ستكون شعبه الخاص ، وبأنه سيجعلك متفوقا على جميع الامم التي خلقها ، وذلك في الشرف والشهرة والمجـد » .

لكي نـدرك خطورة الوضع الراهن في الشـرق الاوسط ، يجب أن نتصور ما يمكن أن يتركه مثل هذا الكلام في نفوس الاسرائيليين من عنصرية وتعصب وحب للسيطرة والتحكم على حساب جميع من يحيطون بهم ...

ـ سفر التثنية ٩ ، ١ ـ ٣ : « إسمع يا إسرائيل ، سوف تعبر اليـوم نهـر الاردن لكي تجرد من ممتلكاتها أمما أكبر وأقوى منك (...) ، إعلم أن يهـوه إلهك سيسر أمامك كالنـار التي تلتهم كل شيء ، فهو الذي سيبيدهم جميعا ، وهو الذي سيخضعهم لسلطانك ، حتى تجردهم من ممتلكاتهم وتقضي عليهم بسرعة كما قال لك يهـوه » .

خلاصة القول هنا أن كل شيء وارد هنا على حـد زعـم اللاويين : وبعـد الغارات الجوية الاسرائيلية على السكان المدنيين في صور وصيدا وبيروت في حزيران

من عام ١٩٨٣ ، لم تعد الصهيونية بحاجة الى « يهوه » ليكون أمامها « كالنار التي تحرق كل شيء » ....

لا بد من القول أخيرا أن هذا العنف الرهيب غريب حقا في كتاب مقدس أنزل لكي يبشر بالمحبة . ولكن اللاويين هكذا أرادوه ...

أما أخطر أزمة روحية تعرض لها الشعب اليهودي ، فقد جاءت مع ظهور الديانة المسيحية ، وبخاصة خلال الفترة الواقعة بين عامي ٦٣ قبل المسيح و ٧٠ بعد المسيح (تدمير هيكل القدس) . كانت منطقة يهوده آنذاك تحت السيطرة الرومانية، وكان اليهود خاضعين محليا للملك نارةً (مثل هيرود : ٣٧ قبل المسيح — ٤ بعد المسيح) ، أو لوكيل روماني نارة أخرى (٦ بعد المسيح — ٤٠ بعد المسيح) ؛ ثم للملوك منجديد : أغريبا الاول (٤١ — ٤٤) وأغريبا الثاني (٤٤ — ٤٦) . إلا أن الشعب كان خاضعا لنفوذ السدّوقيين (الذين اختفوا من المسرح تحت حكم أغريبا الأول) من جهة والفريسيين والأسونيين من جهة ثانية . لذلك ستؤدي الازدواجية بين الفريسيين والاسونيين الى عودة الصراع بشكل درامي بين التيارين اليهوديين اللاوي والنبوي . فقد أقام الفريسيون تمييزا ذا درجتين : حيث لم يكن على اليهود أن يعيشوا منعزلين عن سائر الشعوب فحسب ، بل كان عليهم ، هم أنفسهم (أي الفريسيون) أن يعيشوا منعزلين عن عامة اليهود . ولكن الذي حدث أن يسوع الناصري ظهر من بين صفوف الأسونيين ، ليس مبشرا برسالة المحبة الإلهية فحسب، بل أعلن أنه المسيح كما أعلن أمسية ديانته الجديدة . عندئذ ساد الاضطراب الاوساط اليهودية كلها ، بل وانتقل الى « المحكمة العليا » اليهودية نفسها . إلا أن الفريسيين ظلوا مسيطرين ، واعتبروا هذا المسيح الآتي من الجليل خطرا مميتا عليهم لأنه يلغي مبدأ التمييز الذاتي اليهودى بالنسبة لسائر البشرية . لذلك حوكم وأدين وصلب . منذ ذلك الحين ، بدأ التعارض بين المسيحيين واليهود ، حيث يرى أولئك في يسوع المسيح نفسه ، بينما لا يزال هؤلاء ينتظرون مجيئه حتى الآن .

بعد تمردين قام بهما اليهود : الاول سنة ٦٦ بعد المسيح ، كانت نتيجته تدمير القدس من قبل الرومان وتدمير الهيكل الذي لم يبق منه سوى حائط المبكى • أما التمرد الثاني ، من عام ١٣٢ الى عام ١٣٥ ، فقد سحقه الرومان ، حيث تشتت اليهود بعده في كافة أنحاء حوض البحر المتوسط •

* * *

الفصل السابع

الإشتراكية الفرنسية والنفوذ الصهيوني

لو أردنا تلخيص تاريخ العلاقات الفرنسية ــ الاسرائيلية بأبسط صوره ، لوجدنا أنفسنا نقف أمام تاريخين بارزين : ٢ حزيران ١٩٦٧ ، عندما قرر الجنرال ديغول فرض حظر على بيع الاسلحة لاسرائيل ، ثم ١٠ أيار ١٩٨١ ، عندما انتخب فرانسوا ميتيران ، المعروف بتعاطفه مع الدولة اليهودية ، كرئيس للجمهورية الفرنسية .

في نهاية الحرب العالمية الثانية ، أدى الكشف عن فظائع النازية الى خلق جو متعاطف مع اليهود الذين ذاقوا الأمرّين . وهكذا تشكلت في باريس ، منذ نهاية عام ١٩٤٦ ، « الرابطة الفرنسية » من أجل فلسطين الحرة على غرار المنظمة الأمريكية المسماة « اللجنة العبرية للتحرر الوطني » ، والتي كانت تدعم المنظمة الارهابية « الأرغون » . واعتبارا من شهر آذار ١٩٤٧ ، أصدرت هذه الرابطة مجلة تصدر كل شهرين تحت اسم : « الرد » (La Riposte) ، تهاجم « الاحتلال البريطاني » لفلسطين . في الواقع ، لم تكن المملكة المتحدة سوى سلطة منتدبة ، ولكن الارهاب الصهيوني أصبح بقدرة قادر « المقاومة اليهودية الفلسطينية » ، بينما لم يرد أي ذكر للفلسطينيين الحقيقيين أنفسهم . في هذا الوقت بالذات ، كانت فكرة « الدولة اليهودية » تشق طريقها في الاوساط الديغولية بشكل خاص ، حيث كان هناك ترحيب طوعي بكل ما من شأنه الحد من النفوذ البريطاني في أي مكان من العالم . وفي عام ١٩٥٦ ، جاء تأميم قناة السويس والدعم المصري السافر للثورة

الجزائريـة ليجعلا من عبد الناصـر خصماً للحكومة الفرنسية التي تورطـت في العدوان الثلاثي على مصر مع كل من بريطانيا واسرائيل • لذلك كانت فترة السنوات العشر (١٩٥٦ ــ ١٩٦٦) هي مرحلة العهد الذهبي للعلاقات بين فرنسا والدولـة اليهودية ، حيث وصل بيع الاسلحة الفرنسية لتل أبيب مستويات قياسية بعد عـام ١٩٥٩ •

الا أن تبدلا في الاتجاه بدأ يطرأ سنة ١٩٦٢ ، عندما توصل ديغول الى حـل المسألة الجزائرية وأخذ يسعى لاعادة توثيق العلاقات مع البلدان العربية والتصدي للنفوذ الامريكي في الشرق الاوسط • كما أنه عمد ، قبل اندلاع حرب عام ١٩٦٧ بقليل ، الى اتخاذ قرار بفرض حظر على تسليم أية أسلحة لاسرائيل التي كانت تعتمد آنذاك على فرنسا اعتمادا شبه كامل في كـل ما يتعلق بالتسليح • ولا شـك في أن الجميع يذكرون التصريح الذي أدلى به ديغول يوم ٢ حزيران ١٩٦٧ ، حيث قـال: « لا يمكن لأول دولة تبدأ بالعدوان في الشرق الاوسط أن تحصل على تأييد فرنسا أو دعمها » • خلال الحرب الاسرائيلية ــ العربية الثالثة ، استخدمت ضد اسرائيل أسلحة فرنسية كانت قد بيعت للجزائر ولبنان • وباحتلال سيناء والجولان وغـزة والضفة الغربية ، كان لابد للتصلب الفرنسي أن يتزايد • فقد أعلن الجنرال ديغول أمام مجلس الوزراء المنعقد في ٢١ حزيران ما يلي : «ان فرنسا لا تعترف بأية تبدلات تم تحقيقها على الارض بالقوة العسكرية » • وفي شهر أيلول من عام ١٩٦٧ ، عقدت اتفاقية مع العراق لبيعه أسلحة فرنسية• ثم ارتفعت حدة التوتر أثناء المؤتمر الصحفي الذي عقده الجنرال ديغول بوم ٢٧ تشـرين الثاني ١٩٦٧ ، حيث هاجـم بشـدة الأطماع التوسعية الاسرائيلية » ، مما دفع الاوساط الصهيونية لاتهامه «باللاسامية» • كذلك تعززت تدابير الحظر ، وبخاصة بعد هجوم الطيران الاسرائيلي على مطـار بيروت في ٢٨ كانون الاول ١٩٦٨ • وليس من العسير هنا ادراك مدى التحول الذي أجراه فرانسوا ميتيران بعد ثلاثة عشر عاما ، عندما استقبل وزير خارجية مناحيـم بيغن في الوقت الذي كان الجيش الاسرائيلي يغرق ثلث لبنان بالنـار والـدماء • ولا شك في أن الاصوات اليهـودية قد لعبت دورا في فشـل الجنرال ديغـول في

الاستفتاء الذي أجراه يوم ٢٧ نيسان ١٩٦٩ ، كما خصصت أموال يهوديه طائلة لتمويل الحملة المضادة للديغوليين ».

لم يستطع « جورج بومبيدو » و « جيسكار ديستان » المحافظة على خط ديغول نفسه ، فقدموا التنازلات تدريجيا • ففي ١٥ حزيران ١٩٦٩ ، تم تخفيف الحظر ، ثم جرى الالتفاف حوله عندما جاءت الموافقة على تسليم اسرائيل طائرات « الميراج » على شكل قطع غيار ، الى أن ألغي الحظر نهائيا سنة ١٩٧٤ • أضف الى ذلك قيام باريس ، في كانون الثاني من عام ١٩٧٥ ، بمبادهة السعي لدى شركائها في السوق المشتركة من أجل توقيع اتفاقية للتبادل الحر مع اسرائيل •

إلا أن الموقف الفرنسي « المتوازن » لم يتبدل كثيرا تجاه اسرائيل أو على حساب الدول العربية فيما يتعلق بالامور الكبرى والمبدئية • فعندما استلم القذافي الحكم في ليبيا خلال شهر أيلول من عام ١٩٦٩ ، عقدت اتفاقية للتعاون الفرنسي ــ الليبي بعد ذلك بما لا يزيد على ثلاثة أشهر ، حول بيع طرابلس ١١٠ طائرة ميراج • وقد نسب الى جورج بومبيدو (رغم كونه أبعد ما يكون عن « اللاسامية » باعتباره أمضى جزءا كبيرا من حياته كمدير لمصرف عند آل روتشيلد) أنه عرّف اسرائيل « كدولة عنصرية وطائفية » • لذلك تعرض خلال زيارته للولايات المتحدة في شباط من عام ١٩٧٠ ، بناء على دعوة من ريتشارد نيكسون ، الى اهانة كبرى : أثناء خروجه من الفندق في مدينة شيكاغو ، اعترضته مجموعة من اليهود الامريكيين الذين هددوه وأهانوه مع زوجته ودفعوهما بالايدي ، دون أن تتدخل أية مفرزة من الشرطة لحمايتهما ودفع الناس عنهما • وفي عام ١٩٧٢ ، أيدت فرنسا في الامم المتحدة قرارا يتهم اسرائيل بخرق ميثاق جنيف في الاراضي العربية المحتلة وبارتكاب جرائم حرب ضد السكان • أثناء حرب يوم الغفران ، وقفت فرنسا مباشرة الى جانب العرب • وقد تعزز التيار المعادي للصهيونية (رغم بقاء أصحابه أقلية) في صفوف الحزب الديغولي ، وذلك بدفع من السيد (لويس تيرونوار) ، رئيس جمعية التضامن الفرنسي ــ العربي • وفي ٨ تشرين الاول من عام ١٩٧٣ ، قام السيد

«ميشيل جوبير»، وزير الخارجية الفرنسية آنـذاك ، بتبرير الهجوم العربي ضـد اسرائيل بقوله : « هل يمكن حقا اعتبار محاولة العرب استرداد أراضيهم عدوانا غير متوقع ؟ » . أما اليوم ، وقد أصبح مينيل جوبير وزيرا للتجـارة الخارجيـة في الحكومة الاشتراكية ، فقد تبدلت نظرته للامـور ، أو أصبـح من الذين فضلوا السكوت خـلال الغزو الاسـرائيلي للبنان ، مع زميله « بادنتيه » (Badinter) وزير العدل ، و « أتالي » المستشار الرئيسي لفرانسوا ميتـيران ، وكلاهما مـن الزعماء البارزين للصهيونية في فرنسا .

أما فاليري جيسكار ديستان ، فقد أطلق سراح « أبو داوود » ، المتهم بتدبير عملية الفدائيين في ميونيخ سنة ١٩٧٢ ، والذي اعتقلتـه السلطـات الفرنسية في ٧ كانون الثاني من عام ١٩٧٧ . وفي أثنـاء زيارته للخليج العـربي والاردن ، أكـد جيسكار ديستان « على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصـيره » ، كما طـالب باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في مفاوضات السلام . ولا شك في أن الاموال والاصوات اليهودية قد ساهمت في عدم تجديد فترة رئاسته .

ـ فرانسوا ميتيران في الكنيست : ٤ آذار ١٩٨٢ :

جاءت زيارة فرانسوا ميتيران لاسرائيل في الفترة من ٢ ــ ٥ آذار مـن عـام ١٩٨٢ وكأنها تشجيع لسياسة مناحيم بيغن الذي كان قد أعلن عن ضم الجولان فـي شهر كانون الاول من عام ١٩٨١ ، والذي كان يستعد لغزو لبنان في حزيران ١٩٨٢ . أضف الى ذلك أن تلك كانت أول زيارة يقوم بها لاسـرائيل رئيس فرنسي ، بـل وأوروبي . صحيح أن ميتيران كان قد زار اسرائيل عدة مرات ، بين عامي ١٩٤٩ و ١٩٨٠ ، كما زار القدس في شهر كانون الاول من عام ١٩٨٠ بصفته السكرتير الاول للحزب الاشتراكي ، إلا أن الفارق هذه المرة كبير : لانه الآن رئيس للجمهورية ومن المفترض فيه أن يمثل جميع الفرنسيين . فما هي الدوافع القوية يا ترى ، التي دفعته للقيام بهذه الخطوة الحاسمة ؟ ان أول هذه الدوافع هو الوفاء بالتزام قطعه عـلى نفسه خلال المعركة الانتخابية . أضف الى ذلـك أن ميتيران يكـن إعجابا صادقا

للشعب اليهودي ؛ وقد تحدث كثيرا عن « الكثيرين من اليهود الذين كانوا ومازالوا رفاق دربه الطويل » ، كما تحدث في الكنيست عن اليهود « كشعب نبيـل ومعتز بنفسه » .

وفي تصريح أدلى به أثناء مقابلة سبقت زيارته بقليل ، تحـدث ميتيران عـن اليهود « الذين غزوا أرض كنعان ، ليس لصالحهم بل لصالح الرب » . هـذه هي تماما العقيدة التورانية المزيفة التي يستخدمها الصهاينة باستمرار كما رأينا . وما من شك في أن كل إمبريالية أو دكتاتورية تشعر بالحاجة الى مباركة مدافعهـا والاحتماء خلف أي ستار إلهـي ، كمحاكم التفتيش الاسبانية وسواها . والاخطر من ذلك أن هذه الزيارة قد جاءت في الوقت الذي كان فيه القمع على أشده في الاراضي العربية المحتلة . كيف يمكن بعد هذا الادعاء بأن من جملة أهداف الزيارة اقناع اسرائيـل بقبول الحوار مع الفلسطينيين ؟ لذلك لم ينخدع هؤلاء ، فقد أعلن الشخص الثاني في منظمة فتـح (أبو إيـاد) في ١٨ آذار ١٩٨٢ أنه لايرى في هـذه الزيارة « إلا انحيازا تاما للسياسة الاسرائيلية » . والواقع أن هذا الحكم يتضمن الكثير مـن الصحة ، وبخاصة اذا علمنا بأن الزيارة جاءت بعد ثلاثة أشهر فقط من ضم الجولان (الذي وصفه « جاك شيراك » بأنه « عمل من أعمال القرصنة ») ، وبعد أقل مـن عام على تدمير المفاعل النووي العراقي ، وفي مرحلة كان يجري خلالها الاعداد لغزو وشيك للبنان . أما التذرع بحجة الضغط على بيغن وشارون وزمرتهما ، فقدأصبح مضحكا بعد أن بدأت المجزرة الرهيبـة في لبنـان في شهر حزيران ١٩٨٢ . وقـد صدقت المجلة اليهـودية الفرنسية « السفينة » (l'Arche) عندما قالت : « لقـد أغلق ميتيران بحزم وجرأة القوس الذي ظل مفتوحا خمسة عشر عاما » .

خلاصة القول أنه حدث انعطاف واضح لا لبس فيه ولا غموض : فقد خدشت مصداقية منظمة التحرير الفلسطينية ، وتم الاعتراف علنا بأسلوب كامب دافيد ، كما منعت المؤسسات الفرنسية من احترام المقاطعة العربية لاسـرائيل ، ووضع الاساس لمحور القدس ــ باريس .

ـ المشاغـلة ((الشيسونية)) :

من المعروف أن تعلق ((كلود شيسون)) الصادق بالقضية الفلسطينية لايرجع الى تاريخ تعيينه كوزير للعلاقات الخارجية الفرنسية ، بل الى السبعينات عندما كان يعلن على الصعيد الاوروبي موقفه المؤيد الصريح لمنظمة التحرير الفلسطينية وضـد الدعم غير المشروط لاسرائيل • ولكن ما هو الدور الذي لعبه كلود شيسون فـي ربيع عام ١٩٨٢ ؟ كانت كل إساءة للقضية الفلسطينية تصدر عن أعلى شخصية فـي الدولة ، ترافقها أو تليها مهمة مساع حميدة لدى العرب من قبل وزارة الخارجية • في ٣ آذار ١٩٨٢ ، استقبل كلود شيسون وجهاء غزة والضفة الغربية الذين سلموه مذكرة يدينون فيها الاحتـلال الاسرائيـلي للاراضي المصادرة سنة ١٩٦٧ ، والتي تتعرض للضم التدريجي • وفي ١٠ آذار ١٩٨٢ ، جرى ((لقاء ودي وصريح)) مـع السيد فاروق القدومي الذي يعتبر بمثابة وزير خارجية لمنظمة التحرير الفلسطينية• وفي الفترة من ٢٩ ــ ٣١ أيـار ١٩٨٢ ، قام كلود شيسون بزيارة لكل من العربية السعودية وتونس وليبيا ، من أجل تهدئة خواطر زعماء هذه البلدان • وفي ٨حزيران ١٩٨٢ ، استقبل وفدا يمثل السفراء العرب في فرنسا ، ومعهم ممثل منظمة التحرير في باريس ، السيد ابراهيم الصوص ، بالاضافة الى ممثل الجامعة العربية ، محمـد يزيـد • في ١٤ حزيران ، قام اسحق شامير ، وزير خارجية اسرائيل ، بزيارة رسمية لفرنسا في الوقت الذي كانت دماء الضحايا البريئة في لبنان لم تجف بعد • لذلـك كتب السيد ((كلود بورديه)) آنذاك يقـول : ((لنتساءل اذن : لو قـام الاتحـاد السوفياتي مثلا بغزو بولونيا هذا الشتاء ، وسحق وارسو بقنابله ، ودمر العـديد من القرى بحجة ((إخـافة)) الناس ، هل كانت فرنسا تقوم بدعوة وزير خارجيـة الاتحاد السوفياتي ، السيد أندريه غروميكو ، قبل أن تبرد آلاف الجثث ؟ وحتى لو كانت الدعوة قديمة ، أما كان من الواجب إلغاؤهـا ؟ ثـم هـل كانت فرنسـا ستكتفي بـأن تطلب ((وقف القصف والقتال ؟ الحق يقال هنـا أن السيد شامـير محظوظ لانه اسرائيلي)) •••

– الصهيونية واليهودية في فرنسا :

يقدر عدد الطائفة اليهودية في فرنسا بحوالي /٧٠٠٫٠٠٠/ نسمة ، مما يجعلها الاولى في أوروبا الغربية والرابعة في العالم . وقد ثبت وجود اليهود في فرنسا منذ عهد « الكارولنجيين »[1] . في القرن السادس عشر ، نزح العديد من اليهود الى فرنسا قادمين من اسبانيا والبرتغال . إلا أن عددهم كان لا يزال قليلا عند تحريرهم في عام ١٧٩١ : حوالي ٤٠٫٠٠٠ ثم ٤٦٫٠٠٠ في عهد نابليون ، الذي أصدر في ١٧ تموز سنة ١٨٠٨ قرارا بتشكيل « المجمع الديني المركزي » لليهود في فرنسا . وقد تفرع هذا المجمع نفسه الى مجمعات اقليمية مهمتها « رعاية المصالح العامة للعبادات اليهودية » . ثم جاءت موجة أخرى من اليهود « الأشكناز » النازحين من ألمانيا وأوروبا الشرقية ، بين عامي ١٨٣٠ – ١٨٨٠ ، والتي أتاحت الفرصة للهبّة اللاسامية التي اجتاحت فرنسا أثناء قضية « درايفوس » الشهيرة . وربما يعود سبب ذلك الى أنه وجد في فرنسا ، عند نهاية القرن التاسع عشر ، أكثر من /٨٠٫٠٠٠/ يهودي مقابل خمسة ملايين في روسيا ، مليونين في النمسا وهنغاريا ، ٦٠٠٫٠٠٠ في ألمانيا و ١٨٠٫٠٠٠ في انكلترة . ومن البدهي أن الـ / ٣٠٫٠٠٠ / يهودي في الالزاس واللورين كانوا من الألمان اعتبارا من عام ١٨٧٠ حتى استعادة هذه المقاطعة من قبل فرنسا . أما الـ / ٤٠٫٠٠٠ / يهودي جزائري ، فكانوا يتبعون لباريس منذ عام ١٨٦٢ ، حيث اعتبر الرئيس الروحي للطائفة اليهودية الفرنسية حاخاما أكبر لفرنسا والجزائر . وفي ٢٠ تشرين الاول ١٨٧٠ ، نجح وزير العدل (أدولف كريميو) « Grémieux » ، الذي كان يهوديا ، في اصدار مرسوم يمنح الجنسية الفرنسية للجزائريين من الطائفة اليهودية . علّق هذا المرسوم في عهد حكومة « فيشي » ، ثم عاد ساري المفعول عند تحرير فرنسا في نهاية الحرب العالمية الثانية . لقد طبق هذا المرسوم بصورة مكثفة جدا سنة ١٩٦٢ ، عندما نزح /١٧٠٫٠٠٠/ يهودي

---

(١) – الكارولنجيون (Garolingiens) : هم السلالة الملكية الثانية في فرنسا (٧٥١–٩٨٧) (المترجم)

جزائري الى فرنسا • في الحقيقة ، كان عـدد اليهود في فرنسا /٣٠٠ر٠٠٠/ سنة ١٩٣٩ ، ثم هبط الى أقل من /٢٠٠ر٠٠٠/ سنة ١٩٤٥ (حيث سقط ضحية النازية أكثر من /٧٥ر٠٠٠/) • وعندما جاءت موجـة أفريقيا الشمالية ومصر بـين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٢ ، قفز هذا العدد الى /٥٣٥ر٠٠٠/ سنة ١٩٦٨ ثم /٧٠٠ر٠٠٠/ سنة ١٩٨٢ •

يختلف الوضع في فرنسا اختلافا بيّنا عنه في الولايات المتحدة الامريكية : لأن حوالي ثلثي اليهود في فرنسا نازحون من المغرب العربي ، كما أن نصف يهود فرنسا يقطنون منطقة باريس • ومن الجدير بالذكر هنا أن فوارق كبيرة ، طبقية وثقافيـة وعقائدية ، تميز هذه الطائفة التي لا يجمعها سوى مخرج مشترك واحد هو التعاطف مع اسرائيل ، ولكن لبس لدرجة الحياة فيها •••

ان الطائفة اليهودية في فرنسا متينة البنيان من حيث التنظيـم ؛ ففي القمـة يوجد « المجلس الممثل للمؤسسات اليهودية في فرنسا »[1] ، الذي أسس سنة ١٩٤٤ ، والذي كان يضم ٢٧ منظمة ــ عضوة سنة ١٩٧١ • يرأس هذا المجلس « آلان دي روتشيلد » ، ويعتبر من الجماعات الرئيسية الضاغطـة في فرنسا ، والذي تغـازله عادة الأغلبية والمعارضة على السواء • يعتبر هذا المجلس أن دعـم اسرائيل يجب أن يكون دائما وغير مشروط • فالغزو الاسرائيلي للبنان نفسه قد قُدّم من قبل هــذا المجلس « كحرب مفروضة على اسرائيل » ! •••

كذلك يوجد ما يسمى « بصندوق النقد الاجتماعي اليهودي الموحـد »[2] ، الذي أحدث سنة ١٩٤٩ ، ثم تحول على مر السنين من مركز لجمع الاموال لصالح اسرائيل الى ميدان دائم لكافة أنواع المبادلات والمقايضات • ترأس هذا الصندوق لمدة طويلة « غي دي روتشيلد » الى أن انتقل اليوم الى ابنه « دافيد دي روتشيلد » • وحسب « الدليل اليهودي لفرنسا » ، كان يوجد في عـام ١٩٧١ : تسـع منظمات

---

(١) ــ يرمز اليه بالفرنسية = (C. R. I. F) .

(٢) ــ يرمز اليه بالفرنسية = (F. S. J. U) .

وطنية كبرى ، ست منظمات دينية ، ٢٧ حركة للخدمات الاجتماعية ، عشرون منظمة صهيونية فرنسية ، ستة أحزاب صهيونية دولية لها فروع في فرنسا ، عشر روابط للمنحدرين من بلاد مختلفة (مثل يهود المغرب) ، ٢٤ مدرسة يهودية ، ١٣ حركة شبيبية ، ١١ ناديا ومركزا طلابيا • كما تلعب الفروع الفرنسية للمنظمات اليهودية العالمية دورا كبيرا مثل : الوكالة اليهودية ، حيروت ، المنظمة الصهيونية النسائية الدولية ، المؤتمر اليهودي العالمي ، الخ ••• تنسق جباية الاموال لصالح اسرائيل من قبل جهاز « النداء الموحد اليهودي » لفرنسا ، الذي يرأسه رافائيل بن سيمون•

أما الصحافة اليهودية فكانت تضم ، في عام١٩٧١ ، ٤١ صحيفة ومجله ، أهمها. « السفينة » (l'Arche) ، « مجلة اليهود الفرنسية » و « المنبر اليهودي » • وأما الحركات « المناضلة » فأهمها : الحزب الصهيوني الاشتراكي الذي يرأسه «روجيه بنتو » ، الحزب الصهيوني المستقل الذي يرأسه ميشيل توبيول ، اتحاد الطلاب اليهود في فرنسا ، الاتحاد الصهيوني لفرنسا الذي يرأسه « بيني كوهين » ، « للدفاع عن النفس » ، حيث تعطى الافضلية للتدريب العسكري •

كذلك يرتبط نفوذ « اللوبي » اليهودي في فرنسا بشخصيات من كبار رجال الاعمال من أمثال (بلوستان ــ بلانشيه ، بوبليسي ، مارسيل دسّو ، جلبيرنريفانو، رئيس نادي البحر المتوسط) ، وعلى رجال فكر وصحافة (ريمون أرون ، آني كريفل ، جان دانيال ، الخ•••) بالاضافة الى رجال سياسة ودين (الحاخام الاكبر « رينيه ــ صموئيل سيرا » الذي خلف « جاكوب كابلان » في شهر كانون الثاني من عام ١٩٨٠) • ومن الجدير بالذكر ، على الصعيد السياسي ، أن عددا كبيرا من اليهود قد اختاروا الحزب الاشتراكي •

ــ الحزب الاشتراكي والصهيونية :

مما لاشك فيه أن لقاء الصهيونية والحزب الاشتراكي ليس وليد مصادفة ، بل هو مستمد من تقليد قديم • ولا بد أن نذكّر بهذا الصدد بالعلاقات

الوثيقة التي كانت تربط بين « ليون بلوم » و « وايزمان » ، وبأن « بلوم » هـذا كان من مؤسسي « الوكالة اليهودية الموسعة » سنه ١٩٢٩[1] • و « بيير منديس ـ فرانس » كان يهوديا متعصبا ليهوديته ، تزوج من امرأتين يهوديتين على التوالي• وعندما كان رئيسا لمجلس الوزراء (حزيران ١٩٥٤ ـ شباط ١٩٥٥) ، كان فراسوا ميتيران أقرب المقربين اليه ، حيث عمل معه كوزير شاب للداخليـه • كان منديس فرانس متعلقا جدا بالدولة اليهودية ، وقد أخذ عليه الكثيرون ، في حزيران ١٩٨٢، عـدم تعرضه ولو بكلمة واحـدة تدين أعمال الجيش الاسرائيلي في لبنـان • أما الشخصية البارزة الثالثة ، فهو « دانيال ماير » اليهودي أيضا ومن الزعماءالبارزين في الحزب الاشتراكي • في السبعينات ، اتضح تماما التقارب بين الحزب الاشتراكي ويهود فرنسا حول موضوع دعم اسرائيل • وفي عام ١٩٧٥ ، صرح ميتيران في تـل أبيب : « بأن للاشتراكيين الفرنسيين علاقات خاصة مع اسرائيل » • وفي عددمجلة « السفينة » أو (l' Arche) الصهيونية ، الذي صدر في حزيران ١٩٧٨ ، ظهرت على الغلافصورة ميتيران مع « ألان دي روتشيلد »، وقد كتب تحتها : «مصافحة بالايدي وتوثيق للروابط » • وفي الانتخابات التشريعية الفرنسية التي جرت سنة ١٩٧٨ ، أكدت معظم وسائط الاعلام أن أغلبية اليهود الفرنسيين قد صوتوا لصالح اليسار • وخلال معركة انتخابات الرئـاسة سنة ١٩٨١ ، كشفت الاوراق مسبقا : حيث أعلن حزب « التجديد اليهودي » ، على لسان أمينـه العام ، ضرورة قيـام الناخبين بمعاقبة جيسكار ديستان بسبب صفقة الاسلحة التي سلمها للعراق • أشار استفتاء للناخبين اليهود ، أجرته صحيفة « لوبوان » (Le Point) ، أن ٥٣٪ مع ميتيران و ٢٣ ٪ مع جيسكار ديستان • وفي صحيفـة « المنبر الصهيـوني » ، طالب « روجيه أسكو » بالتصويت لصالح ميتيران ، كما كتب « إميل تواتي » ، من زعماء الـ (C R I. F) البارزين ، أن معيار الانتخـاب لليهـود يجب أن يكون « سيادة اسرائيل وأمنها » • ومـن المؤسف حقا أن يحترم السكرتير الاول للحزب

---

(١) ـ ليون بلوم : من الزعماء الاشتراكيين البارزين في فرنسا ، يهودي عمـل كرئيس للوزراء عـامي ١٩٣٦ و ١٩٣٧ ، ثم عامي ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ • (المترجم)

الاشتراكي هذا المعيار الذي لا يست بأية صلة للمصلحة الوطنية الفرنسية ••• وقد احتفلت اسرائيل بحماس بنجاح ميتيران ، الذي ما كاد يجلس في قصر « الاليزيه » حتى أعلن عن عزمه على القيام بزيارة رسمية لاسرائيل بناء على دعوة من مناحيم بيغن •

منذ ١٧ حزيران ١٩٨١ ، قام رئيس الـ (C. R. I. F) ، «ألاندي رونشيلد»، بتوجيه رسالة الى رئيس الوزراء الجديد (بيير موروا) يذكره فيها بالوعود التي قطعها على نفسه المرشح ميتيران فيما يتعلق بالغاء المخالفات التي ارتكبها السيد « ريسون بار » (رئيس الوزراء السابق) في ٢٤ تسوز ١٩٧٧ و ٩ أيار ١٩٨٠ ، ضد قانون عدم المقاطعة الصادر في ٧ حزيران ١٩٧٧ • وهكذا نجد أن مصلحة المؤسسات الفرنسية (التصدير الى البلاد العربية في حالة المقاطعة الجزئية لاسرائيل) تأتي بعد مصلحة دولة أجنبية كاسرائيل !•••

أضف الى ذلك أن الصلات بين الصهيونية والحزب الاشتراكي يمكن أن تتم أيضا عن طريق شخصيات غير سياسية : مثل « جيلبير تريغانو » ، المؤيد لميتيران ، والذي يمارس نفوذا كبيرا على وسائط الاعلام بفضل الميزانية الهائلة التي تخصصها أجهزته ومؤسساته للدعاية • ولا بد من القول هنا بأن الصحافة تخشى دائما التهديد بحرمانها من الدعاية التي تشكل المورد الرئيسي لارباحها • كذلك هناك «مارسيل بلوستان بلانشيه » ، والد زوجة الوزير والصهيوني المعروف « روبير بادينتيه » (Badinter) . وهناك أيضا « جان ــ كلود آهارون » ، الثري اليهودي المعروف في ميدان تجارة العقارات، والذي يساهم بقسط وافر في صحيفة (le Parisien libéré) ويدعم ميتيران منذ عام ١٩٧٤ •

أضف الى كل ذلك أيضا وجود أعضاء في الحكومة موالين للصهيونية ، أبرزهم « روبير بادينتيه » ، وزير العدل ، وعضو في الوقت نفسه في مجالس ادارة ثلاث منظمات صهيونية معروفة : أولاها « المجلس الممثل للمؤسسات اليهودية في فرنسا» أو الـ (C. R. I. F) ، وثانيتها « صندوق النقد الاجتماعي اليهودي الموحد »

أما «جاك أتالي»، (F. C. J. U) الآنفتي الذكر ، وثالثتهما (A havat - Israèl) . الذي أعد لزيارة ميتيران لاسرائيل ، فهو صهيوني مناضل ، ومن زعماء عدة منظمات صهيونية ، يعمل كمستشار خاص لفرانسوا ميتيران .

وهناك أيضا عضو مجلس الشيوخ الاشتراكي « ميتشيل دريفوس ــ شميد»، الذي يرأس منذ شهر شباط ١٩٨٢ الفرع الفرنسي « للمؤتمر اليهودي العالمي » . و « سيرج واينبرغ » ، الصهيوني المناضل ، يعمل الآن كمدير لمكتب وزير الموازنة « لوزان فابيوس » . أما « جان بوبيرين » (Jean Poperen) ، المعتبر الشخص الثاني في الحزب الاشتراكي ، فهو الآن رئيس الجماعة البرلمانية للصداقة الفرنسية ــ الاسرائيلية .

كل هذه الامثلة ، على صعيد الاشخاص ، تؤكد صحة تحليلنا لسياسة فرنسا في الشرق الاوسط ، التي تنطلق من مبدأ أساسي أولي هو دعم اسرائيل على حساب منظمة التحرير والقضية الفلسطينية نفسها[1] . وبينما كان سلفه ينتقد بعض جوانب « كامب دافيد » ، وبخاصة إنكار حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، يصرح فرانسوا ميتيران في ٢٢ نيسان ١٩٨١ لمحطة اذاعة (أوروبا الاولى) بما يلي : « ان اتفاقية كامب دافيد هي اتفاقية جيدة ، والحزب الاشتراكي هو الوحيد من بين الاحزاب الكبرى الذي أيدها » . وفي ٨ كانون الاول ١٩٨١ ، أغضبت الحكومة الفرنسية الدول العربية عندما قررت التخلي عن المبادهة الاوروبية التي نسجها جيسكار ديستان حول الشرق الاوسط . وقد أعلن « إدغار برونغمان » ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، بعد لقائه مع رئيس الجمهورية الفرنسية ، عن « شعوره بالاطمئنان » للحديث الذي سمعه من فرانسوا ميتيران . وفي شهر أيار من عام

---

(١) ــ عندما ألف الكاتب كتابه هذا ، لم يكن قد سمع بعد ما قاله مؤخرا رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي « بان قلبه وعواطفه مع نقل السفارة الفرنسية الى القدس » ....

(المترجم)

١٩٨٢ ، استؤنفت أعمال « اللجنة الاقتصادية المختلطة الفرنسية ــ الاسرائيلية ، بعد أن كانت مجمدة طوال اثني عشر عاما » .

ــ العواقب السلبية بالنسبة لفرنسا :

رغم المشاغلة « الشيسونية »[1] ، أدرك قادة منظمة التحرير الفلسطينيةعلى الفور أن« الإليزيه » قد أجرى انعطافا لغير صالحهم . لذلك رأينا مستشار عرفات، هاني الحسن ، يعلن بوضوح للمجلة اللبنانية « مورننغ نيوز » في ٢١ نيسان١٩٨٢: « ان الموقف الفرنسي الجديد في الشرق الاوسط يشكل تهديدا خطيرا للسلام في المنطقة . وها هو ميتيران يعتبر أول رئيس دولة يزور اسرائيل ويضع حدا لعزلة هذا البلد ، والنتيجة هي هذه الدماء التي نراها تسفك منذ ذلك الحين . ولا شك في أن هذه الزيارة قد أطلقت الزمام لمناحيم بيغن في الاراضي المحتلة . نحن نعتبر موقف ميتيران معاديا تماما لمنظمة التحرير الفلسطينية » .

صحيح أن منظمة التحرير قد ضعفت بعد مجازر اسرائيل في لبنان ، مما يسمح بتجاهل صوتها في الوقت الراهن على الاقل ، ولكن الشعب الفلسطيني حقيقة دائمة تقف وراءها الشعوب العربية والاسلامية ، التي تعتبر على درجة كبرى من الاهمية بالنسبة لفرنسا وأوروبا . وقد جاءت ردود الفعل العربية حادة كما هو متوقع، حيث انتقدت دول الخليج « سياسة التوازن » الفرنسية التي تفيد اسرائيل أكثر من العرب . كما صرح الشيخ زايد ، رئيس دولة الامارات العربية المتحدة بما يلي : « في خطابه داخل الكنيست ، لم يكن ميتيران حازما بما فيه الكفاية بالنسبة القضية الفلسطينية ، كما لم يشر بكلمة واحدة يدين بها ضم الجولان » .

مما لاشك فيه أن هناك علاقة بين سياسة ميتيران وتصاعد أعمال العنفمؤخرا ضد الفرنسيين والممتلكاتالفرنسية : في ٤ أيلول ١٩٨١ ، تم اغتيال السفير الفرنسي في بيروت ، « لويس دولامار » . في ١٥ آذار ١٩٨٢ جرى تفجير المركز الثقافي

---

(١) ــ نسبة الى وزير خارجية فرنسا « كلود شيسون » .

الفرنسي في بيروت ، وفي ١٥ نيسان ١٩٨٢ ، وفي العاصمة اللبنانية نفسها ، تم اغتيال أحد موظفي السفارةالفرنسية وزوجته (غي وكارولين كافالو). في ٢٩ آذار ١٩٨٢، حدثت عملية « الكابيتول » التي نجم عنهـا خمسة قتلى و٢٧ جريحا . بعد ذلـك انتقل العمل الى فيينا : ففي ليلة ١٨ ــ ١٩ نيسان ، ألقيت بعض القنابل اليدويةعلى السفارة الفرنسية وشركة الطيران الفرنسية . في ٢٢ نيسان ، أدى انفجـار شارع « ماربوف » الى وقوع ٦٠ جريحا ومقتل امرأة من المارة . بعد هذا بيومين، ألقيت متفجرات على وكالة الصحافة الفرنسية في بـيروت ، وفي ٢٤ أيار ١٩٨٢ ، انفجرت سيارة ملغومة أمام السفارة الفرنسية في بيروت ، حيث قتل أحد عشر شخصا و ٢٧ جريحـا .

ليس معروفا الآن من يقف وراء هذه الاعمال ، ولكن من الواضح أن بـذور الثقة التي غرسها الجنرال ديغول وخلفاؤه في الدول العربية قد تطايرت خـلال عام واحد من الانحياز الاشتراكي الفرنسي لاسرائيل . وقـد لوحظ بوضوح ، منـذ حزيران ١٩٨٢ ، سحب هام لرؤوس الاموال العربية من المصارف الفرنسية ، كمـا أعلنت عدة عواصم في الخليج عن عزمها على تقليص حجم المبادلات التجارية مـع فرنسا . وما من شك في أن اضطراب العلاقات الفرنسية ــ العربية لا يبشر بأي خير في المستقبل . ولا بد من التنويه هنا بأن فرنسا كانت تعتمد ، في عام ١٩٨٢ ، بنسبة ٨ر٦٩٪ من تموينها بالنفط على الشرق الاوسط .

أخيرا ، يحق لنا أن نتساءل : ألـم تتورط الدبلوماسية الفرنسية في طـريق مسدود ؟ هل يمكن اعتبار « لبنان المسيحي قبل كل شيء » ، هذه الوصفة القديمة المعتربنات من هذا القرن ، هو السبيل الأمثل بالنسبة لنهاية القرن العشرين ، فـي الوقت الذي لا بد فيه من حل للقضية الفلسطينية والذي لم تعـد تقبل معه الأمـة العربية « سياسة الوجهين » أو تهادن على قضيتها الكبرى ، وكذلك في الوقت الذي يجب على أوروبا أن تلعب دورها في الشرق الاوسط ؟. .

★ ★ ★

الفصل الثامن

تدويل الصّهيونيّة

كان المثل الاعلى الأولي للعقيدة الصهيونية هو جمع يهود العالم كله في أرض معينة ، وما زال هذا هدف الصهيونية الأول . في شهر كانون الاول من عام ١٩٥٢، صرح الرئيس الثاني لدولة اسرائيل ، بن زفي ، بما يلي : لقد بقي هدفنا المركزي تجميع كل اليهود المنفيين ، وسنظل متمسكين بهذا الهدف . إلا أن مهمتنا التاريخية هذه لن تتحقق الا بتعاون الامة اليهودية في المشرق والمغرب » . هذا مع العلم بأن القانون الاسرائيلي لعام ١٩٥٣ ، المسمى « قانون العودة » ، واضح وصريح في هذا الصدد : « ان تجميع المنفيين يفترض جهودا متجددة من قبل الامة اليهودية المبعثرة. ودولة اسرائيل تنتظر مساهمة كافة يهود العالم ، على الصعيد الفردي أو من خلال المنظمات ، لدعمها والعمل على تنظيم « عودة » مكثفة . لذلك من الضروري أن تتحد كافة المجتمعات اليهودية لبلوغ هذا الهدف » .

حتى عام ١٩٤٨ ، بقيت معارضة الصهيونية قوية نسبيا . إلا أن تكشف فظائع النازية من جهة ، والانتصارات العسكرية التي حققتها اسرائيل من جهة ثانية، أدت الى انضمام الكثيرين الى المعسكر الصهيوني المتطرف . صحيح أن عددا قليلا من يهود الغرب فكروا في « العودة » الفعلية ، إلا أن جميع هؤلاء يتعاطفون مع الدولة اليهودية ويشعرون بالانتساب اليها .

ولكن ما هي هذه « الأمة اليهودية » التي يقول عنها الصهاينة أنها مبعثرة ؟ في

سنة ١٩٧٥ ، كان يوجد في العالم ١٣ مليون يهودي ، منهم حوالي ثلاثة ملايين يعيشون في فلسطين داخل حدود اسرائيل • واذا أضفنا يهود ثمانية بلدان يعيش في كل منها أكثر من مئة ألف ، نحصل على ٩٥ ٪ من يهود العالم :

١ ــ الولايات المتحدة : ٨ر٥ مليون •

٢ ــ الاتحاد السوفياتي : ٠٠٠ر٩٥٠ر١

٣ ــ فرنسا : ٠٠٠ر٥٣٥

٤ ــ انكلترة : ٠٠٠ر٤٠٠

٥ ــ كندا : ٠٠٠ر٢٩٥

٦ ــ أفريقيا الجنوبية : ٠٠٠ر١٢٠

٧ ــ الارجنتين : ٠٠٠ر٢٦٥

٨ ــ البرازيل : ٠٠٠ر١١٠

عندما قام الامبراطور كلود باحصاء السكان في الامبراطورية الرومانية سنة ٤٣ بعد المسيح، كان عدد اليهود /٠٠٠ر٩٤٤ر٦/ نسمة ، منهم مليونان في فلسطين• ومن المتوقع ، اذا استمرت الهجرة على وتيرتها الحالية ، أن يصل عدد اليهود في فلسطين الى ٥ر٤ مليون عند نهاية القرن• أما « يهود المهجر » ، كما يسمونهم ، فمن المرجح أن يتناقصوا من ١٠ ملايين سنة ١٩٧٥ الى أقل من ثمانية ملايين في نهاية هذا القرن •

إلا أن هذه الارقام لا تشير الى النفوذ الحقيقي الذي يمارسه اليهود في البلدان التي يعيشون على أرضها • ولا شك في أن قائمة البلدان التسعة (اسرائيل ضمنا) التي يتجاوز فيها عدد اليهود المئة ألف نسمة، هي في الواقع أكثر بلدان العالم نفوذا، باستثناء اليابان وألمانيا ، اللذين هزما في الحرب العالمية الثانية • أما الصين ، فلم

تعرف أبدا توغلا يهوديا ، لذلك يمكن اعتبارها الشذوذ الذي يؤكد القاعدة • في عام ١٩٧٥ ، كان هناك وجود يهودي في أكثر من مئة بلد ، وفي أربعين منها تجاوز عدد اليهود الـ / ٥٠٠٠ / نسمة • من بين جميع القوى الدولية الكبرى المؤثرة في العالم ، تعتبر الصهيونية أكثرها فروعا وانتشارا • ولا بد من القول هنا بأن اليهود بصورة عامة يتمتعون ، في البلدان التي يعيشون بين ظهرانيها ، بمستوى معيشي وثقافي عال ، مما يشكل أحد أسباب قوتهم • يضاف الى ذلك عامل هام جدا ، وهو الترابط الوثيق بينهم على اختلاف أصولهم وميولهم ومستوياتهم •

فالمنظمة الصهيونية العالمية ، التي أحدثها المؤتمر الصهيوني في مدينة بـال السويسرية سنة ١٨٩٧ ، قد قفزت من ١٦٤٠٠٠ عضو سنه ١٩٠٧ الى حوالي ٢ر٢ مليون عضو سنة ١٩٦٤ ، وهو التاريخ الذي أصبح لها فيه فروع عاملة في أكثـر من خمسين بلدا • تلعب هذه المنظمة دورا حيويا في جباية الاموال وتمويل مختلف المنظمات والمؤسسات اليهودية • ترأس « ناحوم غولدمان » هذه المنظمة من عـام ١٩٥٦ حتى ١٩٦٨ ، ويرأسها منذ عام ١٩٨٢ « أرييه دولزين » • من بين فروع هذه المنظمة ، يمكن أن نذكر فرعها الديني (مزراحي) ، ثم «World Union of Mapam» الذي يمثل اليسار الاشتراكي • وهناك منظمات كثيرة أخرى ، منتشرة في كثير من أنحـاء العالم أتينا على ذكر بعضها في فصول سابقة ولا مجال لتعدادها بالتفصيل• ولكن لابد من التنويه بأن هذه المنظمات تشمل مختلف الميادين : النسائية والطلابية والعمالية والقضائية واللغوية والمهنية والصحية و « شبه العسكرية » والمصـرفية وغيرهـا ••••

علاوة على هذه الشبكة الهائلة من الطاقات ، التي تؤثر على قرارات عدد من البلدان المستقلة ، توجد شبكة من العلاقـات الثنائية المميزة ، كتلـك التي تربط إسرائيـل بأفريقيـا الجنوبيـة • والحقيقة أن أفريقيـا الجنوبيـة تستخـدم « الوسيط » الاسرائيلي للمحافظة على علاقاتها مع أوروبا وأمريكا الشمالية كلمـا هددتها المقاطعة لأسباب أيديولوجية أو نتيجة الضغط الدولي ضد التمييز العنصري•

ولا شك في أن إسرائيل تفوق في عنصريتها أفريقيا الجنوبية هـذه لانها تخلصت في عام ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ من الاغلبية العربية ، وهو أمر لم تستطع أفريقيا الجنوبية تطبيقه على السود حتى الآن . إلا أن العلاقات المميزة الخاصة بين اسرائيل وافريقيا الجنوبية ترجع أيضا الى تأثير « اللوبي » الصهيوني في هذا البلد : إذ أن أكبر مليارديرِ في العالم ، كان يهوديا من أفريقيا الجنوبية ، وهو « السيد ألفريد بت » « ١٨٥٣ ـ ١٩٠٦ » ، الذى كان يعتبر ملك الماس ، والذي أنشأ مع «سيسيل رود» شركة « بيرز » الشهيرة . كذلك كان رئيس وزراء أفريقيا الجنوبية ، جان كريستيان سموت (١٩١٩ ـ ١٩٢٩) ثم (١٩٣٩ ـ ١٩٤٨) ، من أصل يهودي (حسب تأكيد « الموسوعة الصهيونية ») ومن أشد المتحمسين لانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين . ويعود ازدهار « اللوبي » اليهودي في أفريقيا الجنوبية الى تلك الفترة . وها هو « هاري أو بنهايسر » ، رئيس « الشركة الانغلو ـ أمريكية » أو (Anglo - America Corporation) ، واليهودي الذي أصبح من البروتستانت ، يملك وحده ما يقرب من ثلث القطاع الصناعي في بلاده . وتغطي أمبراطوريته الماس (بالاشتراك مع بيرز) ، أكثر من ٣٠٪ من الذهب والفحم والاورانيوم ، بالاضافة الى مساهمات مالية متعددة ، ويسيطر « أوبنهايسر » على نصف الصحافة الناطقة باللغة الانكليزية في أفريقيا الجنوبية . أضف الى ذلك مداخلاته ومساهماته الهائلة والسرية مع السوق التجارية الامريكية . ويبدو الوجود اليهودي واضحا في المدن الكبرى : إذ يكفي أن تتجول في « جوهنسبورغ » أو « كاب » حتى تشاهد العديد من الشبان الذين يضعون على رؤوسهم القبعة اليهودية التقليدية ، كما تلاحظ عددا كبيرا من الابنية المخصصة للنشاطات الثقافية أو الاجتماعية أو الدينية اليهودية .

مثال آخر عن الصهيونية الثنائية يظهر في العلاقات الجيدة بين اسرائيل والأرجنتين : فقد تجاوز عدد السكان اليهود في الارجنتين عتبة (الثلاثمئة ألف) سنة ١٩٧٨ ، منهم /٢٢٥٠٠٠/ في « بوينوس أيرس » . « إن أوائل اليهود في هذا البلد هم من الذين طردوا من اسبانيا حوالي القرن السادس عشر . وقد اتسم النشاط

الصهيوني بالدنياميكية هناك بفضل صحفي شهير في أمريكا الجنوبية كلها ، وهو لويس كاردونر ، الذي مات سنة ١٩٧٩ •

في **تشيلي** ، حيث تطور اللوبي اليهودي بشكل مماثل للارجنتين ، يبلغ عدد اليهود /٣٥٠٠٠/ سنة ١٩٦٨ ، وجميعهم في « سنتياغو » •

أما استراليا ، فقد وصل اليها أوائل اليهود سنة ١٨٠٠ • وفي عام ١٩٦٨ ، أصبح هناك / ٧٠٠٠٠ / موزعين بين « ملبورن » و « وسدني » •

واما **« نيوزيلنده »** ، فقد كان فيها / ٥٠٠٠ / يهودي في عام ١٩٦٨ •

يعود وجود اليهود في **كندا** الى عام ١٨٥٠ ، حيث بلغ عددهم سنة١٩٧٨ حوالي /٣٠٥٠٠٠/ نسمة ، منهم /١١٥٠٠٠/ في تورنتو ومثلهم في موريال •

في **الاتحاد السوفياتي** ، تعطي السلطات أرقاما لعدد السكان اليهود تفوق التقديرات الاسرائيلية ، أي /٣٫١٥٠٫٠٠٠/ وفق احصاء سنة ١٩٧٠ ، وثلاثة ملايين حسب أقوال وكالة نوفوستي الرسمية ، منهم / ٦٠٠٫٠٠٠ / في موسكو ، /٣٠٠٫٠٠٠/ في لينينغراد و /٢٥٠٫٠٠٠/ في كييف • أما في سائر الدول الاشتراكية فيتراوح عدد اليهود بين حد أقصى قدره /١٠٠٫٠٠٠/ في رومانيا ، وحد أدنى يبلغ مئة أسرة كما في أفغانستان (علما بأنه يوجد في اسرائيل ٧٠٠٠ يهودي من أصل أفغاني) •

وصل اليهود الاوائل الى بلاد الموسكوف في عهد ايفان الثالث (١٤٦٢ — ١٥٠٥) • في عام ١٩١٤ ، كان عددهم ستة ملايين في روسيا • الا أن هذا العدد هبط الى ٢٫٥ مليون في الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٢٤ ، لان بولونيا ، التي استعادت حريتها ، استقبلت نفس هذا العدد ، بينما هاجر الباقون أو راحوا ضحية مذابح الروس البيض خلال الحرب الاهلية • مما لاشك فيه أن ثورة ١٩١٧ كانت تضم

عددا كبيرا من القادة اليهود ، مثـل « ليون تروتسكي » قائد الجيش الاحمر ، « سفير دلوف » (Sverdlov) رئيس الشرطة السرية ، أعضاء في المكتب السياسي من أمثال« كامانيف » (Kamenev) ، « زينوفييف » (Zinoviev) و«راديك» . (Radek)

من المعروف أن لينين توفي مبكرا نتيجة جراح أصيب بها في محـاولة لاغتياله قامت بهـا إرهابية يهودية ، ولكن لم يعرف أحد لصالح من كانت تعمل . عندئـذ نشب صراع عنيف بين تروتسكي وستالين ، فاز فيه الاخير . ويبدو أن تروتسكي جرب آخر ورقة في يده عن طريق محاولة انقلاب فاشلة ، مما اضطره لمغادرة البلاد سنة ١٩٢٧ حيث أصبح ، كزعيم « للأممية الرابعة » ، مجرد يهودي تائه ، ما لبث أن اغتيل في المكسيك سنة ١٩٤٠ من قبل أحد عمـلاء ستالين . وعندما قام هـذا الاخير بتصفية الحرس البولشفيكي القـديم ، كان معظم الضحايا المشهورين مـن اليهـود .

يشكل اليهود في الاتحـاد السوفياتي ١ ٪ من السكان ، وهـم يعيشون في مستوى فوق المتوسط . في عام ١٩٧٣ ، كان هناك سبعـة نواب يهـود في مجلس السوفييت الاعلى ، وثمانية جنرالات يهود في القيـادة العليا للجيش الاحمر . وفي عام ١٩٦٤ ، كان هناك ١٦ ٪ من الاعضاء المنتخبين لأكاديمية العلوم السوفييتية من اليهـود .

الا أن معقل الصهيونية بلا جدال هو الولايات المتحدة الامريكية . ولكن قبل أن نقول ، مثل « وارنر سومبارت » ، أن « الولايات المتحدة هي بلد يهودي في كافـة أجزائه » ، من المناسب أن ننظر الى الامور عن كثب : من المعروف أولا أن الولايات المتحدة قد احتضنت الدولة اليهودية فور ولادتها ، وبخاصة في مجال التمويـل . وقـد قـال عضو مجلس الشيوخ « فولبرايت » بحـق سنة ١٩٧٤ :

« نحـن ، ونحـن وحدنـا الذين جعلنـا وجـود اسرائيل كدولة أمرا ممكنا» .

١٨٥٠ ، ثم ١٥٠،٠٠٠ سنة ١٨٦٠ و ٢٥٠،٠٠٠ سنة ١٨٨٠ • تحت تأثير المهاجرين باسرائيل كحليف يسدونه بسبل الحياة والقوة منذ أكثر من ثلاثين عاما • ولا خلاف في أن مقياس الضغط الجوي للعلاقات اسرائيلية ـ الامريكية ظل بصورة شبهدائمة يشير الى « طقس جميل ثابت » ؛ في عام ١٩٤٨ ، اعتراف فوري بالدولة اليهودية ؛ ارسال الصواريخ سنة ١٩٦٣ ثم طائرات الفانتوم سنة ١٩٦٨ ؛ دعم غير مشروط في حرب الايام الستة وحرب يوم الغفران ؛ وأخيرا فرح كبير لتسرير « كامب دافيد » سنة ١٩٧٨ •

لقد فترت العلاقات بعض الشيء أثناء وقوع بعض الخلافات :

ـ سنة ١٩٥٧ : أيزنهاور يطلب سحب القوات الاسرائيلية في سيناء •

ـ سنة ١٩٧٠ : اسرائيل ترفض اتفاقيات السلام التي عرضها « روجرز » •

ـ سنة ١٩٧٧ : كارتر يعترف بحقوق الفلسطينيين مع تحفظات خطابية •

ـ سنة ١٩٨٢ : ريغن يرسل بعض الاسلحة الى البلدان العربية «المعتدلة» •

في هذا الاطار ، تجد الصهيونية دعما في كل مكان من المجتمع الامريكي • فالنقابة القوية (A. F. L. - C. I. O) مثلا ، التي تتبرع بالاموال لاسرائيل ، تعتبرأن دعم الدولة اليهودية مرتبط بأمن الولايات المتحدة نفسها • إلا أن الصهيونيةتنطلق في نفوذها الاساسي من يهود الولايات المتحدة الذين يشكلون ذلك « اللوبي » العتيد •

فما هو هذا « اللوبي اليهودي » في الولايات المتحدة ، والذي نسمع عنه الكثير ؟•

بدأ وجود اليهودية في أمريكا الشمالية سنة ١٦٥٤ ، عندما نزحت حوالي عشرين عائلة وأقامت في نيويورك هربا من محاكم التفتيش البرازيلية • وفي القرن التاسع عشر ، قفز عدد السكان اليهود من ١٥٠٠٠ سنة ١٨٤٠ الى ٥٠،٠٠٠ سنة

١٨٥٠ ، ثم ١٥٠٫٠٠٠ سنة ١٨٦٠ و ٢٥٠٫٠٠٠ سنة ١٨٨٠ . تحت تأثير المهاجرين اليهود من ألمانيا . كان ذلك هو العصر الذهبي لليهودية الاصلاحية التي أدارت ظهرها للسجن التلمودي وأخذت تبشر وتدعو للاندماج التام في بلد الاقامه . وقد أعلن « الاصلاحيون » ، بين عامي ١٨٨٠ و ١٩٠٠ ، الحرب على « المحافظين »، دون ان يلاحظوا تلك الموجة العارمه من اليهود القادمين من أوروبا الشرقية وروسيا والتي بدأت تتدفق على الولايات المتحده ، فالبة اليهودية في هذا البلد رأسا على عقب من حيث الحجم والمفاهيم . وهكذا ، بين عامي ١٨٨١ و ١٩٢٠ ، هاجر من روسيا الى الولايات المتحدة ثلاثة ملايين انسان ، كانت أغلبيتهم من اليهود . بهذا قفزت الاقليه اليهوديه (التي كانت تنادي بالاندماج التام) من ٩٠٠٫٠٠٠ سنة ١٨٩٦ الى ١ر١ مليون سنة ١٩٠٠ ، ثم الى ٨ر١ مليون سنة ١٩٠٨ و ٤ر٣ مليون في عام ١٩١٧ . وهكذا تضاعفت هذه الطائفة في حوالي الحرب العالمية الاولى لتمثل ٣ر٣ ٪ من سكان الولايات المتحده . وفي عام ١٩٢١ ، صدر « قانون جونسون » المتعلق بضريبة الهجرة الى الولايات المتحدة ، وفي عام ١٩٢٤ انتهت مرحله الهجرة اليهودية المكثفة . في نهاية العشرينات ، عندما استقر تقريبا حجم الجاليه اليهوديه هناك ، كان تعدادها حوالي ٥ر٤ مليون نسمة ، وهو رقم أكده فيما بعد احصاء جرى سنة ١٩٣٧ ، حيث بلغ عدد اليهود /٤٫٧٧١٫٠٠٠/ نسمة ، معظمهم من « الأشكناز » أي اليهود القادمين من الشرق . كان القادمون الجدد يساريين سياسيا (الى جانب الديموقراطيين) أو صهيونيين عقائديين . في الحالتين ، كانت عقليتهم متأثرة بقرون من (الغيتو) في روسيا وبولونيا . ويجب ألا ننسى أن التمييز ضد اليهود في الشرق لم ينته الا في عام ١٩١٧ ، بينما حدث الانعتاق في أوروبا الغربية سنة ١٧٩١ ، ثم في بداية القرن التاسع عشر . وما من شك في أن هذا الفارق مع تخلف روسيا القيصرية على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي تعطينا فكرة عن عقلية ٨٠ ٪ من اليهود سنة ١٩٢٧ ، وهي عقلية معقدة تميل نحو «الخصوصية» أكثر من ميلها الى « الاندماج » ، ولا زالت كذلك في وقتنا الحاضر كما تشير كافة الدلائل ....

وصل معظم هؤلاء القادمين الجدد فقراء ، ولكنهم ما لبثوا أن ارتقوا بسرعة عجيبة سلّم التسلسل الاجتماعي • في عام ١٩٤٨ ، قفزت الاقلية اليهودية الى خمسة ملايين ، ثم الى ٣ر٥ مليون في الستينات • وتقدر اليوم بحوالي ستة ملايين (أي ما يقارب ضعف يهود اسرائيل) • أغلب الظن أن هؤلاء اليهود لن يهاجروا الى اسرائيل ، الا أن كثيرين منهم يحضرون اليها ليمضوا فترة تدريب عسكري في « الكيبوتزات » •

في عام ١٩٦٨ ، كان عدد اليهود في مدينة نيويورك وحدها حوالي٠٠٠ر٣٨٥ر٢، أي ٣٢ ٪ من عدد السكان الاجمالي • ولما كان هؤلاء يحتلون مكانه اجتماعيةبارزة نسبيا ، فانه يمكن ، الى حدما ، وصف نيويورك باليهودية • وطالما أن الشمال — الشرقي للولايات المتحدة يضم وحده من اليهود أكثر مما يوجد في الاتحادالسوفياتي أو دولة اسرائيل ، فان هذا يعطينا مؤشرا واضحا لمدى النفوذ الصهيوني فيالولايات المتحدة ، خاصة وأن هذه المنطقة تضم معظم المراكز والانشطة الفعالة على صعيد السياسة والاقتصاد والثقافة • ففي عام ١٩٧٠ ، كان هناك ما يقرب من/٠٠٠ر٦٠٠/ يهودي في لوس أنجلوس ، وحوالي / ٠٠٠ر٣٠٠ / في شيكاغو • ونذكر على سبيل المقارنة أن عدد سكان القدس آنذاك من اليهود كان /١٩٥٠٠٠/ و تلأبيب /٣٩٥٠٠٠/ •

تثبت كافة التحقيقات والدراسات أن يهود الولايات المتحدة يأتون في أعلى درجات السلّم الاجتماعي في الولايات المتحدة • ويذكر « ناتان غلايزر » ، أفضل عالم اجتماعي يهودي ، عن اليهودية في هذا البلد منذ عام ١٩٥٠ ما يلي : « ان نسبة اليهود في المهن غير اليدوية (مهن حرة ، أعمال ، موظفين كبار) كانت ٧٥ ٪ — ٩٦ ٪ من مجموع اليهود العاملين » • في الستينات ، واستنادا الى معطيات ثابتة تتعلق بشمالي شرقي الولايات المتحدة ، كان هناك ٢٢ ٪ — ٣٢ ٪ من اليهودالعاملين يمارسون مهنة حرة ، و ٢٥ ٪ — ٣٩ ٪ كانوا من الكوادر أو أرباب العمل • لذلك

نلمس فورا أن وزن الاصوات الانتخابية اليهودية ليس شيئا يذكر اذا قيس بالقوة الحقيقية للوبي اليهودي •

أضف الى ذلك آن ۷۰ ٪ من مجموع النشاط الاقتصادي الخاص في الولايات المتحدة تسيطر عليـه ۸۰۰ شركة متعددة الجنسيات • إلا ان هذه الشركات ، التي يعتبر مجموع مبيعات أغناها أعلى من ميزانية عشرات الدول المستقلة ودات السيادة، لا تكتفي باحتكار السوق الداخلية ، بل سعى للسيطرة على بلدان العالم الثالث ، وتتوغل بقوة داخل القارة الاوروبية ، بما في دلك بعض البلدان الاشتراكية • ومن المعروف أن رأس المال اليهودي يلعب دورا كبـيرا في ادارة معظم هـذه الشركات العملاقة • وها هو الجامعي الاسود « توماس سوويل » (Thomas Sowell) ، أحد كبار المتحمسين لما يسمى « بالريغانية » ، أي : إفقار الفقراء واغنـاء الاغنياء ، يقدم في كتابه الاخير جدولا للدخل العائلي المتوسط للجماعات العرقية المختلفـة في الولايات المتحدة : حيث نجد في قمة الهرم الامريكيين من أصل يهودي عند الرقم البياني (۱۷۲) بالنسبة للمتوسط الوطني الممثل بالرقم (۱۰۰) • بعد اليهود يأتي اليابانيون (۱۳۲) ، البولونيون (۱۱۵) ، الصينيون والايطاليون (۱۱۲)، الالمان والانغلو ــ ساكسون (۱۰۷) ، والارلنديون (۱۰۰) • وفي أسفل السلم ، نجد الفيليبيين (۹۹) ، زنوج جزر الأنتيل (۹٤) ، المكسيكيين (۷٦) البورتوريكيين (٦۳) ، الزنوج (٦۲) والهنود (٦۰) • وهكذا نرى أن مؤسسي الولايات المتحدة من الأنغلو ــ ساكسون والالمان والارلنديين ، في مستوى المتوسط الوطني تمامـا (الرقم ۱۰۰) ، بينما وصل اليهود بين عامي ۱۹۰۰ و ۱۹۲۰ الى الرقم (۱۷۲)•••

يرافق القوة الاقتصادية لليهود انفتاح مميز على الثقافة والتربية • وقد كتب « كاسنل تونوايل » و « ن • ويل » مؤخرا ما يلي : « في عام ۱۹۵۷ ، ومن بـين الراشدين ، يوجد ۱۷ ٪ من اليهود الامريكيين الذين أنهوا دراساتهم العليا ، بينما لا تتجاوز هذه النسبة ۷ ٪ لدى سائر السكان • أما بين أساتذة الجامعة المعروفين، فتصل نسبة اليهود الى ۲۱ ٪ ، بينما لا يتجاوز عددهم ۳ ٪ مـن مجموع السكان

الامريكيين • وأما من بين حملة جائزة نوبل فان نسبة اليهود تفـوق بثلاثة أضعاف سائر الهيئة التدريسية في الجامعات الامريكية » •

أدى احـداث وظيفة « مستشار لرئيس الولايات المتحدة » سنة ١٩١٣ الـى السماح لليهود بأن يكون لديهم ناطق باسمهم ، دون التعرض لنيران الانتخابات ، في أعلى المستويات • أضف الى ذلك أن هؤلاء المستشارين اليهود كانوا وسيظلون من مؤيدي الصهيونيه ، بل من زعمائها في أغلب الاحيان • من هـؤلاء ، الذين أطلقت عليهم تسمية « صهيوني البلاط » ، برنارد باروك (Bernard Baruch) ، رابـي س • وايـز ، برانديس ، فيليكس فرانكفورتر ، عضـو مجلس الشيـوخ هربرت لهمان ، القاضي صموئيل روزنمان ، دافيد نيلز ، بنيامين كوهـين (الذي ساعـد « بلفور » في صياغة وعده المشؤوم سنة ١٩١٧) ، دافيـد ليلنتال ، آن روزنبرغ ، مورغنتو وثلاثة يهود من أصل روسي : سيدني هيلمـان ، إيزادور لـوبن ، ليـو باسلوفسكي • أثناء حرب يوم الغفران سنة ١٩٧٣ وحتى استقالة متهم «واترغيت» (آب ١٩٧٤) ، رأينا قلبا للأدوار ، حيث بدأ « صهيوني البلاط » هنري كيسنجر يأخذ القرارات بينما كان نيكسون يسرح للجنـة المنبثقة من مجلس الشيوخ لمـاذا وضعت وسائط التصنت لدى زعماء الحزب الديمقراطي • من بين خلفاء كيسنجر ، نذكر على سبيل المثـال : آرثر شليسنغر ، أوبريزنسكي في عهـد كارتـر ، والآن « موراي وايدنبوم » (Murray Weidenbaum) ، المستشار الاقتصادي لريغن •

علاوةً على مجالي القضاء والسياسه ، يبدو وجه اللوبي اليهـودي الامريكي أيضا في تلك الشخصيات التي تركت بصمانها في شؤون المال والاقتصاد • من هؤلاء: برنارد باروك (الذي مر ذكره آنفا كمستشار للرئيس روزفلت ولخمسة رؤسـاء سواه ، إذ توفي عن عمر يناهز ٩٥ عاما) ، والذي كان من كبار رجال الاعمال ومـن أكثرهم ثراءا • كذلك عضو مجلس الشيوخ « هربرت لهمان » ، الذي كان يرأس، مع قريبه فيليب لهمان ، المصرف النيويوركي (لهمان اخوان) • مثال آخر عن تداخل السياسة والمال ، « ادوارد كوخ » ، الذي انتخب عمدة لمدينة نيويورك سنة١٩٧٧،

أو قبله « فيوربلو لا غارديا » (١٨٨٢ ــ ١٩٤٧) ، الذي كان عمدة لمدينة نيويورك أيضا ،والذي أعطى اسمه لأحد مطارات المدينة • ومثل هــؤلاء كثيرون في عالــم المال والصناعة والسياسة . لا يتسع المجال لذكرهم في صفحات قليلة •

تعطينا هذه الامثلة فكرة عن النفوذ اليهودي من جهة ، وعن الاموال الطائلة التي تجمعها لصالح اسرائيل منظمة « النداء اليهودي الموحد » وغيرها من أجهــزة الجباية المختلفة •

من المعروف أخيرا أن التأثير على العقول والافكار يمر عبر وسائط الاتصــال الجماهيريه : الصحافه ، الاذاعه ، التلفزيون ، النشر ، الاسطوانات والدعايةوالافلام وبنوك المعلومات .• والحق يقال أن اليهود بارعون في كافة هذه الميادين ، وبخاصــة الافــلام السينمائية وانتاجها في هوليود • أما أهم الأعلام اليهود في هذا الميــدان فهم : صموئيل غولدوين ، جاك وارنر (Warner Brosers) ، هنري وجاك كوهن (Columbia Pictures) ، زوكور (Paramount) فوكس (شركة فوكس) ، ليمل وسالزنك (Universal) الخ ••• أما في ميــدان الصحافة ، فقــد أسس « أوجين ميئير (١٨٧٥ ــ ١٩٥٩) صحيفة (الواشنطن بوست) كما أسس دوروتي شيف (نيويورك بوست) • أما صحيفــة (نيويــورك تايمز) ، التي أسست سنة ١٨٥١ ، فقد بقيت خاضعه بصورة مطلقه للوبي الصهيوني • وهنــاك أيضا « والتر هيوبرت آننبرغ » ، الذي يمتلك عدة محطات للاذاعة والتلفزيون • وفي مجــال النشر : سيمون وشورتر ، كومنسكي وبنيامين زيفن •

في عام ١٩٧٩ ، ورد في « الكتاب السنوي اليهودي الامريكي » ذكر حوالي ٤٠٠ جمعية يهودية ذات اشعاع قومي ، أي ذات مكاتب وفروع في معظم الولايــات الامريكية • لذلك سنكتفي بأن نشير هنا ، بالنسبة لكل فئة من هــذه الجمعيات ، الى عدد المنظمات التي تضمها ، على أن نضع بين قوسين احدى هذه المنظمات وتاريخ انشائهــا :

١ ــ العلاقات المشتركة : ٢٨ (اللجنة الامريكية اليهودية ــ ١٩٠٦) ٠

٢ ــ المساعدات الخارجية : ٢٢

(Joint Distribution Commitee - 1914)

٣ ــ الثقــافة : ٣٤

(American Jewish Press Association - 1943)

٤ ــ الدين والتربية : ١٤٦

(United Synayogue of America, 1913)

٥ ــ تعاونيــات : ١٨

(Free sons of Israel - 1949)

٦ ــ مساعدة اجتماعية : ٢٨

(Baron de Hirsch Fund - 1891)

٧ ــ صهيونية : ٦٧

(Zionist Organisation of America - 1960)

٨ ــ مهنيــة : ٢١

(Jewish Teachers Association - 1931)

٩ ــ نسائيــة : ١٧

(Women's League for Israel - 1928)

١٠ ــ الشبيبة : ٢٦

(North American Jewish Youth Council)

علاوة على انتشار فروع كل من هــذه الجمعيات في شتى أنحــاء الولايات المتحدة ، فان ميزانيتها ضخمة : ففي عام ١٩٦٣ مثلا ، بلغت ميزانية الجمعيةالمسماة (Joint Distribution Commitee) ، التي لها مكتب هــام في جنيف ، ٢٩ مليون دولار ٠ والدور الاساسي لهذه الشبكة المؤلفة من ٤٠٠ منظمة يهودية ، هو جمــع الاموال لاسرائيل ، حيث جمع سنة ١٩٧٤ مبلغ ٦٦٠ مليون دولار ٠ بالمقارنة مــع هذا تبدو المساعدات التي تقدمها العربية السعودية لمنظمة التحرير تافهة ٠

ومن الجدير بالذكر أخيرا أنه توجد اليوم ٢٠٠ صحيفة ومجلة يهودية في الولايات المتحدة ، منها ٩٤ في ولاية نيويورك وحدها .

★ ★ ★

اذا تصورنا هذه القوة الهائلة للصهيونية في الولايات المتحدة ، وأضفنا اليها النفوذ الصهيوني في حوالي مئة بلد آخر ، أدركنا مقدار الدعم والحماية المتوفرين للدولة اليهودية التي تدعي بأنها مهددة بالفناء من قبل بضعة آلاف من « الارهابيين » الفلسطينيين . ولسنا نبالغ عندما نقول أن هذه القوة الصهيونية الجبارة تقرر مستقبل كثيرين من رجال السياسة في الغرب ، على ضوء درجة موالاتهم لاسرائيل .

وهكذا تمضي اسرائيل في تنفيذ مخططاتها وأطماعها ، مستندة على هذه القوة من جهة ، وعلى الدعم الامريكي من جهة أخرى ، بينما تقف المنظمات الدولية مكتوفة الايدي لانها أسيرة نظامها الاساسي نفسه . ولا بد من التنويه هنا بالسلاح الرهيب الذي تستخدمه اسرائيل ، وهو « الفيتو » الامريكي في مجلس الامن والضغوط الامريكية في المنظمات الاخرى . وقد كتب السيد « هنري كتّان » (Henri Cattan) ، المتخصص في القانون الدولي ، في عام ١٩٧٦ يقول : « بالنسبة للصراع الاسرائيلي ـ العربي ، تستخدم الولايات المتحدة الامريكية حق النقض (الفيتو) ، ليس من أجل السلام ، ولا دفاعا عن مصالحها الحيوية ، بل لتبرير وتدعيم التصلب والتعنت الاسرائيليين وتكريس الامر الواقع المبني على الظلم الفادح » . وبعد الغزو الاسرائيلي الهمجي للجنوب اللبناني ، الذي خلّف وراءه آلاف الضحايا البريئة ، هبّ العالم كله مستنكرا غاضبا ، الى أن انعقد مجلس الامن منذ ٨ حزيران ١٩٨٢ ، وطلب بالاجماع من مناحيم بيغن سحب قواته فورا من لبنان . إلا أن الولايات المتحدة وحدها عارضت الاجماع واستخدمت حق النقض ، معطية الضوء الاخضر للمجزرة الرهيبة .

وفي ١٤ كانون الاول ١٩٨١ ، قرر « الكنيسست » ضم الجولان ، وهو أرض

سورية انتزعت بالقوة سنة ١٩٦٧ • في اليوم التالي ، دان مجلس الامن كله القرار الاسرائيلي ، واعتبره لاغيا وباطلا • هنا لم تعترض الولايات المتحدة لان الامر لم يتجاوز مرحلة الكلام النظري • ولكن ، في ٦ كانون الثاني ١٩٨٢ ، عندما عرض موضوع ضم الجولان مرة أخرى على مجلس الامن ، اقترح الاردن مشروع قرار يطالب بتطبيق الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة ، أي بفرض عقوبات دولية على اسرائيل (قطع العلاقات التجارية ، انهاء كل تعاون) لارغامها على العدول عن قرارها ، عندئذ جاء التدخل الامريكي دون ابطاء •••

ومما يثير السخط والسخرية معا اعتراض مندوب اسرائيل « يهودا بلوم » ومهاجمته للدول التي تجرأت على الامتناع عن التصويت (فرنسا ، إرلنده ، اليابان ، بنما ، انكلترة) ، ثم اختتام كلامه بهذه العبارة العجيبة : « اسرائيل ، المستهدفة دائما من قبل العدوان العربي » !•••

★ ★ ★

الفصل التاسع

القضية الفلسطينية

مفتاح الحوار الأوروبي العربي

« من الممكن اليوم ، أن تكون قد اجتمعت في بعض البلدان عناصر رد فعل سليم تجاه الدولتين الاعظم. وربما يوجد الآن ، أكثر من الامس ، ادراك لأهمية أوروبا ودورها » .

ميشيل جوبير ، ١٩ حزيران ١٩٨٢

ان التاريخ والجغرافيا يقيمان علاقات وثيقة بين أوروبا من جهة ، والامة العربية والعالم الاسلامي من جهة ثانية . إلا أن غياب مسافة حرجة بالنسبة لاسرائيل ، والعجز عن اعطاء الشعب الفلسطيني حقه في العودة وتقرير المصير يقللان من رصيد « العالم القديم »(١) ويسيئان لمصالح الاوروبيين المشروعة .

ـ اثنا عشر قرنا من الوجود في الشرق الاوسط :

في عهد شارلمان ، كانت الامة العربية موحدة بقيادة الخليفة العباسي هارون الرشيد (٧٨٦ ـ ٨٠٩) . وفي عام ٧٩٧ ، أرسل وفد أوروبي الى الخليفة ، حيث تبادل الهدايا المختلفة . ولا شك في أنه كان لهذا الاتصال بين حاكم

---

(١) ـ المقصود بالعالم القديم القارة الاوروبية .

العرب وأمبراطور الغرب المقبل مغزى ذو مدلول يمتد مداه الى عصرنا الحاضر ، حيث يتعزز مع الاسف توزع العالم الى شرقي وغربي • لذلك نحن في أمس الحاجة الى محور قوي يجمع بين أوروبا والامة العربية ، من شأنه تشكيل قطب ثالث يؤمن التوازن ويضمن السلام •

كان اللقاء التالي عنيفا وفظا : حيث نشبت الحروب الصليبية ، وأسس « غودفروا دي بويّان » مملكة القدس بعد الاستيلاء على المدينة المقدسة سنة ١٠٩٩ • هنا نبتت أوروبا أقدامها في الشرق الاوسط بالحديد والنار • عندئذ تنظمت في الشمال إمارة انطاكية ، « كونتية » (إيديس) « Edesse » [1] وكونتية طرابلس• في عام ١١٥٩ ، فشلت الحملة الصليبية الثانية أمام مدينة حلب • في الحملة الثالثة (١١٥٩) ، كانت أوروبا كلها ممثلة : بالفرنسيين والانكليز والفلمنديين وفرسان الهيكل والجنويين والالمان والدانمركيين والفريزونيين والفينيسيين والبيزون • استولى رتشارد قلب الأسد على عكا ، ثم استعاد العرب زمام الموقف واستعادوا القدس سنة ١٢٤٤ • في ٢٥ آب ١٢٤٨ ، ترأس لويس التاسع (القديس لويس) الحملة الجديدة التي ستبدل ، في فلسطين ولبنان ، حاميات الفرنج في كل من صيدا ويافا وعكا • وكما هي العادة في التاريخ ، تفتح الانتصارات العسكرية الطريق أمام التجارة والمبادلات السلمية • في القرن الثالث عشر ، عرفت مرسيليا وجمهوريات ايطاليا كيف تخص بحريتها بأرباح تجارة الشرق • فقد كانت مرسيليا تستورد من الاسكندرية ومرافىء سورية التوابل التي كانت تحتاجها مقاطعة « بروفانس » • كذلك عقدت معاهدات بين الجنويين (سكان جَنَوَه) والفلورنسيين من جهة ، ومصر من جهة ثانية • على هذا الاساس التجاري ، نشأت أدوات دبلوماسيه مع الشرق في القرن السادس عشر في عهد « الفالوا » (Valois) • وفي عام ١٥٣٥ ،

---

(١) ـ « كونتية » : هي منطقة يحكمها كونت . اما « اديس » (Edesse) ، فهي مدينة قديمة وغنية في منطقة بلاد ما بين النهرين (تعرف الان باسم « أورفه ») . بعد الاستيلاء على القدس ، أصبحت عاصمة امارة (كونتية) صليبية ، احتلها الاتراك في عام ١١٤٤ •
(المترجم)

جاءت المعاهدة بين الملك فرانسوا الاول والسلطان العثماني صدى للقاء السابق بين شارلمان وهارون الرشيد ، ولعلها تكون مؤشرا للـدور الذي يجب على أوروبا أن تلعبه اليوم في الشرق الاوسط •

في عام ١٦٤٢ ، أسس الكاردينال « ريشيليو » (شـركة الشرق ومدغشقر) التى كلفت بالاهتمام بتجارة الشـرق الاوسط • ثم جاء « كولبير » ليتابع في نفس الاتجاه : فيؤسس « شركة المشرق » سنة ١٦٧٠ • واستمرت المفاوضات السياسية بين لويس الرابع عشر وسلطان القسطنطينية ، كما تطورت المبادلات الفرنسية مـع الشرق الاوسط حتى بلغت بلاد فارس خلال القرن السابع عشر ، ووضعت أنظمـة وبروتوكولات تنظم التجارة والمبادلات والملاحة البحرية مـع المشـرق • في القرن الثامن عشر ، وبفضل الجهود التي بذلها المركز « دي ڤبلنوڤ » ، بين عامي ١٧٢٨ و ١٧٤١ ، تزايد تصدير الاجـواخ الفرنسية الى المشـرق • وهكذا زادت الارباح وظهرت تجارة البن وانفتحت أبواب الشـرق الاقصى • كان مفهوم « المشـرق » يشمل آنذاك كلا من حلب ، قبرص ، البصرة ، القدس والاسكندرية •

هذه اللمحة التاريخية تجنبنا الخطأ الشائع الذي ينسب حمـلة بونابرت الى مصر لحادث طارىء في الدبلوماسية الفرنسية ، أو لنـزوة طرأت على ذهن الجنرال الشاب الطموح • في الحقيقة ، اتخـذ القرار من قبل حكومة « الديركتوار » في ٥ آذار ١٧٩٨ ، استنادا الى معايير سياسية تجاه انكلترة ، واقتصادية من أجل الوصول الى طريق الهنـد ، ودبلوماسية في العلاقات مع البـاب العالي • وصل بونابرت الى الاسكندرية في الاول من شهر تموز سنة ١٧٩٨ ، الا أن أسطوله أبيـد من قبـل الانكليز عند « أبي قير » في الاول من شهر آب من العام نفسه • وبعد فشله فـي فتح مدينة عكا ، اضطر بونابرت للعودة على عجل الى فرنسا في ٩ تشرين الاول من عام ٧٩٩ • اصطدمت الامبراطورية مرات عديدة «بالمسألة الشرقية» في الوقت الذي كان نابليون يحلم بالمجـد على غرار الاسكندر الكبـير ، والوصول الى الهنـد • طوال هذا الوقت ، كانت انكلترة وهولندا وغـيرهما من الدول الاوروبيـة تدفع

بيادقها على رقعة الشرق الاوسط ، كما كان نظام « الحماية » و « الانتداب » ، بعد عام ١٩٢٠ ، يضفي الصفة الشرعية على مناطق النفوذ الفرنسية والانكليزية وفقا لاتفاقية عام ١٩١٦ .

ـ المصلحة الاوروبية :

يأخذ الحوار والتعاون مع العالم العربي ـ الاسلامي أشكالا متعددة : من المبادلات الثقافيه الى حركة السكان واليد العامله . إلا أن أهم هذه الاشكال هي التي تتعلق بضمان الطاقة الاوروبيه والتجارة . ولما كانت أوروبا تعتمد سنة ١٩٨٢ بنسبة ٥٢ ٪ من تموينها النفطي على الشرق الاوسط ، وبنسبة ٧٠ ٪ على الامة العربية ، لذلك من الاهمية بمكان ضمان عدم توقف هذا السريان الحيوي البالغ الاهمية . أثناء الحظر الذي فرضته الدول العربية المصدرة للنفط سنة ١٩٧٣ ، لم يتأثر بهذا الحظر سوى دولتين أوروبيتين هما : هولندا (٦ تشرين الثاني)والبرتغال (٢٩ كانون الاول) ، ولكن الغرب كله اهتز من جذوره . إذا كانت الولايات المتحدة تتحدث دائما عن « مصلحتها الحيوية » في الشرق الاوسط والخليج ، وهي لا تستورد سوى ٣٠ ٪ من النفط الخام (أي ١٠ ٪ من استهلاكها العام) من هذه المنطقة ، فمن البدهي أن يكون اهتمام أوروبا أكبر لانها تستورد الضعف تماما . ومن الجدير بالذكر أن « أمن الطاقة » يشمل أيضا الغاز الطبيعي الجزائري ، حيث دفعت فرنسا ، في هذا المجال وحده ، حوالي ملبارين من الفرنكات سنة ١٩٨٢ . ولا شك في أن علاقات فرنسا التجارية مع الجزائر وحدها تفوق بأهميتها العلاقات مع اسرائيل بمقدار أربعة أمثال بالنسبة للواردات ، وبمقدار تسعة أمثال للصادرات. هذا ما أثبتته الارقام الاحصائية للتجارة الخارجية المنشورة سنة ١٩٧٩ من قبل المركز الفرنسي للتجارة الخارجية . ففي عام ١٩٧٧ مثلا ، بلغت القيمة الاجمالية للواردات والصادرات الفرنسية ١٣٤ مليار دولار ، لم يكن نصيب اسرائيل منها سوى ١٫٨ مليار بالكاد . وما من شك في أن الارتباط المتبادل للمصالح مع العالم العربي ، بعكس الدور الهامشي لاسرائيل ، ينطبق على أوروبا عامة بقدر انطباقه على فرنسا. أضف الى ذلك أن نصف صادرات البلاد العربية تذهب الى السوق الاوروبية

المشتركة التي ترسل اليها بدورها ١٢ ٪ من صادراتها • وهذا يدل بتعبير آخر على أن البلاد العربية قد أصبحت ، كمستوردة ومصدرة ، الشريك التجاري الاول لاوروبا • لذلك تشكلت « اللجنة العامة للحوار الاوروبي العربي » ، المؤلفة من ممثلين عن الجانبين (سفراء بلدان الجامعة العربية والدول الاوروبية) مع وفود من الامانة العامة للجامعة العربية ومن اللجنة الاوروبية • تجتمع هذه اللجنة مرتين في العام ، بينما تكون لجان عملها وجماعاتها المتخصصة دائمة • وقد زاد تصدير رؤوس الاموال العربية الى أوروبا بشكل ملحوظ ، الى أن بدأ سحب هذه الاموال سنة ١٩٨٢ من المصارف الفرنسية بسبب سوء سياستنا وعدم دعمنا الكافي للحق العربي والقضية الفلسطينية العادلة •• •

أضف الى ذلك أن الرأي العام الاوروبي لا يقدر القوة الحقيقية للعرب حق قدرها ، لانه لا يرى سوى الخلافات العربية الطافية الآن على السطح ، والتي هي واقع ملموس مع الاسف • إلا أن انجازات عربية وحدوية كثيرة قد تحققت : فبالاضافة الى الجامعة العربية ، التي انبثقت منها مؤخرا **« المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم »** (A. L E , S. C. O) على غرار « اليونسكو » ، تشكلت أيضا هيئة قوية خارج نطاق هذه الجامعة مثل : **« اللجنة الاقتصادية لآسيا الغربية »** التي أحدثت سنة ١٩٧٣ في نطاق الامم المتحدة ، والتي تغطي المشرق العربي • والامين العام لهذه اللجنة هو محمد سعيد العطار ، الذي يرأس مكتباً ضخماً يضم عددا كبيرا من الموظفين الدوليين في بغداد • هناك أيضاً **« منظمة المؤتمر الاسلامي »** ، **« مجلس الوحدة الاقتصادية العربية »** ، صناديق التطوير المختلفة والممولة بالدولار النفطي : صندوق الدول العربية المصدرة النفط، البنك الاسلامي للتطوير ، البنك العربي للتطوير الاقتصادي الافريقي ، صندوق الكويت ، صندوق أبو ظبي ، الخ ••• في الحقيقة ، تتهيأ « القومية العربية » وفق دوائر ثلاث متحدة المركز ، لابد للأوروبيين أن يتعلموا أخذها بمزيد من الاعتبار : القومية كحسية نفسية والشعور العميق بالانتماء الى احدى أكبر الحضارات والثقافات الانسانية والاعتقاد المصحوب بالامل بأن هذه الثقافة قادرة على أن تكون مكملة

ومستوعبة للعالم المعاصر والعلوم الحديثة ؛ أما الدائرة الثانية فهي النضامن الاسلامي الذي تستند منه منظمة التحرير الدعم (ولو من حيث المبدأ على الاقل) ؛ وأخيرا دائرة القومية العربية كاحدى مركبات التجمع الأفرو ـ آسيوي وعدم الانحياز (أكثر من ١٢٠ بلدا) . وقد عرضت هنا أفكار ايجابية خيّرة فعلا ، مثل مشروع العمل الثلاثي ، حيث تساهم الخبرة الاوروبية والاموال العربية في تطوير بعض المناطق الافريقية . ولا يمكن لمثل هذه المشاريع أن ترى النور اذا لم تكن لاوروبا سياسة واضحة في الشرق الاوسط .

ـ المبادىء الكبرى تبقى حبرا على ورق :

صحيح أن أوروبا تسعى جاهدة لاتخاذ موقف مبدئي واضح ، ولكن قرارات ادانة الدولة الصهيونية ، سواءا بالنسبة لضم الاراضي أو القمع في الاراضي العربية المحتلة أو الغزو المفضوح ، لا نقترن أبداً بأي عقاب . منذ شهر تشرين الاول لعام ١٩٧٢ ، أرسى مؤتمر قمة باريس لرؤساء الدول والحكومات قداعد « سياسة متوسطية » ؛ وقد ورد في البيان الرسمي الختامي ما يلي : « يعلق المؤتمر الاوروبي أهمية كبرى على تنفيذ التزاماته نحو بلدان حوض المتوسط التي عقدت أو ستعقد معها اتفاقيات » . كانت الاتفاقيات المعقودة تهم المغرب العربي : الجزائر (منذ ١٩٦٣) ، مراكش وتونس (منذ ١٩٦٩) وقد أصبحت رسمية سنة ١٩٧٦ . وفي ١٨ كانون الثاني ١٩٧٧ ، وقعت اتفاقات أخرى للتعاون مع كل من الجمهورية العربية السورية والاردن ومصر . تشمل هذه الاتفاقيات المجالات الاقتصادية والتجارية والتقنية مع المساعدة المالية . ويعود اتفاق التعاون مع لبنان لتاريخ ٣ أيار ١٩٧٧ . ولكن ما هي انعكاسات مثل هذه الاتفاقيات يا ترى ؟ لنأخذ على سبيل المثال العلاقات بين السوق الاوروبية ومصر ، حيث تمت الموافقة على تقديم معونة غذائية للقاهرة ، كما أصبحت مصر تصدر بسهولة أكبر ، وبشروط تفضيلية ، منتجاتها (وبخاصة النسيج) الى السوق الاوروبية . وهناك مع كل من البلدان المعنية «مجلس للتعاون » يعمل فعلا . فبالنسبة لمصر مثلا ، عقد مجلس التعاون أول اجتماع له في اللوكسمبورغ يوم ٢١ نيسان ١٩٨٠ .

خلال النصف الثاني من السبعينات ، شهدت قضية الشــرق الاوسط مواقف سياسية أكثر تعاطفا مع متطلبات حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني في اطار الامم المتحدة • والبيان الاوروبي ، بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩٧٧ ، يتحدث للمرة الاولى عن « وطن » للفلسطينيين • كما أن القبول غير المشروط بأسلوب كامب دافيد(بيان وزراء الخارجية في بروكسل يوم ١٩ أيلول ١٩٧٨) قد أصبــح الآن أكثر تنوعــا وتحفظا ، وذلك بفضل مبادهــة الرئيس الفرنسي السابق « جيسكار ديستان » ، الذي تعرض كما رأينا لهجوم عنيف من الصحافــة الصهيونية • وأخــيرا ، مؤتمر فينيسيا الاوروبي (١٢ ـــ ١٣ حزيران ١٩٨٠) الذي اتخذ موقفا أكثر تجانسا حول النزاع الاسرائيلي ـــ العربي • كما أن « بيان التسعة » قــد استنــد على القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ لمجلس الامن ، وهذا يعني ادانه واضحة للاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية عام ١٩٦٧ • صحيح أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تأخذ الصفة المشروعة رسميا ، ولكن هناك «اعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » • كذلك أعلن الزعماء التسعة معارضتهم لأي اجراء من جانب واحد « يهدف الى تغيــير الوضــع الراهن لمدينة القدس » ، كما أعلنوا عدم شرعية المستعمرات الاستيطانية في الضفــة الغربية وقطاع غزة •

إلا أن اسرائيل تحتقر ادانات أوروبا بنفس الصلف الذي داست بــه قرارات الامم المتحدة • وفي حزيران ١٩٨٢ ، أخذ الفارق بين الاقوال والافعال بعدا تأثرت معه مصداقية الاوروبيين أمام الرأي العام الــدولي • فقد سبق للدول الاوروبيــة التسع ثم العشر أن أعلنت لبنان بلدا « صديقا » كما أعلنت اداتنها لاحتلال أراضي الغير بالقوة • ولكن ماذا فعلت في بروكسل وستراسبورغ لمعاقبة اسرائيل الغــازية على عدوانها السافر ؟ الحقيقة أنها اكتفت بادانة اسرائيل دون أن تطلب حتى مجرد انسحاب قواتها الفوري من لبنان • صحيح أن رئيس مجلس الوزراء الدوري أعلن عن تأجيل التوقيع على « البروتوكول » المالي الثاني بين السوق الاوروبية المشتركة واسرائيل ، والذي كان مقررا ليوم ١٤ حزيران ، ولكن اتفاقية التعاون بين السوق واسرائيل لم تتعرض لأي مس أو تهديد • وكلنا نعلم أن البروتوكولات التمويلية

تبقى مجرد ملحق تقني لا يعلق عليه الرأي العام الاوروبي أو الاسرائيلي أية أهمية. منذ عام ١٩٣٨ ، يطلق تعبير « روح ميونخ » على شكل من العجز السياسي الذي يعتقد بأنه يحد من الاضرار نتيجة غياب الحسم والصلابة . بينما يكون في الواقع سببا رئيسيا في التعجيل بها . نلخص هذه الصيغة الموقف الاوروبي الراهن ازاء التحرشات والاعتداءات الاسرائيلية المتكررة في الشرق الاوسط . ويبدو أن الدول الاوروبية العشر لم تدرك بعد أهمية « السياسة أولا » على الصعيد الاوروبي . فهي ، بوقف أعمالها على المبادهات الاقتصادية ، وباعتقادها أنها تستطيع ممارسة الضغوط عن طريق اللعبة « التقنية ـ التجارية »، تبقي أوروبا أشبه بقزم على المسرح الدولي . منذ عام ١٩٥٦ . عندما فقدت انكلترة وفرنسا هيبتهما بعد فشل العدوان الثلاثي ومغامرة السويس ، بقيت أوروبا الغائبة الكبرى في الشرق الاوسط . ولاشك في أن هناك ميلا لدى العرب الآن لوضعها في صف « الغرب الامبريالي » على قدم المساواة مع الولايات المتحدة الامريكية . في مثل هذه الحالة ، ستظل المبادهة في أيدي الدولتين الاعظم ، وبخاصة في أيدي ريغن الذي يريد أن يستخدم الصهيونية لفرض الوجود الامريكي قرب السويس والخليج العربي . وأغلب الظن أن « يالطا جديدة » ترتسم في أفق الشرق الاوسط ، ليس بفعل الدولتين الاعظم بقدر ما هو نتيجة عجز الاوروبيين وعدم شعورهم بالمسؤولية ، مما يفسح المجال حرا أمام نفوذ العملاقين[١] .

ـ الشروط السياسية للتعاون الاوروبي ـ العربي :

لا يمكن ، والحق يقال ، انتهاج سياسة أوروبية محددة ومتجانسة تجاه العالم العربي ـ الاسلامي عن طريق مضاعفة اتفاقيات التعاون . ولا يمكن لصوت أوروبا أن يسمع في الشرق الاوسط الا عندما يترجم الى أفعال بما في ذلك العقوبات الفعالة

---

(١) ـ لا يخفى على القارىء هنا ان المؤلف يتحدث عن الشرق الاوسط وكانه منطقة فراغ سياسي ، مغفلا ارادة الشعوب التي لا بد أن تصنع مصرها بنفسها رغم كل شيء .

(المترجم)

والرادعة ضد اسرائيل بسبب تجاهلها المطلق لتحذيرات المجتمع الدولي، ولاعتداءاتها المتكررة التي من شأنها اثارة صراع دولي مسلح • ان هذا لا يعني عدم جدوى اتفاقيات التعاون ، ولكن هذا الحد الادنى الذي لا بد منه لا يمكن أن يحل محل العمل الفعال في سبيل احترام قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالشعب العربي الفلسطيني • وهنا يمكن الاعتماد على الهيئات القائمة في كافة أنحاء أوروبا ، والتي تحاول القيام باعلام مضاد للدعاية الصهيونية والموالية لاسرائيل بالحق والباطل • ففي فرنسا مثلا ، توجد **((جمعية التضامن الفرنسي ــ العربي))** ، التي يرأسها «لوسيان بيترلين» (Lucien Bitterlin) و «لويس تيرنوار» (Louis Terrenoire) ، كما توجد **((الجمعية الطبية الفرنسية ــ الفلسطينية))** التي تصدر صحيفة «التضامن الفلسطيني» • كذلك هناك **((المؤتمر العالمي المسيحيين من أجل فلسطين))** الذي أسس من قبل « جورج مونتارون » ، المدير العام لصحيفة «الشهادة المسيحية» (Temoignage Chrétien) لقد أكدت هذه الهيئات جميعها على الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني ، وبخاصة أثناء المؤتمر الدولي الذي انعقد في باريس من ١٢ ــ ١٤ أيار ١٩٨٢ ، والذي أعلن ادانته واستنكاره « للصمت الاوروبي المتواطىء » • كما ذكر المؤتمر في حزيران من عام ١٩٨٢ أن الغزو الاسرائيلي للبنان ومحاولة ابادة منظمة التحرير كانا عملا جنونيا ، ولا بد أن يولد مجددا من دماء الضحايا جيل من المناضلين أكثر تصميما على التحرير والعودة والانتقام • أما أهم الجمعيات المعادية للصهيونية في البلدان الاوروبية الناطقة بالفرنسية وحدها ، فهي : **«الجمعية البلجيكية ــ الفلسطينية ، الجمعية السويسرية ــ الفلسطينية والجمعية السويسرية ــ العربية •**

في شهر آذار ١٩٧٤ ، قام ٣٥ برلمانيا من سبعة بلدان أوروبية بتشكيل **((الجمعية البرلمانية للتعاون الاوروبي ــ العربي))** ، والتي كانت تضم سنة ١٩٨٢ ٦٠٠ عضو من الدول الاوروبية العشر • يقع مقر هذه الجمعية في باريس ، ومكاتبها متاخمة لمكاتب «أورابيا» (Eurabia) ، أو اللجنة الاوروبية للتنسيق بين جمعيات الصداقة مع العالم العربي، وسكرتيرها العام هو البريطاني « سوان » (M. Swann).

في شهر كانون الاول ١٩٧٤ ، أعلن المؤتمر الدولي لشباب أوروبا والبلدان العربية « أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني » .

إلا أن الاوروبيين يعملون متفرقين : فاليونان هي البلد الاوروبي الاكثر التزاما بالوقوف الى جانب منظمة التحرير (البيان السياسي المشترك الفلسطيني — اليوناني، الذي صدر في أثينا يوم ١٦ كانون الاول ١٩٨١) . وفي ١٥ آذار ١٩٨٣ ، طالب رئيس وزراء هولندا بالاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . إلا أن الخلاف الاوروبي كان على أشده خلال غزو لبنان ، حيث ظهر التباين في المواقف الفعلية بالاضافة الى العجز الكبير والصمت الرهيب .. .

لذلك يجب أن يأخذ النضال ضد الصهيونية في اوروبا أفضليةهامة ، كما يمكن لليهود أن يلعبوا دورا كبيرا اذا ابتعدوا عن هذه العقيدة العنصرية وانضموا الى الجهود الرامية لضمان حقوق جميع شعوب الشرق الاوسط ، بما فيهم الشعب الفلسطيني ، في العيش بأمان ضمن حدود معترف بها .

— تعتبر الصهيونية ذات نفوذ كبير في **انكلترة** . وهنا أيضا يتوقف الامر على أهمية الطائفة اليهودية في المملكة المتحدة . صحيح أن الموالين لاسرائيل يتجاوزون بكثير الاطار اليهودي البحت (٣٥٤ نائبا مقابل ٦٨ فقط من المؤيدين للعرب سنة ١٩٧٩) ، ولكن المتطرفين الصهاينة نسبيون جدا . وصل اليهود الى انكلترة سنة ١٠٦٦ تلبية لنداء غليوم الفاتح، ثم أبعدوا سنة ١٢٩٠، لكي يعودوا في عهد كرومويل سنة ١٦٥ بناء على المساعي التي قام بها « منسه بن اسرائيل (١٦٠٤ — ١٦٥٧) . بلغ عددهم ٢٠,٠٠٠ سنة ١٨٠٠ ، ثم /٤١٠,٠٠٠/ سنة ١٩٧٨ ، منهم /٢٨٠,٠٠٠/ في العاصمة لندن . في عام ١٩٧٩ ، عقد الاجتماع العام لليهود تحت شعار «١٢ ساعة من أجل اسرائيل » ، ضم ٨٠,٠٠٠ شخصا . في عام ١٩٦٩ ، كان « الاتحاد الصهيوني للمملكة المتحدة » يضم ٤٠٢ جمعية صهيونية بالاضافة الى ١٢٤ كنيسا يهوديا وأربع جمعيات للصداقة . وعلاوة على الشخصية الشهيرة ، « ديزرائيلي » ، رئيس وزراء

الملكة فيكتوريا اليهودي الاصل والذي أصبح « اللورد بيكو نسفيلد » . هناك شخصيات هامة أخرى تركت آثرها على الحياة الثقافية والاقتصادية الانكليزية من أمثال : الصيرفي والمسول اللندني الكبير « شمشون جدعون » (Sampson Gideon) (١٦٩٩ ـ ١٧٦٢) ، الذي ساعد على المحافظة على ثقه الناس بالدولة • ثم « ناتان ميثير روتشيلد » الذي أنشأ الفرع الانكليزي لمصرف روتشيلد ، وقام بتمويل قتال انكلترة ضد أوروبا النابليونية • أما صحيفة « الدايلي تيليغراف » . فقد أسسها يهودي . هو اللورد « ادوارد بيرنهام » (١٨٣٣ ـ ١٩١٦) ، الذي كان يدعى « ليفي » قبل أن يصبح من النبلاء • في الستينات من هذا القرن ، كان « السير اسحق والفسون » يرأس امبراطورية من المخازن الكبرى المسماة « Great Universal Stores » . والذي تبرع دفعة واحدة بعشرة ملايين من الجنيهات الاسترلينية، ذهب معظمها لاسرائيل• والمصرف المعروف باسم «واربورغ» يتمتع بنفوذ كبير لدى الصحافة الانكليزية ، بينما قام « لو غراد » ، وهو يهودي نازح من أوكرانيا ، في الخمسينات بتأسيس « المؤسسة المتحدة للاتصالات » التي أصبحت فيما بعد الشركة الاولى في عالم الاستعراض برقم مبيعات بلغ ٥٥٠ مليون جنيها استرلينيا سنة ١٩٨١ •

أما توزع اليهود في سائر البلدان الاوروبية ، التي لم تذكر آنفا ، فهمو كمايلي:

- ألمانيا : ٣٣٫٥٠٠ (١٩٧٠)
- بلجيكا : ٤٠٫٠٠٠ (١٩٧٠)
- اسبانيا : ٥٠٠٠ (١٩٧٠)
- اليونان : ٥٠٠٠ (١٩٧٠)
- ارلنده : ٣٧٠٠ (١٩٧٠)
- النروج : ١٠٠٠ (١٩٧٠)

- سويسرة : ٢٠٫٠٠٠ (١٩٧٠)
- النمسا : ١١٫٥٠٠ (١٩٦٨)
- الدانمرك : ٦٠٠٠ (١٩٧٠)
- فنلندة : ١٧٠٠ (١٩٦٨)
- هولندا : ٢٢٫٠٠٠ (١٩٦٧)
- ايطاليـا : ٣٥٫٠٠٠ (١٩٨٠)
- السويـد : ١٣٫٠٠٠ (١٩٧٠) •

تتبع المنظمات الصهيونية الاوروبية كلها الى ما يسمى «مؤتمر الصهيونيين الاوروبيين» •

يرجع بدء الحوار الاوروبي - الاسرائيلي الى صيف عام ١٩٥٧ ، وفي نيسان من عام ١٩٥٨ ، اعتمدت الدولة اليهودية لدى السوق الاوروبية المشتركة• أما اتفاقية التعاون ، من أجل الغاء الرسوم الجمركية بين الطرفين على مراحل متعاقبة ، فيعود الى ١١ أيار ١٩٧٥ • لقد رأينا كيف أُجل توقيع البروتوكول المكمل الثاني بعد الغزو الاسرائيلي للبنان ، ولكن مجلس التعاون الاسرائيلي - الاوروبي ما زال يعمل في الوقت الذي استهزأت اسرائيل بكافة البيانات والقرارات الاوروبية المتعلقة بالشرق الاوسط • ونحن نعلم أن اسرائيل سريعة العطب تجاريا، كما أن اعتمادها على السوق الاوروبية يزداد ، حتى أصبحت أوروبا شريكها الاول (حوالي ٥٠ ٪ من المبادلات ، مقابل ٢٢ ٪ مع الولايات المتحدة سنة ١٩٧٥) • **لذلك يمكن لاوروبا (اذا عزمت فعلا) أن تمارس ضغطا لايستهان به على اسرائيل •** كما يجب أن يدرك الاوروبيون أن المساهمة في المقاطعة العربية للدولة اليهودية ليس من « اللاسامية »، لانها الوسيلة الوحيدة للضغط على القدس حتى تصغي الى صوت العقل بالنسبة

للقضية الفلسطينية العادلة . كذلك يمكن لاوروبا أن تلعب دورا كبيرا ضمن نطاق هيئة الامم المتحدة ، وبخاصة فيما يتعلق بوضع القرار رقم ٢٤٢ موضع التطبيق . إلا أن الواقع الآن هو خلاف ذلك مع الاسف . ولا أدل على هذا من التصويت الذي جرى في المنظمة الدولية بعد انتهاك اسرائيل الفاضح للقانون الدولي وقيامها بضم الجولان سنة ١٩٨١ . عندئذ كانت اليونان هي الدولة الوحيدة التي انضمت الى صفوف الادانة الشاملة لاسرائيل ، بينما صوت سائر أعضاء السوق الاوروبية ضد آية ادانة تصحبها اجراءات زجرية عملية ...

★ ★ ★

الفهـرس